الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران ـ السانيا
كلية الآداب والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير الموسومة بـ ـ:

الإعجاز البلاغي في آيات الخوف والرجاء
"سورة التوبة نموذجا"
ـ في إطار مشروع البلاغة العربية بين التطور والتجديد ـ

من إعداد الطالبة:
جيلالي أمينة حورية

إشراف الأستاذ الدكتور:
قدور إبراهيم عمار المهاجي

السنة الجامعية 2013-2014

إهـــــــــداء

إلى روح والدي الغالي الذي علمني حب الله وحب العلم وحب العمل

رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

إلى أمي الغالية التي أفنت العمر لتشهد فرحة نجاحي، وفقني الله للإحسان

إليها.

إلى أستاذي الغالي الذي لم يبخل عليّ بعلمه بكل حب ونزاهة ، أطال الله

عمره وأثابه خير الثّواب.

إلى صديق أحترم فيه احترامه لشخصي ياسين

إلى كل من يحبّني ...

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

يقول الله عزّوجلّ في سورة الإسراء : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [88]

فتبارك الذي نزّل هذا الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، والحمد لله الذي هدانا به وأخرجنا من الظّلمات إلى النّور، وصلَّى الله على سيّدنا محمّد وعلى أبويه إبراهيم وإسماعيل وسلّم تسليما كثيراً .

أمّا بعد :

فإنَّ أنفع ما تفنى فيه الأعمار، وأولى ما تُصرَف إليه الهمم ، وتُعمَر به ساعات الليل والنهار، كتاب الله المجيد ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،تنزيل من حكيم حميد، فهو دستور الأمة، وينبوع الهدى والرشاد، وهو تاج العربية الأعلى ومثَل بيانها الأسمى. بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كلِّ مقول، وتظافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتقارَن في الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت كلَّ البيان جوامعه وبدائعه... فسبحان من سلكه ينابيع في القلوب، وصرَّفه بأبدع معنًى وأغرب أسلوب! لا يستقصي معانيه فَهم الخلق، ولا يحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطلق، فالسعيد من صرف همَّته إليه، ووقف فكره وعزمه عليه .[1]

[1] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 4 / 5 .

وإنَّ من المقاصد التي عالجها القرآن وأفاض فيها الخوف والرجاء . وكم يشعر المرء بهزَّة عند الوقوف بين يدي آيات الخوف والرجاء ، فيحسّ بهيبة ألفاظها ومعانيها، وتتوق نفسه إلى الطُّمأنينة في الدنيا والآخرة والأمن يوم الفزع الأكبر. كيف لا وانتقاء ألفاظها وإبداع سبكها وروعة تصويرها لمعانيها بلغ غايات البلاغة والبيان.من هنا نشأت فكرة الموضوع (الإعجاز البلاغي في آيات الخوف والرجاء) رغبة في الاقتراب أكثر من تلمُّس بلاغة الإعجاز فيها.

وقد دعاني إلى اختيار هذا الموضوع أمور منها :

ـ أوّلا ابتغاء مرضاة الله عزّ وجلّ .

ـ رغبتي في نيل شرف التدبُّر في آي الكتاب ونظمه وتصريف بيانه. قال العلاّمة الجليل ابن عاشور (ت1393هـ) رحمه الله : « حسبك أنه حوى من العلوم والمعارف ما لا يفي العقل بالإحاطة به. فكم غاصت فيه أفهام العلماء من فقهاء ومتكلِّمين وبلغاء ولغويّين وحكماء، فشابه الشيء الثقيل في أنَّه لا يقوى الواحد على الاستقلال بمعانيه » [2]

ـ رجائي في بيان قيمة علوم البلاغة العربية ، وأثرها في تنمية الذوق والإحساس بالجمال، وميلي إلى قراءة ما يتَّصل به من فنون التعبيرالبياني .

ـ توجيه الأنظار إلى اتخاذ القرآن منهجًا في فهم ما تنطوي عليه الطبائع البشريَّة المختلفة في شتَّى جوانب الحياة، فإنَّ منزل القرآن هو الله عزّ وعلا خالق البشر، وهو أعلم بطبائعهم .

ـ إبراز الأثر الكبير لأحوال الخوف والرجاء على حياة الناس، ففي ظلِّ الرجاء يرغد العيش وينبت الهناء ، وفي ظل الخوف يسعى المؤمن للاجتهاد في العبادة والطّاعة للفوز بمرضاة الله تعالى، وهذا مطلب كلّ إنسان في الدنيا والآخرة، يمتاز فيه المؤمن عن غيره بالنظر البعيد نحو آفاقه الأخرويَّة

[2] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير، الجزء 11 ، ص 244 .

الخالدة. والخوف ركيزة مهمَّة من ركائز العبوديَّة تنبني عليها علاقة المؤمن بربّه.

ـ وما أبدع ما قاله ابن القيّم (ت751هـ) في منزلة الخوف من العبادة : « القلب في سيره إلى الله تعالى بمنزلة الطائر، فالمحبَّة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلِم الرأس والجناحان فالطائر جيِّد الطيران، ومتى قُطع الرأس مات الطائر، ومتى فُقد الجناحان فهو عُرضة لكلِّ صائد وكاسر »[3]. ولذلك كلِّه اخترتُ الخوف والرجاء لأنهما معنيان متقابلان ومتلازمان .

ـ أما سبب اختياري لسورة التوبة هو لما فيها من الأغراض البلاغية المتنوعـــة من تحريـــض للمسلمين على القتال في سبيل الله ، وتذكيرهم بنصر الله ، وترغيبهم في الجنة ووعدهم بالفوز في الدنيا والآخرة ثمّ ذم ،وترهيب ،وزجر،ووعيد لمشركين والمنافقين المتثاقلين والمعتذرين والمستأذنين في التخلف بلا عذر عن الغزو مع رسول الله ﷺ. ولما فيها أيضا من أساليب الأمر والنهي الاستفهام ، ومن صور التشبيه والمجاز والاستعارة و الكناية ، في تصوير فنيّ بلاغيّ دقيق تتفاوت فيه درجات البلاغة من آية إلى أخرى.

واقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في مدخل، ثلاثة فصول وخاتمة .تكفَّل المدخل بتجلية مفردات العنوان وفق مباحثَ ثلاث :

الأول : مفهوم الإعجاز وتطوره عبر العصور.

الثاني : مفهوم الخوف والرجاء .

الثالث : التعريف بسورة التوبة وسبب نزولها .

الرابع : حصر آيات الخوف والرجاء (الآية و رقمها) .

[3] أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ص 154 .

وتناول الفصل الأول جهود العلماء في الإعجاز ، وحوى ثلاثة مباحث :

أولها : جهود علماء الفكر الإسلامي القديم .

الثاني: جهود علماء الفكر الإسلامي الحديث .

الثالث: نشأة البحث البلاغي وتطوره.

وتناول الفصل الثاني البلاغة الإعجازية لآيات الخوف في سورة التوبة ، وحوى ثلاثة مباحث :

الأول : علم المعاني وأسراره البلاغية .

الثاني : علم البيان وأسراره البلاغية.

الثالث : علم البديع وأسراره البلاغية.

أما الفصل الثالث فتناول البلاغة الإعجازية لآيات الرجاء في سورة التوبة ، وحوى ثلاثة مباحث :

الأول : علم المعاني وأسراره البلاغية .

الثاني : علم البيان وأسراره البلاغية.

الثالث : علم البديع وأسراره البلاغية.

وقد حفل الفصلان الأخيران بكنوز من الصور الفنية، وأبانا عمَّا أفاض به الفتَّاح العليم من أسرار بلاغيَّة لتصريف المعاني والبيان والبديع في عرض صور الخوف والرجاء بطرق الحقيقة والبيان المعجز.

وذُيِّلت الرسالة بعدئذ بخاتمة ضمَّت أبرز النتائج ، تلاها ثبت المصادر والمراجع و فهرس الموضوعات.

وكان منهجي في البحث كما يلي :

ـ جمع المادة من مرجعها الأوّل القرآن الكريم بحصر آيات الخوف والرجاء حصرًا أوليًّا ، ثُمَّ انتقاء أقربها دلالة للموضوع .

ـ الرجوع إلى ما تيسَّر من كتب التفسير خاصَّة ذات النزعة البلاغيّة ، وكتب علوم القرآن، ومعاجم لغويَّة في المفردات والمعاني ، وقليل من كتب النحو وإعراب القرآن لتحقيق المسائل التي يحتاجها المعنى ، وكتب الإعجاز من لغويّة وبلاغيّة ، بالإضافة إلى كتب البلاغة خاصّة بعلومها الثلاثة المعاني والبيان والبديع ، للوقوف على بعض التعريفات والمسائل والتحليلات البلاغيَّة ، وتحرير ما قد يرد من أقوال حول الآيات موضع الدراسة .

ـ إبراز القيمة البلاغية لكل فصل بالتعريف بموضوعه ، مع التركيز على القضايا التي لا مناص من الوقوف عليها ، وحرصتُ على نقل كلام العلماء حسب التسلسل الزمني ، وتتبَّعت ما أمكن من آرائهم . كما عزوتُ الآيات الواردة في البحث إلى مواضعها في القرآن .

ـ السير في تحليل الآيات على المنهج التاريخي الوصفيّ ، القائم على تحليل الآيات موضع الدراسة ، باستقراء القضايا البلاغية ورصدها، ومن ثم تصنيفها وتحليلها ومناقشتها وقياسها بما ورد عند العلماء .

ـ استحضار الغرض من سياق الأيات ، ثُمَّ تتبّع الصور التعبيريَّة الفنية فيها بالنظر إلى مفرداتها ، مع تحليل الصور الواردة فيها تحليلاً بيانيًّا يكشف عن أغراضها البلاغيّة، ومعانيها العميقة وفق ما رسمه عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) وكل علماء البلاغة ، دون الاقتصار على عنصر واحد في إيراد الصورة .

ـ اعتماد الفنون البيانية البارزة في إدراج الآية ضمن الفصلين الأخيرين للبحث . وفي بعض الأحيان أضطر إلى التوسُّع في الفنِّ البيانيّ البارز فيها مع إشارات سريعة إلى غيره من فنون البيان لإبراز جمال النظم وبلاغة الإعجاز.

ـ العناية باستجلاء اللطائف البيانيَّة في السياق القرآنيّ واعتماد الصِّبغة الفنِّيَّة التذوُّقية في إبراز ما في الآيات من نكتات بلاغيَّة . واحتكمتُ عند الاختلاف بين المفسِّرين والبلاغيين حول جانب من جوانب الآية إلى النظر في الأدلة والسياق .

ـ إبراز فاعلية الصور البيانيَّة من تشبيه واستعارة وكناية، والمحسنات البديعية ولم أُغفل الصور الحقيقيَّة ، فكلاهما حاز أعلى مراتب البلاغة . وقد استبعدتُ كثيرًا النصوص التي ذهب بعض أنصار التأويل إلى تلمُّس المجاز والكنايات فيها ، و الرأي الذي ملتُ إليه هو أخذ النصوص على ظاهرها الذي فسَّرها به السلف دون تأويل إلاَّ بدليل من النصِّ نفسه أو من خارجه ، لأنَّ الأصل في كلام الله الحقيقة .

ـ الحرص على بيان الأسرار البلاغيَّة بإبراز ظاهرة التحوُّل الأسلوبيّ في اتِّفاق المعاني أو تقابُلها أو التغاير الزمنيّ، وتجلية الفوارق بينها بتأمُّل أفانين النظم القرآنيّ ، وأثرها في إيصال المعانى .

ـ العناية بالشواهد سواء كانت شعرًا أم كلامًا منثورًا لأحد العلماء ، وعزوتها إلى مصادرها ، وذكرتُ أصحابها وما يتَّصل بها.

ولم يخل الموضوع من جملة من الصعوبات كان أشدّها على النفس الخوف من الزلل، والقصور عن فهم أسرار البيان المعجز، لكن حسبي في ذلك أن أتمثَّل قول العلامة الطاهر بن عاشور: « لم أر غرضًا تناضلت له سهام الأفهام ، و لا غاية تسابقت إليها جياد الهمم فرجعت دونها

حسرى ، و اقتنعت من صُبابة نزْرًا ، مثل الخوض في وجوه إعجاز القرآن الكريم »[4].

ناهيك عن صعوبة حصر الآيات في هذا الموضوع ، فمجال النفس رحب تتشابه فيه الانفعالات، فيرتبط الذلُّ والندم والحزن بالخوف خاصَّة في بعض الآيات ، مما يجعل الأمر يحتاج إلى صفاء ذهن وطول فكر وعُمق فحص فيما ورد عند المفسِّرين وأهل اللغة والبلاغة.

ومن الصعوبات أيضًا ما يحتاجه تأمُّل النصوص وتطبيق الفنون البلاغيَّة من إمعان فكر، وطول مراجعة لكلام أهل العلم . فضلاً عن كثرة المراجع وتفرُّق مادة البحث في كتب البلاغة ، و اللغة ، و التفسير .

وما كان لهذه الرسالة أن تكتمل لولا فضل الله ، ثُمَّ توجيهات المشرف الدكتور قدور إبراهيم عمار المهاجي ، فكم سخا بعلمه ووقته الثمين حاثًّا خطاي ، حريصًا على خروج البحث في أحسن صورة صياغة ومضمونًا ومنهجًا . وليس أمامي إلاَّ أن أتوجَّه إلى الله أن يجزيَه خير ما يجزَى به العلماء المخلصين وأن يبارك في علمه ووقته وأهله.

كما أزجي صادق الشكر مكلَّلاً بالدعاء إلى والدتي الحبيبة التي ما فتئت تدعو لي، وتستحثُّني على إكمال رحلتي العلميّة ، وتعينني بتوجيهاتها السديدة . أسأل الله أن يجزيها خير ما جزى به والدًا عن ولده .

وأترحم على أوَّل من غرس في نفسي حبّ القرآن والإحساس ببلاغته، فكم استمعتُ إليه تارة يرتله في أرجاء منزلنا العامر بصوته العذب ، وتارة يدعو الواحد الأحد أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا . إنَّه والدي الحبيب - رحمه الله - ما زال صوته يرنّ في أذنيّ و تتردّد أصداؤه في جنباتي ،

[4] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير، ج 1 ، ص 99 .

فاللهم ارحمه رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنّاتك.

والشكر بعد لإخوتي الأعزَّاء ولكلِّ قلب نبض لهذا البحث إحساسًا وأملاً ودعاء.

فاللهم اجزهم جميعًا، وكلَّ من أهداني علمًا نافعًا خير الجزاء ، اللهم ثقّل موازينهم وقولهم بفضلك ، إنك وليّ ذلك والقادر عليه.

وفي الختام أسأل المولى عزّ وجلّ أن يتجاوز عن تقصيري ، فما قصدت من موضوعي هذا إلاَّ أن أنال رشفة من أعذب منهل ، وحسبي أن أقف خاشعة أمام إعجازه الربّانيّ أمتّع البصر بلطائف نظمه ، وأرهف السمع لعظيم بيانه . وأحمد الله على ما منَّ به من فضل وكرم ، وأتوب إليه مما ندَّ به الفَهم، أو زلَّ به القلم ، وأصلي وأسلِّم على خير خلقه، وأشدِّهم خشية له وأعظمهم طمأنينة بربّه ، نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مفهوم الإعجاز وتطوره عبر العصور :

الإعجاز هو الفوت والسبق ،ويطلق على الفائز السابق لخصمه ، الذي جعل خصمه عاجزا عن إدراكه [5] . والإعجاز البلاغي هو الذي ذهب إليه الأكثرون من علماء أهل النظر وسيطر على مباحث المتكلمين في الإعجاز ،سواء منهم من جعلوه الوجه الذي يصحّ به التحدي بالسورة الواحدة من القرآن. والإعجاز عند الجرجاني (471ه) هو حسن النظم والتأليف ، والنظم هو توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلمات الجمل .[6]

وإعجاز القرآن هو أنه أعجز الكافرين عن أن يأتوا بمثله ، فكذبوا رسول الله ،وزعموا أنّ القرآن الذي معه ليس كلام الله ، وإنّما هو كلام بشر آخر.كما زعموا القدرة على معارضته ، فتحداهم الله تعالى أن يؤلفوا مثله ، ولكنهم لم يستطيعوا وعجزوا ، فصار القرآن معجزا لهم ، وأوقع بهم العجز والضعف والقصور والتأخّر. فإعجاز القرآن إذن هو عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن ، وقصورهم عن الإتيان بمثله ، رغم توفر ملكتهم البيانية ، وتقرير عجزهم .

كما تتعلق بإعجاز القرآن أمور هامة تتمثل في كون قليل القرآن وكثيره في شأن الإعجاز سواء ، وفي كون الإعجاز في بيان القرآن ونظمه ومباينة خصائص بيانه لخصائص بيان لغة العرب ، وفي قدرة العرب على الفصل بين كلام البشر وكلام غيرهم ، وفي معرفتهم أن المطلوب منهم في التحدي هو مثل هذا البيان القرآني ، وفي أنه لم يكن المطلوب منهم في التحدي الإتيان بمثل القرآن مطابقا لمعانيه ،وإنما المطلوب مثله في البيان فقط ، وأنّ التحدي في القرآن مستمر إلى يوم الدين للكافرين المنكرين الزاعمين القدرة على المعارضة .[7]

---

[5] صلاح عبد الفتاح الخالدي ، إعجاز القرآن البياني ، ص 15 .

[6] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 55 .

[7] انظر مقدمة تحقيق محمود شاكر في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، ص 6 .

والواقع أن المصنفات الأولى في الإعجاز على اختلاف مذاهب أصحابها كانت أشبه بمباحث بلاغية . وبعد أن استقلت البلاغة بالتأليف والتصنيف ، وجّهت إلى خدمة الإعجاز البلاغي ، يقول الزمخشري : « لا بد من علم البيان والمعاني لإدراك معجزة رسول الله ومعرفة لطائف حجته.»[8].

لقد جاء العلماء بآراء مختلفة فى الوجوه التى جعلت القرآن الكريم معجزا إلى يوم القيامة وسأذكرها فيما يلى بالاختصار الشديد:

من هذه الأقوال القول بالصرفة ، ومعناه أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم ، وكان من الممكن أن يعارضوا القرآن، ولكن الله تعالى سلب صلاحيتهم فصرفهم عن المعارضة. فشأن هذا الإعجاز مثل سائر المعجزات للأنبياء .

ولكن هذا القول فاسد للوجوه الآتية: منها أن تحدي الله تعالى يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، لأن الله تعالى لو سلبهم القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم. ومنها أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن وفى القول بالصرفة يضاف الإعجاز إلى الله تعالى بأنه أعجز الناس كافة عن معارضته ، وهذا الإعجاز غير راجع إلى القرآن الكريم ولا إلى حسنه وإلى مزاياه وهذا القول مردود . ومنها أنه يلزم من القول بالصرفة فساد آخر وهو زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي، لأن الصرف كان راجعا إلى الناس الذين كانوا موجودين في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإذا انتقلوا من هذه الدنيا انتهى الصرف فلم يبق الإعجاز القرآني، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة على بقاء معجزة الرسول العظمى ولا معجزة له باقية سوى القرآن وخلوه من الإعجاز يبطل كونه معجزة .

[8] جار الله الزمخشري ، الكشاف ، الجزء الثاني ، ص 3.

يقول الباقلاني : « الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن ، أنّ نبوّة نبيّنا عليه السلام بنيت على هذه المعجزة . فأما دلالة القرآن فهي عن معجزة تامة ، عمّت الثّقلين ، وبقيت بقاء العصرين ، ولزوم الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة إلى حد واحد.»[9]

ومنها أن من وجوه كون القرآن معجزا ، هو أن وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف ، وهو بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة ، وعلت مركباته معنى ، بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى . فالإعجاز راجع إلى حسن الكلمات وحسن التركيب بعضها مع بعض وحسن المعاني الموجودة في مركباتها.

ومنها أن الإعجاز في ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة . و فى ما تضمن من إخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين .

ومنها أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه ، إعجازه أن الله أحاط بكل شيء علما وأحاط بالكلام كله علما ،وبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة.ومنها أن وجه الإعجاز في الفصاحة و في ما فيه من النظم والتأليف والترصيف ،وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومباين لأساليب خطاباتهم .

ومنها أنه شيء يوجد بالحس والذوق ولكن لا يمكن التعبير عنه .ومنها أن لإعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ فى آحادهم ، وهو صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس ، وهذا يدل على كمال أثر القرآن في القلوب ، حتى في قلوب الذين أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم. ومنها وهو قول أهل التحقيق أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد عن انفراده.

[9] أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص10.

لقد كان أول استعمال لمصطلح الإعجاز في القرن الثالث الهجري ، على يد علي بن ربن الطبري (247هـ) في كتابه (آية النبيّ ﷺ)[10] ، وإبراهيم بن سيار النظام (231هـ) ، وأقرّ بالصرفة أي أن الله صرف الكفار عن معارضة القرآن ، ثم الجاحظ (255 هـ) في كتابه (نظم القرآن) وقال بالإعجاز البياني ، وابن قتيبة (276هـ) في كتابه (تأويل مشكل القرآن) .

وفي القرن الرابع الهجري شهد الإعجاز نهضة كبيرة ، فبدأ الكلام عنه يأخذ طابع التقعيد والتنظيم والترتيب ، وشهد تأسيس أفكار وآراء أصيلة على أيدي : الرماني (384هـ) في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) ، والخطابي (388هـ) في كتابه (البيان في إعجاز القرآن).

أمّا القرن الخامس الهجري ، فقد شهد توسيع القول في إعجاز القرآن وبسط الأدلة عليه ، وتفصيل القول في وجوهه ، وتم ذلك على يد الباقلاني (403هـ) في كتابه (إعجاز القرآن) ، والجرجاني (471هـ) في كتابه (دلائل الإعجاز). وفي القرن الرابع عشر الهجري شهد الإعجاز انطلاقة واسعة على أيدي علماء وباحثين فصلوا القول في حقيقته ، وفي وجوهه وألوانه ، وفي أمثلته وتطبيقاته.[11]

وبهذا انتقلت دراسة إعجاز القرآن من نظرات مجملة إلى دراسة مفصلة ، وتحول النظر إلى الإعجاز من كونه وسيلة إلى غاية سامية هي إثبات النبوة والمصدر الرباني للقرآن ،لتكون الدراسة غاية بحد ذاتها ،أمام التعبير القرآني نفسه ، وأساليب البيان المعجز فيه ، ومظاهر النظم الدقيق السامي فيه، وأصبح علما مستقلا هو علم البلاغة القرآنية ، أو علم أساليب البيان في القرآن ، أو علم النظم القرآني الرائع .[12] يقول الإمام الشيخ أبو بكر الباقلاني (403هـ) : « والوجه الثالث أنه بديع النظم ،عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه.وما يشتمل عليه بديع نظمه

[10] أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص 81 .
[11] صلاح عبد الفتاح الخالدي ، إعجاز القرآن البياني ، ص 85 .
[12] صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ص 108 .

المتضمن للإعجاز وجوه ، منها: ما يرجع إلى الجملة ،وذلك أنّ نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد .»[13]

مفهوم الخوف والرجاء :

مفهوم الخوف :

الخوف هو الذي يكفّ الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات ، لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس . ولا يتحقق إلا بانتظار مكروه كالنار أو المعاصي التي تؤدي إلى مكروه في الآخرة . فالخوف من المعصية خوف الصالحين ، والخوف من الله خوف الموحدين الصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله .

والخوف هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقّع مكروه في الاستقبال [14]. هذا هو الخوف الذي أمر الله تعالى به وأوجبه وشرطه في الإيمان . و قد ورد في القرآن الكريم كلّه إمّا بمعناه الذي وضع لأجله وإمّا الرّجاء بمعنى الخوف لتلازمهما الشّديد. ولأنّ مستقى الخوف من بحر الغضب ومستقى الرّجاء من بحر الرّحمة كانت غلبة الخوف أصلح من غلبة الرّجاء لغلبة المعاصي و الآثام. [15]

والخوف يدلُّ على الذُّعر والفزع . وهو توقُّع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، وضدُّه الأمن، ويستعمل في الأمور الدنيويّة والأخرويّة. وهناك مَن عرَّف الخوف بأنَّه: انفعال في النفس يحدث لتوقُّع ما يرِد من المكروه أو يفوت من المحبوب.

[13] أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص52 .
[14] أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 4 ، ص 157 .
[15] أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 4 ، ص 161 .

وعند علماء النفس: هو انفعال نفسيٌّ عنيف يعرِض عند تصوُّر شيء قريب الوقوع ، يستجيب له الجسم بتغيُّرات واسعة المدى، قد تدفعه إلى الهرب والفرار، أو الكتمان والإخفاء ، أو جمود الحركة [16]. فالخوف يفيد الإنسان السويَّ في اتِّقاء الأخطار التي تهدِّد حياته، ويدفعه إلى تجنُّب المعاصي، والحرص على الطاعات.

إنَّ الحياة مع البُعد عن الدين الحقِّ مخيفة موحشة يفترس القويُّ فيها الضعيف، مظلمة كبحر لجيٍّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب. لكنَّها مع الإيمان جنَّات وارفة الظلال يتبوَّأ الإنسان فيها حياة طيِّبة مبارَكة يثمر وينتج ، ويعيش آمنًا في كنف الإسلام ، فهو دين الأمن والأمان والعزَّة والكرامة ، يزوِّد الإنسان بزاد التقوى والخشية من الله، ويحرِّره من الخوف مما سواه ، ليأخذ بيده نحو الحياة الطيِّبة في الدنيا والآخرة، ويحميَه من أعاصير الخوف والجبن التي تعصف بأمنه واطمئنانه ، وتجعله يتخبَّط في فزع ورعب دائمين ، بسبب داء الغفلة الذي يسري في نفسه ، ليغتال كلَّ صالحة وخير.

ولا أدلّ على هذا النوع من قلوب المنافقين والمنحرفين التي تنفر من كلِّ خير تُدعَى إليه لأنها خاوية مزعزعة الإحساس، متوجِّسة من المستقبل ومن مجهول الحياة . وشتَّان بين هذه الصورة المظلمة القاتمة، والصورة المشرقة التي تقابلها.. صورة الخوف من الله ،فمن خاف الله آمنه من كلِّ شيء ، ومن لم يخفِ الله أخافه من كلِّ شيء .

[16] صفوت عبد الفتاح محمود ، كتاب الخوف والرجاء ، ص 223 .

إنَّ الخوف من الله تعالى نابع من حُسن المعرفة به. فليس وجَلاً مبهَمًا لا تدرَك نتائجه، بل شعور واضح بعظمة الخلاَّق سبحانه، وما يليق به من مهابة وإجلال. فالخوف منه تعالى يختلف عن أيّ خوف بأنَّه يوجِب هربًا إليه ، لا هربًا منه ، كما أنَّه مخافة مقرونة بحلاوة وطُمأنينة وسكينة ومحبَّة. هذا الخوف المحمود، وهذه المشاعر لا يستغني عنها حيٌّ في حُكم نفسه وضبط سلوكه.

قيل للحسن البصريّ : يا أبا سعيد، كيف نصنع؟ نجالس أقوامًا يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير! فقال: والله إنَّك إنْ تخالط أقوامًا يخوفونك حتى يدركَك أمن ، خير لك مِن أنْ تصحب أقوامًا يؤمِّنونك حتى يدركَك الخوف[17].

وللخوف أنواع مختلفة : منها ما هو محمود كالخوف من الله تعالى ، حينما يحول بين الإنسان وبين المعاصي ويدفعه إلى الاجتهاد في العبادة، فيحقِّق له السكن والاطمئنان ، أمَّا حين يؤدِّي إلى اليأس والقنوط والتمادي في المعصية يكون مذمومًا . وقد ذكر رسول الله ﷺ أسباب الرجاء وأكثر منها ، ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضي إلى القنوط[18].

وهناك خوف طبيعيٌّ أو فطريّ لا يُلام عليه العبد إلاَّ إذا كان سببًا لترك واجب، أو فعل محرَّم ، كالخوف من الموت أو القتال . ومن الخوف ما هو مَرَضيّ سببه الضلال وخواء القلب يأتي في صورة رُعب غامض أو جُبن شديد يمنع صاحبه من مواجهة الناس ويجعله يتخبَّط. وقد خصَّ القرآن المنافقين بهاته المخاوف ووصفهم بمرض القلب في غير آية.ومن أنواع الخوف رعب يقذفه الله في قلوب أعدائه لنصرة أوليائه .

[17] أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 4 ، ص 125.
[18] أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 4 ، ص65.

الخوف بين الخشوع والخضوع والخشية :

والخشوع يدلُّ أصله على التطامُن . والفرّق بين الخشوع وبين الخضوع ، أنَّ الأوَّل لا يكون إلاَّ مع الخوف ، فيمكن أن يضاف إلى القلب ، وتوصَف به الجوارح ، أمَّا الآخر فلا يقتضي أن يكون معه خوف ، لذا لا يجوز إضافته إلى القلب.[19] والفرق بينه وبين الخوف أنَّ الخشوع لا يأتي إلاَّ عن انفعال صادق وإحساس عظيم بجلال من يُخشع له، أمَّا الخوف فيمكن أن يحدث عن قهر وإرهاب[20].

وإذا قارنا بين خشوع المؤمنين نجده في الدنيا و خشوع الكفار نجده في الآخرة ،لأنّ المؤمنين يخشعون في الدنيا عن صدق إيمان وتقوى ، أما الكفار فيخشعون بعد أن يأتي اليوم الذي يوعدون خوفا ورهبة وذلّة .

والإنسان لا يخشع إلا عن انفعال صادق بجلال من يخضع له . وأما الخوف فقد ينجم عن قهر أو تسلط، كما قد يكون الخضوع كلفا عن نفاق أو خوف،أو تقية أو مداراة.

أمّا الخشية فتتعلق في القرآن بأمر يُخشى ، كالغيب والساعة واليوم الآخر والإملاق والطغيان. أو بذات فتكون لله وحده، أو بوصف أو بيان لحال المؤمنين في هذه الحياة الدنيا .

وتفترق عن الخوف ، في أنها تكون عن يقين صادق بعظمة من نخشاه ، وكل خشية في القرآن الكريم هي في الحياة الدنيا دار الابتلاء لا الآخرة . وتسند خشية الله في القرآن إلى الذين يبلغون رسالات ربهم ، ومن اتّبع الذكر والمؤمنين، والعلماء ، والذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

[19] عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، الإعجاز البياني للقرآن ، ص 226.

[20] صفوت عبد الفتاح محمود ، كتاب الخوف والرجاء ، ص 225.

ومن الفروق الدقيقة بين المترادفات تتجلَّى خصوصيَّة اللفظ القرآنيّ ودِقَّة اختياره ، وما يحقِّقه انتظامه في سياقه من قيمة بيانيَّة عظيمة . فلو نُزعت كلمة من كتاب الله، ثُمَّ أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها أو أدلّ على المعنى ، لم يجد .[21]

مفهوم الرجاء :

الرّجاء ممدود نقيض اليأس . نقول رجا يرجو رجاء ، و من قال رجاة أن يكون كذا فقد أخطأ، إنما هو الرجاء . و الرّجو المبالاة ، يقال ما أرجو أي ما أبالي .[22] و الرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ، ولكن ذلك المحبوب المتوقع لابدّ و أن يكون له سبب ، فلا يُطلق اسم الرجاء و الخوف إلاّ على ما يتردد فيه ، أمّا ما يقطع به فلا . إذن اسم الرّجاء إنّما يصدق على انتظار محبوب تمهّدت جميع أسبابه الدّاخلة تحت اختيار العبد، و لم يبق إلاّ ما ليس يدخل تحت اختياره و هو فضل الله تعالى بصرف القواطع و المفسدات .[23]

والعمل على الرجاء أعلى منه على الخوف ، لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له ، والحب يغلب الرجاء ، واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفا من عقابه ، والآخر رجاء لثوابه .[24]

والرجاء أبدا معه خوف ، كما أن الخوف معه رجاء ، وقد يكون الرجاء بمعنى الخوف . كقوله تعالى : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾[25] ، أي لا تخافون عظمة الله .

وقد تكرّر قوله تعالى : ﴿ لِمَن يَشَاء ﴾ كثيرا ، في القرآن الكريم عموما ، وفي سورة التوبة خصوصا ، وفي ذلك نعمة عظيمة من وجهين : أحدهما أنّها تقتضي أنّ كل ميت على ذنب دون الشرك

---

[21] صفوت عبد الفتاح محمود ، كتاب الخوف والرجاء ، ص 75.
[22] الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، ص 176.
[23] أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، الجزء 4، ص139.
[24] أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، الجزء 4، ص 141 .
[25] سورة نوح [13]

لا يقطع عليه بالعذاب ، وإن مات مصرًّا . والثاني أنّ تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين ، وهو أن يكونوا على نفع وطمع .[26]

فالمغفرة من الله تعالى تكون لمن اقتضته مشيئته ، تفضّلا منه وإحسانا ورحمة . فهو كثير المغفرة و الرحمة ، يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه .وهو الذي يقبل التوبة ، وهو الرحيم بالتائبين الذين يثيبهم على ما قدّموا من عمل ، ويمنعهم الخوف أن يصرّوا على على ذنب .

وتأخير العذاب عن الكفار برحمة الله ، و لا نصيب لهم في رحمته . ذلك أنّ الرحمة التي بمعنى النعمة ، لا يخلو منها مؤمن ولا كافر ، وأمّا الرحمة التي هي الغفران و الرضا ، فليس للكافرين فيها نصيب .كما أنّ رحمة الله محظورة على الكفار يوم القيامة ، فأمّا في الدنيا، فإنهم ينالون منها العافية و الرزق .[27] و من أجل ذلك تنوعت الأغراض البلاغية من إطماع ، وتهييج، وترغيب ، وترهيب ، وتحفيز ، وتهويل ، وتوبيخ في مقامات متنوعة من أساليب الذكر الحكيم .

وبتأمُّل ما ورد في الكتاب العزيز من معاني الخوف و الرجاء ، تبرز طرق أدائهما المتنوِّعة فتارة يأتيان بلفظيهما صراحة ، كقول الله تعالى :﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[28] .

وتارة يكون التعبير بأحد مرادفاتهما لينهض بالمعنى بدقَّة متناهية في الدلالة الصوتيَّة والمعنويَّة، لا ينافسه فيها لفظ من الألفاظ التي تقارب معناه ، كقول الله تعالى : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[29]

[26] كتاب الخوف و الرجاء ، صفوت عبد الفتاح محمود ، ص 148 .
[27] صفوت عبد الفتاح محمود ، كتاب الخوف و الرجاء ، ص 168 .
[28] سورة الأعراف [56]
[29] سورة الأنبياء [90]

التّعريف بسورة التّوبة:

تعدّ سورة التوبة من السور المدنية إلاّ الآيتين الأخيرتين فمكيتان وآياتها مائة وثلاثون وقيل مائة وتسع وعشرون، وهي السورة التاسعة في ترتيب سور القرآن الكريم بعد سورة الأنفال مباشرة ولو أنّها نزلت بعد المائدة في قول الزمخشري وبعد الفتح في قول جابر بن زيد. وهذه السورة آخر السّور نزولا عند الجميع وهي الرّابعة عشرة بعد المائة في عداد نزول سور القرآن الكريم والجمهور على أنّها نزلت دفعة واحدة فتكون مثل سورة الأنعام بين السّور الطّوال[30]. ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله والمشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينهم وبينه ، و العهد هو أن لا يصد عن البيت أحد ولا يتعرض لحاج و لا معتمر ولا يقاتل في الشهر الحرام.

ومقصود سورة براءة هو معاداة من أعرض عمّا دعت إليه السّورة الماضية من اتّباع الدّاعي إلى الله في توحيده و اتّباع ما يرضيه وموالاة من أقبل عليه ، و أدلّ ما فيها على الإبلاغ في هذا المقصد قصّة المخلّفين فإنّهم- لاعترافهم بالتخلّف عن الدّاعي بغير عذر في غزوة تبوك المحتمل على وجه بعيد منهم ، رضي الله عنهم للإعراض بالقلب- هجروا و أعرض عنهم بكلّ اعتبار حتّى بالكلام ، فذلك معنى تسميتها بالتّوبة .[31]

والبراءة الخروج والتقصّي ممّا يتعب ورفع التّبعة ، و لمّا كان العهد يوجب على المتعاهدين العمل بما تعاهدوا عليه ، و يعدّ الإخلاف بشيء منه غدرا على المخلف ،كان الإعلان بفسخ العهد براءة من التّبعات التي كانت بحيث تنشأ عن إخلاف العهد .[32]

[30] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ،ج 10، ص97.
[31] برهان الدّين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور ، الجزء8 ، ص350 .
[32] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ،ج 10، ص 103.

وفي سورة براءة توبة على المؤمنين وتبرئة من النّفاق وبحث عن حال المنافقين وعن ما يفضحهم وما يهلكهم . يقول الزّمخشري : « لها عدّة أسماء : براءة، التّوبة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة المخزية ،الفاضحة ، المثيرة ،الحافرة ، المنكلة، المدمدمة ، سورة العذاب لأنّ فيها التوبة على المؤمنين ، وهي تقشقش من النفاق أي تبرّئ منه ، وتبعثر أسرار المنافقين، تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم.»[33].

وكانت تسمى الحافرة لأنها حفرت على قلوب المنافقين وذلك أنه لما فرض القتال تبين المنافق من غيره ومن يوالي المؤمنين ممن يوالي أعداءهم .[34] ولهذه السورة الكريمة هدفان أساسيان هما بيان القانون الإسلامي في معاملة المشركين وأهل الكتاب، وإظهار ما كانت عليه النّفوس حينما استنفرهم الرّسول ﷺ لغزو الرّوم .

وقد عرضت سورة التوبة عهود المشركين فوضعت لها حداً، ومنعت حجّ المشركين لبيت الله الحرام، وقطعت الولاية بينهم وبين المسلمين، ووضعت الأساس في قبول بقاء أهل الكتاب في الجزيرة العربية، وإباحة التعامل معهم. لقد كان بين النبي ﷺ والمشركين عهود ومواثيق، كما كان بينه وبين أهل الكتاب عهود أيضا ، ولكن المشركين نقضوا العهود وتآمروا مع اليهود عدة مرات على حرب المسلمين ، وخانت طوائف اليهود ما عاهدوا عليه رسول الله ﷺ ونقضوا عهوده مرات ومرات .

[33] جار الله الزّمخشريّ ، الكشاف ، ص200 .
[34] محيي الدين الدرويش ، معاني القرآن وإعرابه ، ص 437 .

وأمّا الهدف الثّاني فهو شرح نفسيات المسلمين حين استنفرهم رسول الله ﷺ لغزو الرّوم. وقد تحدّثت الآيات عن المنافقين وفضحت أساليب نفاقهم ، باعتبار خطرهم الدّائم على الإسلام والمسلمين . وقد اختلف في وقت تكامل نزول سورة براءة بين شوّال وذي القعدة وذي الحجّة .

كما اختلف العلماء في سبب سقوط البسملة من أوّل سورة براءة ، فمن ذلك أنّ هذه السّورة قد نزلت بنقض العهد الذي كان بين النبيﷺ و المشركين ، و كان قد بعث بها النبيّﷺ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فلم يبسمل على ما جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك البسملة . ومن ذلك أيضا أنّ الأنفال و براءة سورة واحدة ، فلم تكتب البسملة في أوّل براءة ، وكان ذلك في خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنه . وقول آخر بأنّ براءة قد نزلت بالسّيف لا أمان فيها ، وبسم الله الرّحمن الرّحيم أمان ، لذلك لم يُجمع بينهما . أمّا القول الآخر الأكثر صحّة عند العلماء فهو أنّ البسملة لم تذكر في أوّل براءة لأنّ سيّدنا جبريل عليه السّلام ما نزل بها .[35]

سبب نزولها :

صالح رسول اللهﷺ قريشا عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين فدخلت خزاعة في عهده ، ودخل بنو بكرفي عهد قريش.ولكن ذلك لم يتم، فتوالت غزوات الرّسولﷺ إلى سنة تسع، حيث أقام بالمدينة بعد انصرافه من الطّائف ذا الحجّة والمحرّم وصفرا وربيعا الأوّل وجمادى الأولى.

[35] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ،ج 10، ص102.

ثمّ خرج في رجب بالمسلمين إلى غزوة تبوك و هي آخر غزوة غزاها ، وفي تلك السّنة كره الحجّ لكي لا يخالط المشركين ويسمع تلبيتهم التي فيها من الإشراك بالله الكثير. فأمّر أبا بكر بأن يحجّ بأهل الموسم ويقرأ عليهم أربعين آية من صدر براءة . فلمّا خرج أبو بكر دعا رسول الله ﷺ عليّ رضي الله عنه ليقرأ براءة على النّاس حتّى يختمها ويخبر المشركين بأن لا يحجّ بعد عامه ذلك مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، وبأن لا يدخل الجنّة إلاّ نفس مسلمة ، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو له إلى مدّته ، ومن لا مدّة له فأربعة أشهر .

وكانت الحكمة من إعطاء براءة لعليّ أنّ الرّسول ﷺ أراد أن يقطع ألسنة العرب بالحجّة ، وهم الذين عهدوا ألاّ يحلّ العقد إلاّ الذي عقده أو رجل من أهل بيته براءة تضمّنت نقض العهد الذي عقده الرّسول ﷺ .

حصر آيات الخوف والرجاء في سورة التوبة :

لقد ورد الخوف والرجاء في سورة التوبة في مواضع كثيرة بطرق متنوِّعة تتنافس في البلاغة، وتستدعي إلى ما ذكره صاحب المثل السائر (ت637هـ) في تشبيه صياغة المعاني بصياغة الحلي، فاللآلئ فيها تُتخيَّر وتُنتقى، ثم تُنظم في أشكال مختلفة، فتارة تكون إكليلاً على الرأس ، وتارة تُجعل قلادة في العنق، وأخرى تكون شَنْفًا في الأذن، ولكلِّ موضع منها هيئة من الحسن تخصُّه .[36] ولهذا لن يسعني أن أحصر كل الآيات التي ورد فيها الخوف ، لأن السورة بأكملها تكاد تكون كلها خوفا .

[36] ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر، الجزء الأول ، ص149.

1 ـ **حصر آيات الخوف :**

الآية	رقمها
﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾	05
﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾	07
﴿ اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾	09
﴿ وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾	12
﴿ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	13
﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾	14
﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللّه شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾	17
﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ ﴾	18
﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	34
﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ	35

فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُون ﴾	
﴿ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾	36
﴿ إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا ﴾	39
﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	40
﴿ انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾	41
﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾	49
﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾	52
﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾	53
﴿ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾	55
﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	61
﴿ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾	63
﴿ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً ﴾	66
﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾	66
﴿ وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ	68

عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾	
﴿ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	69
﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ ﴾	80
﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾	82
﴿ وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾	85
﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾	87
﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾	93
﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾	109
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾	119
﴿ صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون ﴾	127

2 ـ حصر آيات الرجاء :

الآية	رقمها
﴿ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾	18
﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾	20
﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾	21
﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾	22
﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاء وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	27
﴿ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم ﴾	71
﴿ وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ72﴾	72
﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	88
﴿ أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾	89
﴿ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	99
﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾	100
﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ	102

اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	
﴿ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾	104
﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾	111
﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	112
﴿ لَقَد تَّابَ اللّه عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	117
﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾	124

تمهيـــــــــد :

تعد قضية الإعجاز في القرآن الكريم من القضايا الهامة التي عني بها العلماء وأفردوا لها التصانيف العديدة للرد على الهجوم الشعوبي على لغة القرآن وأسلوبه . وأول من اهتم بهذه القضية هم علماء الكلام من رؤوس الفرق الإسلامية ، وهم جماعة ظهروا في القرن الثاني الهجري . ولأن الإثراء الفني و الفلسفي هو الذي جعل القرآن أكثر إعجازا ، فقد عُدّت قضية الإعجاز القرآني قضية كلامية و بلاغية في نفس الوقت ، بل كان الجانب البلاغي في القرآن الكريم أبرز وجوه إعجازه .ي قول محمد رشيد رضا: « فالكلام في وجوه إعجاز القرآن واجب شرعا ، و هومن فروض الكفاية »[37]

ويقول السيوطي(911ه) : « اعلم أنّ المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة ، وهي إمّا حسية أو عقلية. »[38] ويقول : «لما ثبت كون القرآن معجزة لنبينا الكريم وجب الاهتمام بمعرفة وجه الإعجاز.»[39]

ويقول الباقلاني (403ه) : « الذي يوجب الاهتمام التّام بمعرفة إعجاز القرآن ، أنّ نبوة نبينا عليه السلام بنيت على هذه المعجزة »[40].

ويقول الجرجاني (471ه): « أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه ، وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها»[41].

---

[37] من مقدمة الطبعة الثانية لمصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، ص17.

[38] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 482 .

[39] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ،ص 484 .

[40] أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص 10 .

[41] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 39 .

ويقول:[42]

إنِّي أقولُ مقـالاً لستُ أُخفيـــــهِ ولستُ أرهبُ خصماً إن بدَا فيهِ

مَا مِنْ سَبِيلٍ إلَى إثْبَاتِ مُعجـــزةٍ فِي النَّظمِ إلاَّ بِمَا أصبحتُ أُبْديـهِ

فَمَا لنظمِ كـلامٍ أنتَ نـــاظمـــــهُ معنىً سِوَى حُكْمِ إعرابٍ تُزجِّيـهِ[43]

وقدْ عَلمنَا بِأنَّ النّظمَ ليسَ سِـــوى حُكمٍ منَ النّحـوِ نَمضِي فِي تَوخِّيـهِ[44]

مع أنّ قضية الإعجاز كانت قد نشأت في الأساس نشأة بلاغية ، لأن القرآن الكريم تحدى العرب بأن يأتوا بمثله فعجزوا لمعرفتهم علة عجزهم ، وهي أنّ في النظم القرآني شيء يخرج عن طاقة البشر واستطاعتهم . أمّا و أنه قد نزل بلغة قريش وبما ألفه الرسول ﷺ من اللغة القرشية ، فقد كان ذلك حجة قاطعة على إعجازه ، وإلاّ اعتُبر ضربا من ضروب الكهانة والسحر وما إليهما. ولو أنّ القرآن قد نزل أيضا بلغات القبائل الأخرى وإن اختلفت في اللحن والاستعمال ، مثل بني سعد بن بكر، وخزاعة، وهذيل ، وكنانة ، وغيرها، وكانوا كلهم على قرب من مكة.

وأمّا الألفاظ فقد اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب ، والغرابة المقصودة هي حسن اللفظ واستغرابه في التأويل .كما أنّ العلماء قد أحصوا الكثير من الألفاظ التي ترجع إلى لغات الفرس، والروم والحبشة، والبربر، والسريان ، والعبران والقبط .فنزول القرآن بهذه اللغة على نمط يعجز القليل والكثير معا.

[42] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص9.

[43] تدفعه برفق وتسوقه ، انظر عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 10.

[44] توخّي الشيء تحرّيه وتعمّد طلبه ، انظر عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص10.

يقول مصطفى صادق الرّافعي: «وإذا تمّ هذا النّظم للقرآن مع بقاء الإعجاز الذي تحدّى به ، ومع اليأس من معارضته على ما يكون في نظمه من تقلّب الصّور اللّفظية في بعض الأحرف والكلمات بحسب ما يلائم تلك الأحوال في مناطق العرب ، فقد تمّ له التّمام كله، وصار إعجازه للفطرة اللغوية في نفسها حيث كانت وكيف ظهرت ومهما يكن من أمرها ، ومتى كان العجز فطريا فقد ثبت بطبيعته.»[45]

ومع اتّساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول أمم ليس لسانها العربية في الإسلام ، تولّد الإحساس بالحاجة إلى الاهتمام بقضية الإعجاز القرآني ، والجانب البلاغي منها تحديدا، لأنّ العلماء قد جعلوا من البلاغة علما يمكن معه الوقوف على أحوال الإعجاز. وأوّل كتاب وضع لشرح الإعجاز هو كتاب (إعجاز القرآن) لأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي(306ه)، وبنى فيه على الجاحظ (255ه) كما بنى عبد القاهرالجرجاني (471ه) على الواسطي في (دلائل الإعجاز) .

أما كتب الإعجاز الأخرى فكلّها كتب بلاغية و إن كانت لمتكلمين و مفسّرين و فقهاء ولغويّين ونحويين ومنها:(مجاز القرآن) لأبي عبيدة ، و(معاني القرآن) للفراء ، (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة (البيان والتبين) للجاحظ ، (تلخيص البيان في مجازات القرآن) للشريف الرضي، (النّكت في إعجاز القرآن) للرمّاني،(بيان إعجاز القرآن) للخطّابي، (إعجاز القرآن) للباقلاّني (دلائل الإعجاز) للجرجاني وغيرهم كثيرم مّن تبعوا هؤلاء وساروا على دربهم.

[45] مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص35.

جـهـود عـلمـاء الفـكـر العــربي القـديـم :

جهود أبي عبيدة معمر بن المثنّى(210ه):

البصري النحوي الشّعوبي الخارجي المعادي للعرب . « وممّن يرى رأي الخوارج أبو عبيدة النّحوي معمربن المثنّى مولى تيم بن مرّة ، ولم يكن في الأرض خارجيا ولا جماعيا أعلم بجميع العلم منه.»[46]كان من أعلم الناس باللغة وأخبار العرب وأنسابها، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء (154ه) و يونس بن حبيب (187ه) النحو و الشعر، وعاصر الأصمعي (216ه).

كان إذا قرأ القرآن قرأه نظرا ،كما كان ذا حس لغوي خاص في إعراب الآيات، فيفسر القرآن وعمدته الفقه بالعربية وأساليبها ، مما جعل الكثير من معاصريه من اللغويين ينتقدونه . كما تحرّرمن المدرستين الكوفية والبصرية ومن قيودهما ، فعنى بالنّاحية اللغوية للقرآن. وكان يدرك ما في اللّغة والشّعر من جمال فنّي، ويقارن الصّورالشّعرية بعضها ببعض. له (غريب القرآن)، (مجازالقرآن) وضعه لمّا عاد إلى البصرة عن الأساليب مختلفة الأغراض في القرآن الكريم.

ولو أنّ أبا عبيدة لم يتناول قضية الإعجاز بالدّراسة في كتابه الذي جمع بين التفسير واللغة والبلاغة ،إلاّ أنّه اهتمّ بالجانب البلاغي للقرآن الكريم الذي هو أبرز وجوه إعجازه. يقول:« نزل القرآن بلسان عربي مبين ، فمن زعم أنّ فيه غير العربية فقد أعظم القول ، و من زعم أنّ (طه) بالنَّبطية فقد أكبر ، وإن لم يعلم ما هو، فهو افتتاح كلام، وهواسم للسّورة وشعار لها، وقد يوافق اللّفظ اللّفظ و يقاربه و معناهما واحد، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها [47]»

---

[46] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، الجزء الأول ، ص347 .

[47] أبو عبيدة معمر بن المثنى ، مجاز القرآن ، الجزء الأول ، ص 17.

واستخدم أبو عبيدة بعض المصطلحات البلاغية كالمجاز في تفسير الآيات القرآنية، موظّفا كلمات بعيدة عن المدلول البلاغي الذي تحدّد لها فيما بعد ، مثل (مجازه) و(غريبه) و(تأويله) ، ثمّ استخدم مصطلحي الكناية والتشبيه ، وقرن التشبيه تارة بمصطلح الكناية وأخرى بمصطلح التّمثيل.

كما اكتشف بعض الفنون والأساليب البلاغية التي جاء بها علماء البلاغة فيما بعد كالإيجاز بالحذف، وخروج الاستفهام عن ظاهرمعناه إلى أغراض بلاغية كالتقرير و الإنكار وغيرهما لمقتضيات بلاغية، وكذا أسلوب التقديم والتأخير مكتفيا فقط ببيان موضعه في القرآن الكريم ، وأخيرا أسلوب الالتفات و إن كان لم يطلق عليه هذا الاسم الاصطلاحي ولكنه حدّده تحديدا دقيقا في كثير من الآيات القرآنية.

فالمجاز عنده ينصرف إلى معاني الألفاظ أو العبارات أو إلى وجوه الصياغة وطرائق التعبير، وغايته في ذلك التدليل على أنّ القرآن معجز ولم يحد عن سنن العربية. يقول حسن طبل:« أمّا هذه الظّاهرة (التحوّل الأسلوبي) فقد كان يُشار إليها في تلك الحقبة المبكّرة من تاريخ البلاغة بمصطلحات أخرى غير مصطلح الالتفات، وهذا ما نجده واضحا على سبيل المثال في كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة ، ففي الصّفحات الأولى من هذا الكتاب نجد كثيرا من ألوان تلك الظّاهرة مندرجا تحت مصطلح (المجاز) »[48].

[48] حسن طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص12 .

أبو إسحاق النـــظّام (231هـ) :

هو إبراهيم بن سيار بن هانئ النظّام البصري ، شيخ الجاحظ وأحد رؤوس المعتزلة تنسب إليه الفرقة النظّامية التي تبنّت آراء شاذة و معتقدات باطلة ، جعلت العلماء يكفرونه هو و فرقته . اتهم بالإلحاد و الزندقة وتوفّي في خلافة المعتصم .هو أوّل من قال بالصرفة في تفسير الإعجاز القرآني ، رغم أنّه لم يدوّنه في كتابه .

وذهب إلى أنّ القرآن نفسه غير معجز، و إنّما كان إعجازه بالصرفة ، يقول:« إنّ الله ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبوّة ، بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام ، و العرب إنّما لم يعارضوه لأنّ الله تعالى صرفهم عن ذلك وسلب علومهم به»[49]. والقول بالصّرفة يعني أنّ العرب قد انصرفوا عن معارضة القرآن ، ولو عارضوه لجاءوا بمثله ، وهذا دليل الإعجاز. يقول عنه مصطفى صادق الرافعي: « فذهب شيطان المتكلمين أبو إسحاق إبراهيم النظام إلى أن الإعجاز كان بالصرفة ، وهي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارقا للعادة .»[50]

والإعجاز عندالنظّام جاء من الإخبار عن الأمور الماضية والمستقبلة ، وقد عاب البلاغيون هذا القول عليه، والواضح أن ّمفهوم الصّرفة هو انصراف العرب من أنفسهم عن معارضة القرآن لعجزهم أمام روعة بيانه رغم فصاحتهم و بلاغتهم . فكانت الصّرفة عن المعارضة هي وجه الإعجاز الذي عني به النظّام.

[49] أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص8.
[50] مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص 101.

تكفل المعتزلة أنفسهم بنقض قول النظام ، لأن القول بالصرفة يلزم منه فساد آخر، وهو زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي ، وخلو القرآن من الإعجاز، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة . فإنهم أجمعوا على بقاء معجزة الرسول العظمى ، ولا معجزة له باقية سوى القرآن ، وخلوه من الإعجاز يبطل كونه معجزة .[51]

جـهود الجاحـظ (255هـ):

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الكناني البصري المعروف بالجاحظ، رئيس فرقة الجاحظية من المعتزلة. ولد بالبصرة و نشأ بها و أدرك الأصمعي و أباعبيدة ، وأخذ عنهم. له الكثير من المصنفات أهمها (البخلاء) ، و(البيان والتبين)، و(التاج في أخلاق الملوك)، و(الحيوان)، و(رسائل الجاحظ) ، و(المحاسن والأضداد والعجائب والغرائب) ، و(نظم القرآن).

كان الجاحظ صاحب إبراهيم بن سيار النظام وتلميذه ، و لما سمع منه القول بالصرفة أنكره إنكارا شديدا ،لأن نظم القرآن عنده لا طاقة لبشر ، به والجيل الذي نبغ بالبيان وعرف مخارج الكلام حين كان يسمع الواحد منهم سورة قصيرة يرى فيها أمرا إلهيا لا يطيقه البشر. وهو يقر بأن إعجاز القرآن إنما هو بنظمه ، وتلك هي علة الإعجاز في نظام الكلام ، ومخرجه في لفظه ، مما أعجز العرب عجزا عرفوا علّته . وقد بحث في ذلك في كتابه (الحجّة في تثبيت النبوّة)[52].

[51] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص94.

[51] أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص8.

رفض الجاحظ القول بالصرفة ، وهي أنّ الله قد صرف العرب عن معارضة القرآن، و لو أنّ المتأخرين بعده قد عابوا عليه تضارب أقواله بين رفضه القول بالصرفة وقوله بها. و ربّما قد يرجع السبب في ذلك إلى أنّ الجاحظ لم يكن يرتكز على نظرية بلاغية محددة يصدر عنها آراءه .كما برهن الجاحظ على إعجاز القرآن الكريم ، وأنّه دليل على حجّة الله تعالى ، وردّ على النظام رأيه في الصرفة في كتاب (نظم القرآن) .[53]

تحدّث الجاحظ عن الأسلوب القرآني وبيّن من سماته ما جعله وجها من أوجه إعجاز القرآن ،كما تحدّث عن ألفاظ القرآن الكريم و عن الصورة البيانية فيه وحلل آياته . لكنّ الباقـــــلاّني قال عنه : « صنّف الجاحظ في نظم القرآن كتابا لم يزد فيه ما قاله المتكلمون قبله ، ولم يكشف عمّا يلتبس في أكثر هذا المعنى.» [54].

و القارئ للرسالة الشافية في الإعجاز للجرجاني يلحظ أنّ عبد القاهر قد عاب الكثير من الأقوال على الجاحظ . يقول الجرجاني: « ونرى الجاحظ يدعي للعرب الفضل على الأمم كلها في الخطابة والبلاغة ، ويناظر في ذلك الشعوبية ،و يجهلهم و يسفه أحلامهم في إنكارهم ذلك ، ويقضي عليهم بالشقوة و بالتهالك في العصبية و يطيل و يطنب .» [55].

[53] أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص8.
[54] أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص7 .
[55] عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية في الإعجاز ، ص576.

ولو أنّ ابن خلدون في مقدّمته ذكر أنّ كتاب البيان والتبيين) للجاحظ من أصول فن الأدب وأركانه. ويقول: « وربّما ذكروا الجاحظ و كل مذكور بأنّه كان أفضل من كان في عصره، ولهم في هذا الباب خبط و تخليط لا إلى غاية.»[56].

لقد رأى الجاحظ الإعجاز كما رآه أهل العربية ، وهو أنّ القرآن في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهد مثلها. لكنه كان كثير الاضطراب ، فلم يسلم من القول بالصرفة ، وإن كان قد أخفاها .[57] تناول في كتاب (الحيوان) قضايا البلاغة، فتحدّث عن الإيجاز والإطناب وحدّد مواضعها والعلاقة بينهما ، وتحدّث عن الإيجاز في القرآن الكريم ، وأشار إلى مراعاته لمقتضى الحال في خطابه للعرب وأهل الكتاب ، وعن الألفاظ وتناسبها مع الأغراض وعن اللفظ و المعنى و التشبيه.

كما سرد طائفة من أنواع العجز، وردها في العلة إلى أنّ الله صرف أوهام الناس عنها. وفي كتابه (البيان والتبيين) تناول أيضا مسائل البلاغة كالإيجاز والإطناب والألفاظ، الفصاحة والبلاغة ، البيان والتبيين البديع الدّعاء، القصص الكلام و المعاني وخصائص البيان النبوي.

وبالرغم من الجهود التي بذلها الجاحظ في مجال الإعجاز، إلاّ أنّها لم تكن بمثل تابعيه الذين اعتمدوا المنهج التحليلي الفني بدءً من الرماني ثم الباقلاني فالجرجاني، في حين كان يصدر أحكامه تبعا لشعوره الخاص وذوقه الأدبي . وبقيت حصيلة ما قيل في الإعجاز عند الجاحظ القول بنظم القرآن.

[56] عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية في الإعجاز ، ص 590.
[56] مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص103.

يقول: « و كيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور، و هو منثور غير مقفّى على مخارج الأشعار والأسجاع ، وكيف صار نظمه أعظم البرهان و تأليفه من أكبر الحجج. »[58].

جهود ابن قتيبة (276هـ) :

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، النّحوي اللّغوي و الدّينوري لأنّه كان قاضي دينور. كان كوفيا و مولده بها و نشأ ببغداد . أخذ عن والده مسلم بن قتيبة و عن أبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي (231هـ) و عن أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم (238هـ) و عن أبي حاتم السجستاني (248هـ) وتوفي بالكوفة . من مؤلفاته : (دلائل النبوّة)،و(غريب القرآن) ، (غريب الحديث)،و(أدب الكاتب) ، و(الإمامة والسياسة)،و(طبقات الشعراء)،و(عيون الأخبار) (تأويل مشكل القرآن)،و(تأويل مختلف الحديث) وغيرها كثير من أمهات الكتب.

فأمّا كتابه (تأويل مشكل القرآن) فقد تنوعت فيه القضايا البلاغية حيث بدأ بما خصّ به الله العرب من البيان و اتّساع المجاز،ثم حكى عن الطّاعنين على القرآن الكريم ، فقال:« وقد تدبّرت وجوه الخلافات في القرآن فوجدتها سبعة أوجه.[59] و قال : « وكان ممّا بلغنا عنهم أنّهم محتجّون بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾[60] »[61].

ثمّ أفرد بابا للردّ عليهم في وجوه القراءات ، فقال : « أمّا ما اعتلّوا به في وجوه القراءات من الاختلاف فإنّا نحتجّ عليهم فيه بقول النبيّ ﷺ : « نزل القرآن على سبعة أحرف كلّها شافٍ كافٍ، فاقرؤوا كيف شئتم »[62].

---

[58] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص 383.

[59] أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص 26 .

[60] سورة النساء [82]

[61] أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص 109 .

[62] المصدر السابق ، ص 33 .

ثمّ عقد باب ادّعاء اللّحن ، التناقض و الاختلاف والمجاز فقال:« و قد تبين لمن قد عرف اللغة أن القول يقع فيه المجاز، فيقال:قال الحائط فمال، و قل برأسك إليّ أي أمله.»[63] و قال: « و تبين له أيضا أنّ أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر و لا تُأكّد بالتّكرار .»[64]. ثمّ قال: « و أمّا الطاعنون على القرآن بالمجاز، فإنّهم زعموا أنّه كذب ، لأنّ الجدار لا يريد والقرية لا تسأل وهذا من أشنع جهالاتهم وأدلّها على سوء نظرهم وقلّة أفهامهم .»[65]

وشغل ابن قتيبة نفسه كثيرا بالرد على الطاعنين في القرآن الكريم ، بسبب ما فيه من مجاز، معتمدا على الحجاج العقلي والاستشهاد بالاستعمالات المجازية الموجودة في القرآن الكريم. وعدّها من الطرق المعبرة عن الحقيقة. وواصل كلامه بعقد أبواب مختلفة كالاستعارة ، المقلوب و هو وصف الشيء بضدّ صفته ، الحذف والاختصار، تكرار الكلام والزيادة فيه ، الكناية و التعريض، مخالفة ظاهراللفظ معناه، و غيرها من القضايا البلاغية المتنوعة . وكان في كل مرة يستشهد بالكثير من الآيات من مختلف السور القرآنية.

لقد أسهم ابن قتيبة في تكوين البلاغة العربية عن طريق مباحثه اللغوية ، فاستخرج ما في القرآن من أنواع المجاز، وبوّبها قبل أن يؤلف ابن المعتز كتابه (البديع) ، و أرجع المعاني المختلفة للفظ الواحد إلى أصل واحد نشأت منه و تفرعت عنه . فقد سبق ابن جني (392ه) والفارسي(377ه) وابن فارس (395ه).

وتبقى جهود ابن قتيبة تعاقب لجهود أبي عبيدة ، ولكنها الأساس الذي انطلق منه العلماء فيما بعد ،و بلوروا معانيه و قنّنوها بأساليب علمية محضة. و الواضح أن ابن قتيبة قد لخّص الإعجاز في

---

[63] أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص24 .

[64] أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص111 .

[65] المصدر السابق ، ص 132 .

القرآن الكريم في مقدمة كتابه، فقال: « وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين، و أبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين ، وجعله متلُوّا لا يُملّ على طول التلاوة ، ومسموعا لا تمجه الآذان ، وغضا لا يخلق على كثرة الرد »[66].

جهود الرماني (386هـ) :

هو أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبدالله الرماني ، النحوي المتكلم، أحد الأئمة المشاهير. ولد ببغداد و توفي بها .شيخه أبو بكر بن الإخشيد من رؤوس المعتزلة و من الحكماء . أخذ علوم اللغة والأدب عن ابن السراج ، وابن دريد ، والزجاج ، وجمع بين علم الكلام والعربية . له (تفسير القرآن) ،و(الألفاظ المترادفة) ،و (النّكت في إعجاز القرآن) الذي حاول من خلاله أن يحدّد مفهوم البلاغة برفض كل التعريفات السابقة، كأن تكون البلاغة مجرد إيصال المعنى و إفهامه أو تحقيق اللفظ على المعنى، ليختار للبلاغة مفهوما آخر وهو إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ. إنّ نظرة الرماني النقدية لماهية الصورة البلاغية تلتقي بأحدث ما وصل إليه النقد الحديث في هذا المجال.

يرى الرماني أنّ الصورة البلاغية تتألف من عنصرين متكاملين هما الوظيفة التعبيرية والقيمة الجمالية .ذاك هو الوجه الذي اختصه الرماني من بين الوجوه السبعة للإعجاز القرآني في كتابه .يقول:« وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات : ترك المعاضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة ، والتحدي للكافة، والصَرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة ، ونقض العادة وقياسه بكل معجزة »[67]

[66] أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص 3 .

[67] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 75 .

فالوجه المتعلق بترك المعارضة راجع إلى البلاغة لعجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن ، وأمّا الصرفة الترك والصرف عن المعارضة . فالقرآن قد تحداهم واستفزهم للنهوض لمعارضته ، ولم يكن ذلك منهم لعجزهم ، و لأنه غاير طرقهم من شعر و سجع و رسائل و خطب، و نقض عاداتهم و هذا راجع إلى الوجه البلاغي .

و قياس القرآن الكريم بكل معجزة ،يعني أنه حين أعجز العرب بتلك المعجزات كقلب العصا، و الحية و فلق البحر،كان خارجا عن العادة ومعجوز عن معارضته.

و قسّم الرماني البلاغة إلى طبقات ثلاث : طبقة عليا و هي طبقة القرآن ، طبقة دنيا وهي أوفى منزلة في كلام الناس و مرتبة بينهما تتفاوت فيها منازل الشعراء و المتكلمين . يقول:« وليست البلاغة إفهام المعنى ، و إنّما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ »[68].و لأنه اهتم أكثر بالبلاغة من بين هذه الوجوه السبعة ، فقد قسمها إلى عشرة أبواب: الإيجاز، التشبيه، الاستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصريف ، التضمين، المبالغة وحسن البيان .

ثم استمر في تناوله لهذه الأبواب العشرة على تفاوت في اهتمامه بعنصري الصورة البلاغية. وركز على الإيجاز بنوعيه إيجاز الحذف وإيجاز القِصَر،التشبيه، الاستعارة والفواصل في القرآن الكريم ثم التلاؤم . وتناول هذه الأبواب بالتفصيل .[69]

وهو يرى أن للصورة البلاغية دور دلالي وتعبيري يتمثل في إيصال المعنى إلى القلب، ودور جمالي يتم به الإيصال يتمثل في حسن اللفظ. ويطبق نظريته هذه على الفنون البلاغية التي تناولها ، جاعلا محور دراسته النماذج البلاغية في القرآن الكريم ، لما تحفل به من بلاغة سامية لا ترقى إلى

---

[68] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 76 .

[69] علي عشري زايد ، البلاغة العربية ، ص 42 .

مستواها أية بلاغة بشرية ، ومستغلا ثقافته الكلامية و المنطقية ، وهنا مكمن الإعجاز في بلاغة القرآن الكريم.

وتعريف الرماني للبلاغة يلفت إلى جمال الصياغة و براعة الرصف ، و تقسيمه لها إلى هذه الأقسام العشرة ، هو الذي يحقق تعريفه لها.كما أنه قد نبّه إلى أن الجملة والجملتين لايظهر منها الإعجاز، لذلك حرص القرآن على الحد الأدنى الذي يقع فيه التحدي و هو أقصر سورة فالجملة القرآنية هي معجزة ، و لو أن بلاغة الجملة لا تكون إلا في سياق يرتبط أوله بآخره بحيث لا تتكامل عناصرها البلاغية إلا و هي مرتبطة بهذا الكل ، فبلاغة القرآن تكمن فيه ما دام مكتملا و هذا هو الإعجاز.

والإيجاز عنده يؤكد أمرين مهمين ، الأول هو عدم الإخلال بالمعنى ، بمعنى أن لكل صيغة أو صورة معنى، لا تتفق فيه مع باقي الصيغ إن ذكرت و لو في نفس السياق. فكل جملة تختلف عن الأخرى، وتلك هي خصائص المعاني التي يجب مراعاتها. أما الثاني فهو الاقتصاد في اللفظ وهذا يعني البراعة و حسن الإدارة لحصول الغرض، فالتروّي في اختيار الكلمة و في صياغة الجملة يؤدي إلى إصابة المعنى المراد . يقول :« والإيجاز بلاغة والتقصير عيّ،كما أنّ الإطناب بلاغة والتطويل عي»[70].

وهو على وجهين : إيجاز حذف وإيجاز قِصر. فأمّا الحذف فهو إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام .[71] كقوله تعالى : ﴿ بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[72] . و إيجاز القصر هو بنية الكلام على تقليل اللفظ و تكثير المعنى من غير حذف .[73]

---

[70] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 78 .

[71] المصدر السابق ، ص76.

[72] سورة التوبة [01]

[73] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 76 .

وهو أغمض من الحذف .[74] ومثاله في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[75]

و ظهور الإعجاز في الوجوه التي نبيّنها يكون باجتماع أمور يظهر بها للنفس أنّ الكلام من البلاغة في أعلى طبقة .[76] كما يرى الرماني أنّ إيجاز القصر أدق من إيجاز الحذف، لطبيعته المتميزة ، وهي تطويعه للمعنى الكثير. و هذا أصعب لأنه يعني الاقتصاد في اللفظ من دون تضييع المعنى ، فيكون اللفظ فيه دالا على معنى و موحيا بثان وثالث.

كما يستطرد الفرق بين الإيجاز والتقصير و بين الإطناب و التطويل. فاعتبر التقصير والتطويل عيبا و الإيجاز والإطناب بلاغة. لأن الإطناب وإن كان تفصيلا فهو في المواضع التي يحسن فيها ذلك لإشباع المعنى ، لكنه يدعو إلى معرفة الإيجاز ومراتبه وتأمل ما جاء منه في القرآن الكريم لبيان الإعجاز فيه .

بعد الإيجاز التشبيه. و هذا الباب يتفاضل فيه الشعراء وتظهر فيه بلاغة البلغاء. فبلاغته الجمع بين شيئين بمعنى يجمعهما يكسب بيانا فيهما. [77] والتشبيه على وجهين : تشبيه بلاغة كقوله تعالى في : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ ﴾[78]

---

[74] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 77 .
[75] سورة البقرة [179]
[76] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 78 .
[77] المصدر السابق ، ص80 .
[78] سورة إبراهيم [18]

فقد اجتمع المشبه والمشبه به في الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات[79] وفي ذلك البيان العجيب بما قد تقرّر في النفس من الأمور، والتشويق إلى الجنة بحسن الصفة مع ما لها من السعة ، وقد اجتمعا في العظم.[80]

ثم انتقل إلى الاستعارة فعرّفها بأنها تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة [81]. و فرّق بينها وبين التشبيه ، وجعل لها مستعار و مستعارله ومستعار منه. وكل استعارة لا بد لها من حقيقة ، وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة [82] . و يذكر ما جاء في القرآن من الاستعارة على جهة البلاغة التي هي وجه من وجوه الإعجاز. و من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا ﴾[83]. استعار الله تعالى ﴿ قَدِمْنَا﴾ للدلالة على عمدنا ، لأنّ القدوم أبلغ ، و في هذا تحذير من الاغترار بالإمهال [84]

ويقول تعالى : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾[85] ، الحقيقة هي من شدة الغليان بالاتّقاد ، والاستعارة أبلغ ، لأن مقدار شدة الغيظ على النفس محسوس مدرك ما يدعو إليه من شدة الانتقام ، فقد اجتمع شدة في النفس تدعو إلى شدة انتقام في الفعـــــل و في ذاك أعظم الزجر وأكبر الوعظ، وأدل دليل على سعة القدرة و موقع الحكمة .[86]

---

[79] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص82 .
[80] عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية في الإعجاز ، ص 84 .
[81] عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية في الإعجاز ، ص 85 .
[82] المصدر السابق ، ص 86 .
[83] سورة الفرقان [23]
[84] المصدر السابق ، ص 86 .
[85] سورة الملك [8]
[86] المصدر السابق ، ص 87 .

وأما التلاؤم فيلتقي عند الرماني مع الفواصل والتجانس لأن الثلاثة تنظر إلى البناء الصوتي في أسلوب القرآن الكريم . وهو عنده نقيض التنافر و تعديل الحروف في التأليف ، والقرآن الكريم هو المتلائم في الطبقة العليا التي جعلها الرمّاني الوجه الثالث من أوجه التأليف إلى جانب المتلائم في الطبقة الوسطى و المتنافر.

وبلاغة التلاؤم عند الرمّاني تكمن في حسن الكلام سمعا ، وسهولته لفظا ، وتقبل معناه في النفس. فالبناء الصوتي في التلاؤم يوجب حسن الإفهام ، لأن الكلام في جوهره تجسيد صوتي لما في عقول الناس و قلوبهم . لقد أدرك الرمّاني أن الصوت الذي سُمع من القرآن في تمازجه شيء خارق، لم تألفه الآذان العربية ،وهنا بيان لإعجاز القرآن الكريم ، لأنّك حتّى وإن أغفلت معاني الكلمات وأصغيت إلى القرآن لوجدت فيه ما لم تجده في كلام البشر.

كما ذكر أن الفرق بين تلاؤم القرآن وبين ما أبدعه المتكلمون ،كالفرق ما بين قمّة إبداعهم والمتنافر،لأننا لا نجد في كلامهم ما نجده في سور القرآن الكريم الذي صرف العرب عن معارضته. فالحرف الأول من الكلمة يتمازج مع الحرف الأخير من الكلمة قبلها ، والحرف الأخير من الكلمة يتمازج مع الحرف الأول من الكلمة بعدها. كما نظر إلى أصوات الحروف المتجاورة في الكلمتين وليس إلى أصوات حركات الحروف، فصوت القرآن إذن معجز.

وأمّا السّجع فقد عدّه عيبا، فليس منه شيء في القرآن الكريم ، والذي فيه هو الفواصل التي عدّها من بلاغة القرآن المعجزة ، من حيث أحوالها الصوتية وتلاؤمها لموقع المعنى .

والفواصل دائما تكون تابعة للمعنى الذي يقتضيها ، فهي تؤدّي الوظيفة التعبيرية وهذا سرّ بلاغتها . وقد ذهب الرماني إلى نفي السجع وتسمية ما فيه من ذلك فواصل ، لأنّ الأسجاع عيب والفواصل بلاغة .[87]

الخـطّا بـــي (388ه):

هو أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي .كان فقيها محدثا وأديبا وشاعراً، لغويا أخذ اللغة عن أبي علي إسماعيل الصفار. من أشهر تصانيفه (أعلام السّنن في شرح صحيح البخاري)، و(معالم السنن في شرح سنن أبي داوود)، و(غريب الحديث) ،و (البيان في إعجاز القرآن).

فأمّا كتاب البيان فقد خصه الخطّابي لبيان إعجاز القرآن الكريم، وأنكر من خلاله المذاهب المعروفة التي ذهب إليها بعض العلماء،كالنظام الذي قال بالصرفة والجاحظ الذي قال بالنّظم. و لأن باب الإعجاز غامض و في غاية الإلباس، لم يقتنع الخطابي بجهود سابقيه و لو أنهم لم يقصّروا، فعرض لأبي عبيدة بن معمر المثنى وابن قتيبة وجهودهما في الإعجاز.

ورغم أن الجيل الذي نزل فيه القرآن قد أحكم البيان، فقد عُدّ موقفه من القرآن الكريم وجها من وجوه إعجازه ،كما أن القرآن معجز بما فيه من إخبار بأمور غيبية ، وهو ما ليس في مقدور البشر[88] كإخبار الله في قوله تعالى:﴿الم﴾،﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾،﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[89]

[87] أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص 13 .
[88] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 23 .
[89] سورة الروم [1 / 2/ 3]

ثمّ تساءل الخطّابي عن إجماع العلماء حول بلاغة القرآن التي لا توجد في غيره .كان أول من أدار درس الإعجاز البلاغي.لم يتكلم في التشبيه والاستعارة و لا البديع ، بل حاول الوقوف على البلاغة القرآنية من خلال حقائق قائمة على أركان من الأدلة، رغم أنه تعذر عليه معرفة وجه الإعجاز في القرآن الكريم .

فقال أن أجناس الكلام مختلفة و متفاوتة المراتب والدرجات في البلاغة ، فحازت بلاغات القرآن على كل صنف منها ، وجمع القرآن بين العذوبة والجزالة والمتانة. يقول: «أجناس الكلام مختلفة ، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة ، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية . فمنها البليغ الرصين الجزل ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائز الطلق الرسل. وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود دون الهجين المذموم الذي لا يوجد في القرآن شيء منه البتة »[90]

وقارن بين كلام الناس وبين القرآن، فوصل إلى أن بلاغات القرآن المختلفة هي نتاج أحوال نفسية مختلفة ، وبالتالي فإن اجتماع الجزالة والعذوبة من الأمور الخارقة التي خص بها القرآن ، وهنا مكمن الغرابة . ففي قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾[91] ،ادّعى القوم وهم إخوة يوسف عليه السلام على الذّئب أنّه أكله أكلا وأتى على جميع أجزائه، خوفا من مطالبة أبيهم إياهم بأثر يشهد بصحة ما ذكروه .[92] واستشهد في المقابل من الشعر .

[90] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 26 .
[91] سورة يوسف [17]
[92] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 41 .

قال الفرزدق :

فتىً لَيْسَ لابْنِ العَمِّ كالذِّئْبِ إنْ رَأَى بِصَاحِبِهِ يَوْماً دَماً فَهُوَ آكِلُهُ [93]

وقال العباس بن مرداس :

أَبَا خُرَاشَـــــة أَمَّـــا أَنْتَ ذَا نَفَـر فَإِنَّ قَوْمِي لم تَأْكُلُهُم الضَّبُعُ [94]

ويرى الخطابي أن عناصر الكلام ثلاثة ، لفظ حامل ومعنى به قائم و رباط لهما ناظم[95]. فمقدرة الأديب تكون بمقدار تمكنه من المعاني، وما يتولد في خاطره من الأفكار،وفي قلبه من المشاعر. وهناك عنصر آخر من عناصر البيان ، وهو إقامة الكلام على هيئة من الصياغة تحفظ دقائق الكلام . والقرآن جمع العناصر الثلاثة، فلا ترى في الألفاظ أفصح وأجزل وأعذب من ألفاظه ،ولا في التأليف والتلاؤم أشد من نظمه . فوجه الإعجاز إذن في النظم وصحة المعاني و فصاحة الألفاظ. و بذلك يكون الخطابي قد سبق الكثير من البيانيين المتخصصين بذكره لأصول الكلام من لفظ حامل و معنى محمول و رباط جامع.

وتكلّم الخطابي عن الألفاظ وقال أنها عمود البلاغة ، والعلم بها هو علم بدقائق معانيها التي تظهرفي الاستعمال البليغ . فالفروق بين الألفاظ تلتبس على كثير من الأدباء لأنها وإن تشابهت تتمايز أدق تمايز، وهذه الفروق قد توفرت في القرآن كثيرا . كما رد على الكثيرمن الطاعنين في القرآن الكريم والذين زعموا بأن بعض الكلمات القرآنية ليست واقعة في مواقعها،مبينا خطأها ومبرزا صوابها وجمال البلاغة فيها.[96]

---

[93] وقيل في بعض المراجع لزينب بنت الطثرية ، انظر الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 41 .

[94] انظر الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 41 .

[95] المصدر السابق ، ص 24 .

[96] البلاغة العربية ، علي عشري زايد ، ص 56 .

كما أنّ جمع جملة من الأغراض الدينية والدنيوية كالقصص ،والشرائع، والمواعظ ، وأحوال الآخرة وغيرها في السورة الواحدة ، فيه عموم النفع ، ويتيح للقارئ أن يتعرف عليها من قراءة سورة واحدة دون أن يقرأ القرآن كله، بل اعتبر هذا التعدّد مظهرا من مظاهر الإعجاز البلاغي وباب من أبواب التحدّي. وقال الخطّابي أن حذف الأجزاء التي يدل عليها المذكور من بلاغة الكلام. أما أساليب التكرار، فقسمها إلى مذموم وآخرمحمود فيه شيء من الإضافة ومنه الكثير في القرآن.

وعَدّ الخطابي التكرار فيه أحد عناصر بلاغته. وآخر وجه من وجوه الإعجاز لم يدخله الخطابي في الوجه البلاغي ، وهو الروعة التي للقرآن في قلوب المسلمين وأسماعهم سواء أقروا أو جحدوا.

جهود البـاقـلاّ ني (403 ه) :

هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن القاسم المعروف بالباقلاّني البصري المتكلم المشهور، كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري. صنف الكثير من التصانيف في علم الكلام وغيره. له مؤلفه الكبير (إعجاز القرآن) الذي نبّه من خلاله إلى أهمية دراسة مسألة الإعجاز ،لأنها أصل الدين وقاعدة التوحيد .

كانت قضية الإعجاز عند الباقلاني، من علم الشعر والأدب ، ولم يداخلها مع علم الكلام وعلم أصول الدين، فعالجها في حدود طرائق الكلام فظلت أدبية خالصة. يقول محمد مندور:« حيث يتناول المؤلف الشعر بالنقد ليجرحه ، فيظهر بذلك أنّ القرآن أبلغ وأفصح وأبدع منه ، وتلك هي الخطة العامة للباقلاّني الذي لا يدلل على إعجاز القرآن في ذاته ، قدر تدليله على ذلك بتسخيف ما عداه من قول.»[97]. غير أنه أقرّ بنفى الشعر عن القرآن الكريم وعن النبي الكريم.

[97] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة ، ص 377 .

يقول الباقلاّني : « قد علمنا أنّ الله تعالى نفى الشعر عن القرآن وعن النبيﷺ ، فقال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾[98] . وقال في ذمّ الشعراء :﴿ وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[99] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾[100] ، إلى آخر ما وصفهم به في هذه الآيات. وقال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾[101] »[102]

كما أشار الباقلاّني إلى ضرورة الحفاظ على سليقة العربية التي نزل بها القرآن الكريم لأنه ضرورة لبقاء الوعي به و بإعجازه ، ثم ضرورة صقل الأجيال بهذه اللغة وهذا الأدب. ولأن الباقلاني قد عاش في القرن الرّابع الهجري ، فقد نظر فيما استخرجه العلماء حول القرآن الكريم من معارف ، وقاسه بما استخرجوه حول قضية الإعجاز، والقليل بالمقارنة فهو طريق أغمض من طريق النحو و الكلام .

فأمّا كتابه (إعجاز القرآن) فقد بيّن فيه شرف القرآن وشرف البحث فيه ، ثمّ تقصير المؤلفين في بيان وجه إعجازه ،و تقصير الجاحظ في كتابه (نظم القرآن)، ثمّ تناول الكثير من قضايا الإعجاز في القرآن بالتحليل والاستشهاد بالآيات القرآنية .كما رفض القول بالصرفة فقال : « وممّا يبطل ما ذكروه من القول بالصرفة ، أنّه لو كانت المعارضة ممكنة لم يكن الكلام معجزا »[103]

وذكر الباقلاّني وجوه إعجاز القرآن ، ونقل عن الأشاعرة الإخبار عن الغيب ، وعن الأمور الماضية و عن بديع النظم .ثمّ ذكر عشرة معاني اشتمل عليها نظم القرآن ، وعارض بعض الأشاعرة في قولهم أنّ الأحكام الشّرعية معللة بعلل موافقة لمقتضى العقل وجه من وجوه الإعجاز .

---

98 سورة يس [69]

99 سورة الشعراء [224]

100 سورة الشعراء [225]

101 سورة الحاقة [41]

102 أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص76.

103 المصدر السابق ، ص 43 .

وختم بوصف القرآن الكريم وسرد أنواع البلاغة والبديع فيه ،ثمّ وصف الشّعر والفرق بينهما. كما أتى بآيات من القرآن الكريم لمن زعم أنّها شعرا . يقول : « فإن زعم زاعم أنّه قد وجد في القرآن شعرا كثيرا »[104]كقول الله تعالى : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾[105] ، فهو من الوافر كقول امرؤ القيس : [106]

لنـــا غنمٌ نُسوِّقُهَـــا غِـــزَارٌ كـأنَّ قُـــــــــرُونَ جِلَّتِهَا عِصِيُّ [107]

ونحو ذلك في القرآن كثير ، والجواب عن هذه الدّعوى التي ادّعوها أنه ما اتفق في ذلك من القرآن مختلف الروي ، متى اختلف الروي خرج عن أن يكون شعرا. يقول:« ولو كان ذلك شعرا لكانت النفوس تتشوق إلى معارضته ، لأنّ طريق الشعر غير مستصعب على أهل الزمان الواحد، وأهله يتقاربون فيه أو يضربون فيه بسهم »[108]

كما تحدث عن بيان نبوة الرسول ﷺ التي معجزتها القرآن الكريم ، ثم بيان وجه الدلالة على أنّ القرآن معجز. فهو لم يعجز الإنسان في طور من أطوار حضارته فحسب، بل أعجزه أبدا ، ومهما اتسع علم الناس به فسوف يظل معجزا لهم ، لأنه مشحون بالدلالات الصريحة على أنه آية نبينا الكريم.

---

[104] أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص 78 .

[105] سورة التوبة [14]

[106] انظر أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص78 . و البيت من ديوان امرؤ القيس .

[107] انظر أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص 78 . نسوّقها : نسوقها. غزار: كثيرة. جلتها : جمع جليل ، وهي الغنم الكبيرة المسنّة .

[108] أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص 83 / 84 .

والمراد ببيان وجه الدلالة على أن القرآن معجز ، هو ما يثبت أن العرب قد عجزوا عن طريق الرواية والخبر، عن أن يأتوا بمثل القرآن الكريم، فالعجز عن الإتيان بمثل قوله تعالى في آية واحدة كالعجز عن القرآن كله، لذلك يستوي في المعجوز عنه القليل والكثير. يقول : « وممّا يبطل ما ذكروه من القول بالصرفة ، أنّه لو كانت المعارضة ممكنة لم يكن الكلام معجزا »[109]

ثم يثبت الباقلاني أن ما في المصحف الشريف هو ما نزل به جبريل عليه السلام، لأنه ما حفظه المسلمون وتواتر نقله بينهم إمّا حفظا للفقه والتفسير، أو قصدا للفصاحة ،أو نظرا في عجيب أمره.

يقول مصطفى صادق الرّافعي عن كتاب الباقلاني (إعجاز القرآن) : « على أنّ كتابه قد استبدّ بهذا الفرع من التصنيف في الإعجاز، واحتمل المؤنة فيه بجملتها من الكلام والعربية والبيان والنقد ووفى بكثير مما قصد إليه من أمّهات المسائل والأصول التي أوقع الكلام عليها ، حتى عدّوه الكتاب وحده ، لا يشرك العلماء معه كتابا آخرا في خطره ومنزلته .»[110]

يقول الباقلاني أنّ إدراك إعجاز نظم القرآن ، هو التناهي في معرفة فنون الكلام كلها، فالحجة القائمة هي العلم بعجز الكافة على عن يأتوا بمثله ، وتلك هي حكمة التحدي.كما أن عجز العرب ظهر من غير مطالبة ، أي قبل نزول آيات التحدي . وبالرغم من أن الجيل الذي نزل فيه القرآن كان متناهيا في معرفة صنوف الكلام مما يقتضي الإيمان به ، إلا أن اختلاف أحوالهم بين الإيمان و الكفر حال دون ذلك .

---

[109] أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص 43 .

[110] مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص 107 .

كما أبان عن إعجاز بلاغة القرآن الذي يعرف متى سمع، وتصور تناهيها وانتفاع ذا الطبع بها، وتوصل إلى أن العناصر البلاغية الخاصة بالقرآن ، هي البحث عن الشيء فيه والذي ليس له صورة في كلام الناس ، بمعنى البحث عما لا يوجد إلا في القرآن ، الذي فاجأ البيان المعروف عند القوم بهذه الهيأة العامة. والقرآن ينقسم إلى سور طوال وقصار ، والسور إلى آيات متوزعة في المصحف على النسق المعروف ، وهو مغاير تماما لأصناف الكلام من موزون ومسجوع و موزون غير مقفى، فهو ليس شعرا و لا سجعا .

ونفى الباقلاّني السّجع عن القرآن و وقوعه فيه ، باعتبار أن المعنى يتبع اللفظ في السجع ، وهذا ليس في القرآن منه شيء. وهو يتفق مع السجع الذي يخدم المعنى و يؤديه ويسمّيه فاصلة، لأن الفواصل تابعة للمعاني التي تتبع الأسجاع .

فمذهبه كأشعري لم يخرج عن مذهب الرماني المعتزلي في قضية السجع في القرآن الكريم. لم يكن السجع ممتنعا على العرب ، بل صوره في القرآن هي التي امتنعت عليهم وذلك هو الإعجاز، و لو أن القرآن لم يعجزهم بهذه الفنون البديعية لأنهم تمكنوا منها . يقول : « ومن ادّعى ذلك لم يكن له بدّ من أن يصحح أنّه ليس من قبيل الشعر ولا السجع ولا الكلام الموزون غير المقفّى »[111]

ومن وجوه الإعجاز جملة القرآن من حيث رفيع البلاغة و بديع المعاني رغم كثرة الأغراض و تنوعها ، ممّا يظهر عجز النفس البشرية و وقوعها في الاختلاف. تأمّل الباقلاني كلام الناس المعبّر عن نفوسهم فوجده محدودا، ثم وجد القرآن قد تناول المعاني المختلفة والمتنوعة من صياغة الموعظة وسوق الحجة .

[111] أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص 78 .

ولفت إلى آيات الله ،فوجدها قد تناولت وصف الأرض والسماء ووصف الجنة والنار والقصص القرآني تناولا في درجة واحدة من الحكمة والدقة وإن تكررت ، وهذا ما يكشف عن براعة النظم.

واختلاف المعاني لا يقصد منه الباقلاني الانتقال من الوعد إلى الوعيد أو من الحديث عن آيات الله إلى القصص أوالقيامة ، وإنما يقصد منه العلاقات بين المعاني الجزئية في الجملة والجملتين.كنظم الكلام على وجه الأمر ثم النهي عن طريق العطف ، وفيه من الدقة والإحكام سواء تباعدت المعاني أو تقاربت، فبلاغة الخلوص من غرض إلى غرض تظهر بصورة واضحة في تناول السورة كاملة . كما أن الباقلاني لم يحصر وجوه البلاغة في عشرة كما فعل الرماني بل جعلها غير محدودة ، ونفى أن يكون إعجاز القرآن راجعا إلى وجوه البديع بل بلغت فيه الغاية فقط واعتبره جنسا من أجناس البلاغة و الإعجاز ليس وقفا عليه .[112]

جهـود القـاضي عـبد الجبّـار(415هـ) :

القاضي عبد الجبّار بن أحمد بن عبد الجباراالهمذاني،كنيته أبوالحسن البغدادي قاض أصولي وشيخ المعتزلة في عصره، لقبوه بقاضي القضاة، انتهت إليه رياسة المعتزلة ومات بالري.له مؤلفه المعروف (تنزيه القرآن عن المطاعن) الذي أبطل فيه القول بالصّرفة ، وقال أنّ المتقدّمين قالوا بها لعجزهم عن معارضة القرآن.وله كتاب (المغني في أبواب التوحيد والعدل) ، الذي خصص جزءًا منه للإعجاز القرآني . لم يتناول القاضي قضية الإعجاز تناول البلاغيين ، وإنّما جهد للاستدلال لإعجاز القرآن من جهة الفصاحة وصحة التحدّي .

[112] علي عشري زايد ، البلاغة العربية ، ص 35 .

وتتلخص جهوده في الإعجاز في أن النظم أي الطريقة ، لا يتعلق به الإعجاز إلا إذا انضافت إليه الفصاحة التي ترتبط بحسن المعنى وجزالة اللفظ. والنظم عنده هوالنسق والطريقة، وهو لا يكفي فيه السّبق ليكون وجها للإعجاز، فاختصاص القرآن بالفصاحة والنظم وانفراده بهما يوجب كونه معجزا. هذه الآراء مهّدت الطريق أمام عبد القاهر ليضع نظرية النظم.

عقد القاضي فصلا في اختصاص القرآن بمزية في رتبة الفصاحة. واستشهد بآيات قرآنية مختلفة. ثمّ انشغل بالردّ على مطاعن المخالفين في القرآن، فعرض قول الباطنية بأنّ للتنزيل في القرآن تأويل باطن غير ظاهر، وأنّ فيه اختلافا و تناقضا في اللّفظ والمعنى وفيه أيضا التكرار والتطويل.

وكان منهجه في الاستدلال الاحتجاج على طريقة الكلاميين لا االبلاغيين، تقول عائشة بنت الشّاطئ : « وحسبنا على كلّ حال أنّه أكّد نصره لوجه إعجاز القرآن بفصاحته وأعطانا مفهوما محرر المعنى النّظم، لايراد به مجرّد طريقة مبتدعة في صياغة الكلام تباين ما عرف العرب من منظوم ومنثور. وإنّما انفرد معها برتبة في الفصاحة عرفها أهل التقدّم منهم بمجرّد سماعه، دون أن يظنّوا أنّ مثل القرآن يواتى من رامه . »[113]

الشــريف المــرتــضي (436هـ) :

هو أبو القاسم علي بن الطاهر بن أحمد الحسين بن موسى، أحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر، ولد و توفي في بغداد، أخو الشريف الرضي ، أبوه النقيب أبو أحمد في دولة بني العباس. قرأ مع أخيه على ابن نباتة، ثم على ابن النعمان . له تصانيف على مذهب الشيعة و مقالة في أصول الدين، نهج البلاغة و مشرع الفصاحة، أمالي المرتضي والمسائل الناصرية و غيرها.

[113] عائشة عبد الرحمن بنت الشّاطئ ، الإعجاز البياني للقرآن ، ص 110 .

قال بالصّرفة ،ومفهومها عنده أن الله تعالى قد سلب العرب العلوم التي يحتاج إليها في معارضة القرآن والإتيان بمثله، أي أنهم أوتوا القدرة على المعارضة بما كانوا عليه من بيان و بلاغة وفصاحة، فهم قادرون على النظم ولكنهم عاجزون عن الإتيان بمثل القرآن، بسبب أنهم سلبوا العلم الذي يستطيعون به محاكاة القرآن في معناه .[114]

ابن حـزم الأنـد لـسي الظاهـري (456هـ) :

فقيه وعالم الأندلس في عصره ، ولد بقرطبة أين كانت له و لأبيه من قبله رياسة الوزراء. انصرف إلى العلم والتأليف وانتقده العلماء والفقهاء لقوله بالصرفة . له (الفِصَل في الملل الأهواء)، و(المحلى في الفقه الظاهري)، و(جمهرة الأنساب الإحكام في أصول الأحكام) و كتابه في الإعجاز (الفصل في سبب الإعجاز).

لم يتهم كما اتهم النظام و المرتضي لقوله بالصرفة، وفسر ذلك بعدم جواز تعليل كتاب الله تعالى وشرعه، وأخذ بظاهر النصوص من غير تأويل . قال عنه مصطفى صادق الرافعي: « لم نر أحدا فسّر هذه الكلمة (الصرفة) كابن حزم الظاهري، فإنه قال في كتابه الفصل: (لم يقل أحد إن كلام غير الله تعالى معجز، لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاما له، أصاره معجزا و منع من مماثلته . قال: وهذا برهان كاف لايحتاج إلى غيره) نقول : بل هو فوق الكفاية وأكثر من أن يكون كافيا أيضا، لأنه لما قاله ابن حزم وجعله رأيا له أصاره كافيا لا يحتاج إلى غيره . و هل يراد من إثبات الإعجاز إلا إثبات أنه كلام الله تعالى ؟ » [115]

[114] مصطفى مسلم ، مباحث في إعجاز القرآن ، ص63 .

[115] مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص 102 .

ابـن سـنان الخـفاجي(466هـ) :

عبد الله بن محمد بن سعيد أبو محمد الخفاجي الحلبي، الشاعر والأديب.كان يرى رأي الشيعة. وله : (ديوان الخفاجي) و(سر الفصاحة) . ممن قالوا بالصرفة ، مع أن فصاحة القرآن كانت في مقدور العرب لولا الصرف .

تحدث في (كتابه سر الفصاحة) عن الفصاحة والبلاغة، فعرفهما ومثل لهما وفرق بينهما ، واشترط للفصاحة ولتأليف الكلام شروطا. وقد صرح باعتقاده بمذهب الصرفة في الإعجاز لأنه لم يكتف بفصاحة القرآن دليلا على إعجازه . يقول في الكتاب « وإذاعدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته ، بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة. »[116] .

و يرى الإعجاز في التلاؤم في الحروف، فيكون القرآن في الطبقة العليا لما ضامّ تأليف حروفه من شروط الفصاحة التي التأليف جزء يسير منها [117]. و التأليف على ضربين: متلائم ومتنافر، وتأليف القرآن و فصيح كلام العرب من المتلائم .[118]

جـهود عـبد القاهــر الجرجـــاني(471هـ) :

هو الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ، أحد علماء الكلام ، من أكابر النحويين وإمام النحاة كما سماه الحافظ الذهبي. ولد وعاش بجرجان حتى توفي بها. كان شافعي المذهب أشعري الأصول، أخذ عن أبي الحسن محمد ابن علي الفارسي ، واستغلّ ثقافته الكلامية المنطقية في وضع نظريته البلاغية ، كما اطّلع على طرف من الثقافة اليونانية عن طريق بعض ترجمات كتابي أرسطو(فن الشعر)و(الخطابة).صنّف الكثير من المؤلفات منها (المغني في شرح الإيضاح) ، و(المقتصد

[116] ابن سنان الخفاجي ، سرّ الفصاحة ، ص 100 .

[117] المصدر السابق ، ص 100 .

[118] المصدر السابق ، ص 101 .

في شرح الإيضاح)، و(المعتضد) و(المقتضب) في شرح كتاب الواسطي في الإعجاز، و(العوامل المائة) و(الجمل وشرحها) ،و(الرسالةالشافية) ، و(أسرارالبلاغة في علم البيان) و(دلائل الإعجاز).

لم يقتصر دور الجرجاني على جمع ما تبعثر من جهود السابقين في علوم البلاغة الثلاثة وهي البيان والبديع المعاني، بل تجاوز ذلك إلى تعميق النظرات المكتشفة والمدروسة، والأبواب والفصول لهذه العلوم ورصد لدراستها كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) . وأراد من خلالها تحديد الأصول التي يؤسّس عليها الحكم والخلوص لبيان وجه الإعجاز الذي يكون بمعرفة طبقات الكلام وأسس الحكم في تفاضل الأقوال بتوافر بعض العناصر التي تتجاوز حدود الطاقات البشرية .

لقد خّص كتاب (الدلائل) لنظرية النظم التي قال بها، والتي عدّها الوجه الوحيد لإعجاز القرآن الكريم. و انتهى إلى أنّ سرّ الجمال الفني المعجز ليس مردّه إلى الألفاظ من حيث هي كلمات ،[119] وإنّما إلى الطريقة التي صيغت بها هذه الألفاظ والأسلوب الذي نظمت به الآية . و يشرح كيف أن إعجاز الآية إنما مرده إلى الاتّساق الغريب بين الألفاظ والتلاؤم البارع بينها.[120]

استبعد الجرجاني ستة احتمالات حول الإعجاز، فليس في الكلمات من حيث الحروف، أو في معاني كلمات القرآن، أو تركيب الحركات والسكنات على كلمات القرآن أو المقاطع والفواصل في جمل القرآن، أو خفة الحروف على اللسان، أو في الآيات التي فيها استعارة ، إنّما الإعجاز في نظم القرآن. يقول : « فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عددناه ، لم يبق إلا أن يكون في النظم ... و لا يمكن أن تجعل الاستعارة الأصل في الإعجاز وأن يقصر عليها ، لأن ذلك

[119] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 37 .
[120] المصدر السابق ، ص 39.

يؤدي إلى أن يكون الإعجاز في آي معدودة في مواضع من السور الطوال مخصوصة...وكنا قد علمنا أن ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم . »[121]

أمّا كتاب (الرّسالة الشافية) فكان حول بيان أن القرآن قد أعجز العرب فعلاً بأن عجزوا عن المعارضة ، فقاتلوا الرّسول ﷺ فما قدروا على إبطال حجته ، فعلا و قولاً ، لما روي عنهم أنهم عظموا القرآن لأنّهم ما سمعوا بمثله من قبل. لقد أراد الجرجاني من خلال هذه الرسالة أن يبين حقيقة الإعجاز لا أن يكشف عن أسراره .

يقول الإمام الشيخ عبد القاهر الجرجاني : « إنّما المعجز ما عُلم أنّه فوق قوى البشر و قُدَرهم إن كان من جنس ما يقع التفاضل فيه من جهة القُدَر، أو فوق علومهم إن كان من قبيل ما يتفاضل الناس فيه بالعلم والفهم .»[122]

ونظم القرآن عند الجرجاني هوسر إعجازه و لا شيء غيره ، لذلك فالبحث في مسائل النظم و ربطها ببيان وجه الحجة هو معرفة لحجة الله تعالى. و القول بالصرفة فاسد من كل وجه لسوء الفهم ، وعرض الجرجاني للجاحظ ، و عاب عليه الكثير مما قال .

والتحدي إمّا أن يُعبّر عن معاني القرآن في مثل لفظه ونظمه ، أو أن يُأتى بمثل نظم القرآن في أيّ معنى مراد . ثم إنّ القول بأن نظم القرآن كان في مثل مستوى نظومهم ثم لم يعارضوه لأنّهم صرفوا عن ذلك ، خطأ منكر لأن كلامهم من شعر أو نثر معروف . وهناك دليل آخر هو أنّ الكلام في الآية يقال فيمن كان يقدر ثم عاد لا يقدر عليه ، وهذا دليل بطلان القول بالصرفة .

[121] عائشة عبد الرحمن بنت الشّاطئ ، الإعجاز البياني للقرآن ، ص 110 .
[122] عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية في الإعجاز، ص 598 .

والقول بأن نظم القرآن كان في مثل مستوى نظومهم ثم لم يعارضوه لأنّهم صرفوا عن ذلك، خطأ منكر لأن كلامهم من شعر أو نثر معروف. وهناك دليل آخر ، هو أنّ الكلام في الآية يقال فيمن كان يقدر ثم عاد لا يقدر عليه ، وهذا دليل بطلان القول بالصرفة.

يقول الإمام الشيخ عبد القاهر الجرجاني : « اعلم أنّ الذي يقع في الظنّ من حديث القول بالصرفة ، أن يكون الذي ابتدأ القول بها ابتدأه على توهّم أنّ التحدي كان إلى أن يعبّر عن أنفس معاني القرآن بمثل لفظه ونظمه ، دون أن يكون قد أطلق لهم و خُيّروا في المعاني كلها »[123]

أمّا القول بأن عجزهم هو نقص في فصاحتهم ، يعني أنهم فقدوا القدرة على التمييز بين كلامهم قبل نقص فصاحتهم و بعد ذلك ، و بالتالي نقص في ملكة البيان و تذوّقه ، فلم يدركوا الفرق بين كلامهم و القرآن ، و بالتالي فإنّ القول بأنّه قد حدث نقص في الفصاحة ولم يشعروا به قاطع لأن الشعور هو أساس الإعجاز .

جهود الزمخشري (538ه) :

هومحمود بن عمر بن محمد بن عمر أبو القاسم جار الله الزمخشري المعتزلي من أئمة العلم بالتفسير والحديث واللغة والنحو وعلم البيان . ولد بزمخشر وتوفي بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة التي جاور بها زمانا فلُقّب بجار الله . أهم مؤلفاته : (أساس البلاغة) في اللغة، و(الأنموذج) في النحو ، و(المفصل) في صناعة الإعراب، وله كتاب (الكشاف) الذي فرغ من تأليفه سنة (528ه) . و عني فيه بالبلاغة القرآنية و مبحث إعجاز القرآن ، وكان يؤوّل فيه الآيات بما يوافق مذهب المعتزلة ، وذاك ما عيب عليه في التفسير .

[123] عبد القاهر الجرجاني ، الرسالة الشافية في الإعجاز ، ص 611 .

لقد تتلمذ الزمخشري على الجرجاني في كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرارالبلاغة) ، وتعمق في فهمها حتى أدرك ضرورة علم البلاغة للكشف عن وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن وعن خفايا معانيه وأسراره . وأشار في مقدمة الكشاف إلى ضرورة أن يكون المفسر للقرآن بارعا في علمين هما : علم المعاني و علم البيان . فقال الإمام : « علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم ، كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن ... إلاّ رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان »[124] .

تمكن الزمخشري في الكشاف من استعاب كل ما كتبه عبد القاهر الجرجاني قبل أن يشرع في تفسيره ، كما أنّ هذا الكتاب هو خير تطبيق لقواعد المعانى والبيان اللذين اهتدى إليهما عبد القاهر الجرجاني ، وكانت الأمثلة والشواهد من آي الذكر الحكيم.

لقد جعل الزمخشري البلاغة القرآنية المدخل لفهم معجزة الرسول ﷺ ، وهي القرآن الكريم ، واحتج على الطاعنين بما يثبت الوحدانية ويحققها، ويبطل الإشراك ويهدمه ، وعلم الطريق إلى إثبات ذلك وتصحيحه . وعرفهم أنّ من أشرك فقد كابر عقله ، وغطى على ما أنعم عليه من معرفته وتمييزه ، وعطف على ذلك ما هو الحجة على إثبات نبوة محمد ﷺ ،ما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة، و أراهم كيف يتعرفون أ هو من عند الله كما يدعي ، أم هو من عند نفسه كما يدعون. »[125]

وتحدث عن عجز العرب عن المجيء بمثل القرآن عند أول آية من سورة البقرة ، حيث اتّخذ من عجزهم دليلا على إعجاز القرآن ، عندما سئل عن معنى تسمية السور بتلك الألفاظ، فقال : « أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالإيقاظ وقرع العصا، لمن تحدى بالقرآن

[124] جار الله الزمخشري ، من مقدمة الكشاف ، ص 92 .

[125] المصدر السابق ، ص96 .

وبغرابة نظمه ... وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ... ولم تظهر معجزتهم على أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة ، وهم أمراء الكلام و زعماء الحوار .» [126]

[126] جار الله الزمخشري ، الكشاف ، ص 27 .

جـهود عـلـماء الفـكر العـــربي الحـد يـث :

محـمـد عـبـده (1323 هـ) :

هو الإمام الشيخ محمد بن عبده بن حسن خيرالله المصري ، أحد أركان النهضة العربية ومؤسس الحركة الفكرية ، مفتي الديار المصرية سنة 1317. ولد بقرية محلة نصر، درس بالأزهر وتقلب في مناصب عديدة ، نفي إلى سوريا في الثورة العرابية ثم عاد إلى مصر. دعا إلى حاجة الإسلام إلى الإصلاح فألّف الكثير من الكتب أهمها (الإسلام والرد على منتقديه)، و(تفسير القرآن الكريم)، و(العروة الوثقى لاانفصام لها) و ألفه مع جمال الدين الأفغاني ،و(رسالة التوحيد)، و(وشرح مقامات الهمذاني) ، و(نهج البلاغة) .كما ترأس الحزب الذي يهدف إلى الإصلاح ، فخلف جماعة من تلامذته من كتّاب المسلمين في هذا العصر.[127]

و هو أحد المفسرين المعاصرين الذين تناولوا قضية الإعجاز في تأويل آيات التّحدّي والمعاجزة ، فأقرّ بإعجاز القرآن بأسلوبه ونظمه ، لاشتماله على النّظم الغريب و الوزن العجيب والأسلوب المخالف في فواصله ومقاطعه ،رغم تفاوت آياته في الطّول والقصر. كما ردّ على الطّاعنين على القرآن ، و أوعز ذلك إلى جهلهم للغة الفصحى، التي يكسب ذوقها بمدارسة الكلام البليغ .

لقد أضاف الشيخ محمّد عبده إلى دلائل الإعجاز ضرورة الاتّصال باللغة بالفصحى التي بها تدرك بلاغة النّظم المعجز، كما تحدّث عن الأثر النّفسي للقرآن وجعل لتأثير التّلاوة مكانا في قضية الإعجاز البلاغي . وظهر تأثّره بمذهب الشيخ عبد القاهر الجرجاني في الإعجاز و بمنهجه في الاحتجاج له.

[127] معجم المطبوعات والمعرّبة ، جمع وترتيب يوسف اليان سركيس ، ص 167 .

مصطـفى صـادق الرّافـعي (1365هـ) :

شاعر وكاتب أصله من الشام، ولد بمصر وتوفي بها . له الكثير من المصنفات أهمها : (تحت راية القرآن)، و(أوراق الورد) ،و(ومن وحي القلم) . وهو أول من أخرج كتابا مستقلا في الإعجاز القرآني من المعاصرين بعد الإمام جلال الدين السيوطي (رحمه الله). وكتب(آداب القرآن) ليبيّن أنّ الأخلاق والمسائل التشريعية هي إحدى وجوه الإعجاز، فكان هذا موضوعا جديدا لعلم السلوك الإنساني بأسلوب بياني ملفت.

فأمّا كتابه (إعجاز القرآن) فعرض فيه لآراء السابقين في الإعجاز، فحمل على المتكلمين وعاب عليهم ماعاب دون أن ينكر ويدفع من ينكر ومن يدفع . فإمّا أن تتعارض الحجج الكلامية فتسقط بعضها بعضا، وإمّا أن تقوى واحدة منهنّ فتسقط الباقيات وتبقى هي كلاما من الكلام لا تصلح لنفي ولا إثبات .[128]

رفض القول بالصّرفة ونعت النظّام بشيطان المتكلمين ، وانتصر لابن حزم الظّاهري في كتابه (الفِصل في سبب الإعجاز) ، الذي سلّم بأنّ كون القرآن كلام الله تعالى ، و قد أصاره معجزًا ومنع من مماثلته برهان كاف على إعجازه [129]. غير أنّه أنكر أن يكون أحد قد قال إنّ كلام البشر معجز.[130]

كما تحدّث عن الإعجاز الأسلوبي فقال بنظم القرآن و تركيبه و نسق حروف الألفاظ و الكلمات و الجمل ، فكان إحساس العرب بالعجز.

[128] مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص 99 .
[129] المصدر السابق ، ص 102 .
[130] المصدر السابق ، ص 101 .

و قال عن التّكرار في البيان القرآني أنّه كان مألوفا عند العرب ، و لكنّ القرآن كان يأتي بمعنى في سورة ثمّ بنفس المعنى في سورة أخرى ، فيدهش السامعون لهذا التّكرار. كما كتب في الحروف وأصواتها وفي الكلمات وحروفها وفي الجمل وكلماتها، وتحدّث عن غرابة أوضاع القرآن التركيبية وعدّه من إعجاز القرآن . وراح يقارن تأليف كلمات القرآن بكلام العرب من شعر، و رجز، وخطب ، وحكم ، وسجع . ولكنّه لم ينف أنّ هذه الألفاظ مع غرابتها فهي مؤتلفة ومألوفة .[131]

كماحصر في تحليله للأسلوب القرآني جهات النّظم في القرآن الكريم في الحروف والكلمات والجمل، فقال : « فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه لأنّه يمسك الكلمة التي هو فيها ، ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة ، وهذا هوالسر في إعجاز جملته إعجازاً أبديا»[132] وتحدث عن خصائص الأسلوب القرآني ولخصها في الغرابة والسهولة ، والرهبة ،وغزارة المعاني و المطاوعة . و قال عن البلاغة أنها ليست وضعا لغويا لا علاقة له بالنفس بل التأثير النفسي قاعدة البلاغة .[133]

يرى مصطفى صادق الرّافعي أنّ النّشأة اللغوية التي عرفها العرب قبل مولد النبيﷺ هي إعجاز للقرآن الكريم ،كما أنّ نهضة الأمّة العربية بعد طول عصر عرف جاهلية كبيرة ، هو مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني في تربية النفوس وتهذيبها بأسلوب بياني محكم النّظم ، اتّفق فيه مع عالمنا الجليل عبد القاهر الجرجاني .

[131] مصطفى صادق الرافعي ، إعجازالقرآن والبلاغة النبوية ، ص135 .
[132] المصدر السابق ، ص 102 .
[133] مصطفى صادق الرافعي ، إعجازالقرآن والبلاغة النبوية ، ص 177 .

محمـد فــريـد وجـدي (1875 م) :

هو فريد بك بن مصطفى وجدي بك بن علي رشاد . يعدّ علما من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر، ألف دائرة معارف القرن العشرين و كتب أخرى أهمها: (كنز العلوم واللغة)و(صفوة العرفان في علم التفسير)و(الحديقة الفكرية في إثبات وجود الله بالبراهين) .

لقد قرأ جهود السابقين ووفّاهم حقّهم من المدح والثناء ، و رأى أن للقرآن حلاوة تأثير انفرد بها رغم تكرار القراءة والترديد حين الحفظ ، فسماه التأثير القرآني غير المملول، أو الإعجـــــاز النفسي. و أرجعه إلى أمر واحد ، هو أنه روح من عند الله ، لا يمكن أن تماثلها روح مقال آخر. و نقد حصر المتكلمين القدامى في إعجاز القرآن عنايتهم فقط ببيان الإعجاز البلاغي.

هو يقول بفصاحة القرآن الكريم من ناحية اللفظ والمعنى ، كما يقول بروحانيته الإلهية وهي سر إعجازه،و يرى أن للأساليب البلاغية المعروفة من تقديم وتأخير وإيجاز وإطناب وحذف وغيرها، التأثير الخارق في النفوس . ويرى بأن معرفة أسرار التركيب البياني للقرآن، لاتعني القدرة على محاكاته . ويضرب مثل الناقد وهو ينقد القصيدة الشعرية معجبا بنظمها عاجزا عن محاكاتها . وحدّد مواطن ظهور الإعجاز الروحاني في : إدراك القرآن بمجرد سماعه وإن كان بغير صوت حسن ، وتمييزه مكتوبا من بين سائر الكلام .[134]

مـحـمّـد عـبد الله دراز (1958م) :

فقيه و متأدب مصري أزهري، من هيئة كبار العلماء بمصر.سافر في بعثة أزهرية عام1936، فكتب رسالتين عن (التعريف بالقرآن) و(الأخلاق في القرآن) ، نال بهما شهادة دكتوراة الدولة من السربون ، بمرتبة الشرف الممتازة عام1947 م .

[134] بلقاسم محمد الغالي ، ملامح الإعجاز النفسي في القرآن الكريم ، ص 13 .

حاول أن يأتي بالجديد في الدراسات القرآنية ، وكتب في قضية الإعجاز ليثبت إعجاز القرآن الكريم ،فألف كتاب النبأ العظيم سنة 1933م ، وحدد فيه معنى القرآن ومصدر القرآن. وضمنه حقائق جديدة أهمها الخصائص القرآنية للأسلوب البياني في كتاب الله ، فجعلها في أربعة أمور هي سر الإعجاز، و توسّع في الحديث عن جوهر القرآن الدال على مصدره الرباني .[135]

أولى هذه الخصائص هي البيان والإجمال معاً ، فلا يكاد يجتمع هاذان الطرفان في كلام واحد من كلام البشر إلا و كان فيه النقصان ، أما ألفاظ القرآن و أغراضها فهي حقائق و صور ماثلة.

ثانية هذه الخصائص إقناع العقل وإمتاع العاطفة ، لأن العقل والعاطفة لا يجتمعان في أسلوب واحد ، إلا و يكون قصورا في جانب ، و غلوا في جانب آخر، غير أن القرآن لا ينسى حق العقل و هو يسرد القصص والأخبار، ولا ينسى حظ القلب من ترغيب و ترهيب ومن تشويق و تحذير و هو يقرّ بالأحكام و البراهين .

وثالثة الخصائص هي خطاب العامة والخاصة ، ما لا نجده إلا في كتاب الله ، فقد خاطب الله العامة والخاصة بأسلوب بياني فهمه كلاهما . وآخر الخصائص هي القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى ، واستوفاها بالاستشهاد بآيات القرآن مثبتا سر الإعجاز فيها .كما يرى الإعجاز في جمال توزيع الحركات والسكنات والمد، ورصف الحروف و تأليفها ، و في اللّبّ الداخلي لتصوير المعاني .

[135] محمد رفعت أحمد زنجير، مباحث في البلاغة و إعجاز القرآن الكريم ، ص 4405 .

سـيّد قــطـب (1387هـ) :

أحد أعلام العصر الحديث ، بلغت مؤلفاته العشرين و أهمها: موسوعة (في ظلال القرآن) ، التي يقول إنه لم يقدم فيها تفسيرا يتجاوز الظلال إلى الأعماق ، وكتاب(التصوير الفني في القرآن) ، اعتمد فيه على التنظير القاعدي لجهات الإعجاز كما تصوره ،كما اعتمد فيه على ذهنه و روحه و إحساسه قبل أن يعتمد على جهود السابقين القدامى . وله (مشاهد القيامة)في القرآن .

تحدث الأستاذ سيد قطب عن تأثره بالقرآن و بما احتواه من فنون الإعجاز ، وهو التصوير الفني للقرآن . يقول : « التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية و عن الحدث المحسوس و المشهد المنظور و عن النموذج الإنساني و الطبيعة البشرية ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها ، فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة . »[136]

كما اعتبر الأداء الوجداني سرّ الإبداع في الإعجاز، فعارضه بعض معاصريه بحجة أن المنطق العقلي جناح آخر في الإعجاز، فأكّدّ أنه لم يغفل هذا الجانب وتناوله بإسهاب في كتابه (في ظلال القرآن) ، ليكشف عن أداتين مهمتين : الإقناع والإمتاع في القرآن الكريم .

يقول : « وقد لاحظنا من قبل أن التعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني و الغرض الفني ، فيما يعرضه من الصور والمشاهد ،بل لاحظنا أنه يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية . »[137]

---

[136] سيد قطب ، مشاهد القيامة في القرآن ، ص 82 .

[137] المصدر السابق ، ص 269 .

وقسّم الأستاذ الشيخ مراحل تذوق الجمال القرآني إلى مرحلة التذوق الفطري للعرب عند سماعهم القرآن ، ومرحلة إدراك مواضع الجمال[138]. و تبدأ من القرن الثاني الهجري عند إقبال العلماء على القرآن من مفسرين ، وأدباء ، ومتكلمين . و أخيرا مرحلة إدراك الخصائص العامة.

يرى الإعجاز أيضا في أساليب النظم و البيان،ثم في الهداية والتوجيه والإرشاد وفي المشاهد القرآنية الحية النابضة . فأبرز المشاهد التي رأى فيها الإعجاز من سورة (ق) و(الصافات) و(الملك) . وعن التكرار في أكثر قصص القرآن يقول الشيخ أنه تكرار لبعض حلقات القصة ، و فيه إشارات لموضع العبرة فيها ، مع اختلاف في كل تكرار من سورة إلى أخرى .

محمد متولي الشعراوي :

أحد علماء القرن الرابع عشر الهجري ، درس بالأزهر ثم جامعة أم القرى بمكة ، عمل لفترة وزيرا للأوقاف ثم تفرّغ للتّدريس والدعوة . يرى الشيخ الإعجاز في كونه مزّق حاجز الماضي في إخباره عن الأمور الماضية ، وحاجز المكان في إخباره عن أسرار النفس الإنسانية حين الخطاب ، وحاجز المستقبل في إخباره عما يمكن أن يحدث في المستقبل القريب والبعيد.

كما يرى أن للقرآن ثلاث مزايا : القرآن معجزة عقلية خالدة ، المعجزة القرآنية منهج ودستور، أي أن معجزة الرسول ﷺ.ون سائر الأنبياء هي ذاتها القرآن و المنهج معا. و أخيرا المعجزة القرآنية صفة من صفات الله ، و هي صفة الكلام و هي صفة باقية بقاء الله عز و جل المنزّه عن كل وصف. و مظاهر الإعجاز عند الشيخ الشعراوي تتلخص في مطابقته لما توصل إليه العلم في العصرالحديث ، وللحقائق الكونية التي لم تكن معروفة ، و اعتمد على التفسير لإبراز جوانب الإعجاز في القرآن الكريم .

[138] سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص 16 .

عبد العظيم الزرقاني:

من مواليد إحدى القرى بمحافظة الغربية بمصر .أحد علماء الأزهر البارزين امتاز بالنشاط العلمي و الاجتماعي في المجال الإسلامي. كان رئيسا لجماعة التربية الإسلامية وعضوا بجماعة جبهة علماء الأزهر، و أستاذا للدراسات العليا بكلية أصول الدين . من أهم مؤلفاته : (مناهل العرفان في علوم القرآن).

يرى الشيخ الإعجاز في ألفاظ القرآن وتأليفه ،وفي ظهوره منجما عبر عشرين سنة. اعتبر إعجاز القرآن في جانب العبادات والعقائد إعجازا للإسلام في التربية و التهذيب والسياسة ودقة السبك وقوة الاتصال ، وفي تنوع القراءات والحروف الأوائل للسور وهي حروف الهجاء ، وفي نزوله على رجل أميّ، وفي إخباره بالغيبيات وهي كثيرة ، ويعتبره من أبرز شواهد الإعجاز. كما يراه في حديثه عن الكونيات الدقيقة المحيطة بالإنسان ، التي تحتاج إلى علوم كونية لفهمها ، و نزولها على أميّ هو الإعجاز ذاته .[139]

و يراه أيضا في أنّه جاء بهدايات تفي حاجات البشر، وفي عجز الرسول الكريم عن الإتيان ببدل القرآن لأنّه ليس كلامه ، وفي الآيات التي تجرده من نسبته إليه ، و في تأثيره ونجاحه.

و قد ردّ الشيخ على الشبهات الواردة في الإعجاز، ومنها شبهة من قالوا بأنّ إعجاز القرآن لا يدلّ على أنّه كلام الله تعالى . يقول : « والخلاصة أنّ القرآن من أيّة ناحية أتيته ، لا ترى فيه إلاّ أنوارا متبلّجة وأدلّة ساطعة على أنّه كلام الله. ولا يمكن أن تجد فيه نكتة من كذب، ولا وصمة من زور، ولا لطخة من جهل. وإنّي لأقضي العجب من هؤلاء الذين أغمضوا أعينهم عن هذه الأنوار،

[139] محمد عبد العظيم الزّرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، 334 .

وطوّعت لهم أنفسهم اتّهام محمّد صلّى الله عليه وسلّم بالكذب ، وزعموا أنّ القرآن من تأليفه هو لا من تأليف ربّه .»[140]

هذا وإن البحث في الإعجاز القرآني أعمق بكثير، فقد كتب فيه الأدباء والمفسرون و المتكلمون والفقهاء، في العصر القديم والحديث . ومهما تحدثنا عن جهود هؤلاء جميعهم ، فلن نتمكن من أن نوفيهم حقهم من الجهد الذي بذلوه لأجل خدمة القرآن الكريم .

[140] المرجع السابق ، ص 336.

نـشـأة وتـطوّر الدّرس البـلاغي:

تمهيـــــــد :

إنّ أهم ماميّز العهد الإسلامي هو نزول القرآن عربيا معجزا، فأعجب المسلمون ببلاغته ، ولم يبحثوا في قضية الإعجاز لأنهم كانوا حديثي العهد بالإسلام . ولا شك أن الملاحظات البلاغية قد بدأت تظهر في العهد الأموي بعد النهضة العلمية التي قامت في مدينتي الكوفة والبصرة، لاختلافهما في الآراء اللغوية والنحوية، وحتى الفرق الإسلامية أثارت المناقشات في كل مايتصل بشؤون المسلمين العامة.[141]

ثم يأتي العهد العباسي ابتداء من سنة(132ه)، لتزدهر هذه الملاحظات وتتسع بحكم الترجمة وتبادل الثقافات الأجنبية وإتقان الموالي للعربية، مما جعل العلماء يطرحون ملاحظاتهم حول خصائصها البلاغية . وبالمثل فعل كتاب الدواوين الشعراء، النحويون واللغويون . وبدأ الحديث عن الإعجاز في القرآن بصورة علمية ،و كثر الكلام في الدين والنبوة . فتطورت البلاغة شيئا فشيئا إلا أن استقرت على يد أبي يعقوب السكاكي(626ه) في أوائل القرن السابع الهجري ، بعلومها الثلاثة : المعاني ، البيان والبديع .[142]

---

[141] محمد رفعت أحمد زنجير ، مباحث في البلاغة و إعجاز القرآن الكريم ، ص 425 .

[142] علي عشري زايد ، البلاغة العربية ، ص 100 .

***النـشـأة:**

لقد نشأت البلاغة في بداية القرن الثالث الهجري، على هامش علوم أخرى كان لها الأثر الواضح . وهي العلوم القرآنية ، والعلوم اللغوية ، والعلوم الأدبية .

•النـقـد الأدبـــي :

لقد أسهم النقد الأدبي في تطورالبحث البلاغي ونموه باعتماده على الذوق القائم دراسة ومنهج، فصعُب التفريق آنذاك بين بين النتاجين النقدي والبلاغي بين المؤلفات النقدية والبلاغية.

والوقوف عند تاريخ البلاغة العربية تستوقفه مؤلفات المرحلة النقدية، باعتبارها من مصادر البلاغة الأولى، ونفس الأمر بالنسبة لكتب النقد النظري التي تدورحول نظرية الأدب، مثل: (كتاب الصناعتين) لأبي هلال العسكري،و(نقد الشعر) لقدامة بن جعفر،ثم كتب النقد التطبيقي التي تنقد نتاج الشعراء، مثل كتاب (الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري) للآمدي، و(الوساطة بين المتنبي وخصومه) للقاضي عبد العزيز الجرجاني.

وأول كتاب في النقد وتاريخ الأدب هو كتاب (طبقات الشعراء) لابن سلام الجمحي (232هـ) في القرن الثالث الهجري، والذي قسم من خلاله الشعراء تبعا للزمان والمكان والفن الأدبي . ثم ظهر ابن قتيبة (276هـ) بكتابه (الشعر والشعراء)، وأخبر فيه عن الشعراء وأحوالهم في شعرهم ، وعن أقسام الشعر وطبقاته وعن وجوه استحسان الشعر، لكنه لم يتناول النصوص ولا الشعر بنقد فني تطبيقي .[143]

[143] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة ، ص21 .

ثم نشأ النقد المنهجي على يدابن المعتز(296ه) في كتابه (البديع) ،فاستخرج كل ما وجده في القرآن واللغة والحديث من كلام هو البديع ،وجمع بين الاستعارة وبين التجنيس، الطباق ورد العجز على الصدر،وبين المذهب الكلامي وهومنهج عقلي مأخوذ باعتراف ابن المعتز عن الجاحظ أي عن المعتزلة وعلماء الكلام. وهو إيراد حجة المطلوب على طريقة أهل الكلام[144].

والمذهب الكلامي نوع من الجدل العقلي والقدرة على توليد المعاني والدقة في المفارقات[145].

ونستطيع القول أن ابن المعتز قد حدد خصائص مذهب البديع ، وفصلها عما عداها من الطرق البلاغية ، كما ردّ على المتفلسفة والشعوبيين الذين كانوا يخاصمون البلاغة العربية . وركّز ابن المعتز على خصائص النصّ وأهمل طرفي الكلام المتكلم والسامع ، ونظر إلى مسألة البديع من زاوية الصراع بين القدماء والمحدثين. لكنه بيّن أنّ العرب قد عرفت فن البديع في كلامها، وأنه موجود في كتاب الله تعالى وفي الحديث النبوي الشريف ليثبت أصالة هذا الفن في تراث العرب.

ثم يأتي قدامة بن جعفر(337ه) وكتابه(نقد الشعر). وهو أحد أهم الكتب الهامة في تاريخ النقد العربي والبلاغة العربية ، حيث ظهر فيه تأثير الثقافة اليونانية على النقد والبلاغة ، وخصوصا بعض آثار أرسطو وكتابيه المترجمين إلى العربية عن السريانية (فن الشعر) و(الخطابة)، بالرغم من أن فكر أرسطو النقدي، لم يُفهم فهما صحيحا لجهل المترجمين بالمدلولات الفنية لبعض الأجناس الأدبية .

وعرض فيه صاحبه لضرورة أن يكون اللفظ سهل المخارج فصيحا ، وأن يكون الوزن سهل العروض، وأن تكون القافية عذبة الحرف، وأن يكون المعنى موجها للغرض المقصود.وتحدث عن مفهوم الشعر ثم صفات الجودة أو ما أسماه النعوت.

---

[144] أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 326 .

[145] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة ، ص 49 .

واعتبر التشبيه من أغراض الشعر، والكناية من صفات ائتلاف اللفظ والمعنى. كما تناول فنونا بلاغية من علم البيان والمعاني كالمساواة والإيجاز، وسمّاه الإشارة، وحشد قدامة مجموعة من المصطلحات البلاغية والنقدية ، ولكنه لم يتمكن من تحقيق التوازن بين الموضوعية المنطقية والذوق الفني.

وكل ما وضعه من نعوت لجودة الشعر صنفت فيما بعد تحت علم البديع ،كالجناس ،والطباق ، والتصريع وغيرها. وبذلك قد أسهم بجهوده في إثراء المعجم البلاغي بمصطلحات،وإن لم تكن في معناها. وممن احتذوا بقدامة ابن رشيق القيرواني(456ه) في كتابه(العمدة في محاسن الشعرونقده)، ابن سنان الخفاجي(466ه) في كتابه (سرالفصاحة) وأبو هلال العسكري (395ه) في كتابه (الصناعتين) .

وتأتي مرحلة النقد التطبيقي في كتابي(الموازنة) للآمدي(370ه) و(الوساطة) للقاضي عبد العزيز الجرجاني (392ه) .والذي ساعد على رواج هذا الإتجاه هو ما دار بين النقاد والأدباء منذ القرن الثالث الهجري حول مذهب بشار بن برد وأبي نواس ثم مذهب أبوتمام .

ومدار هذا المذهب هو الإكثار من الصور البلاغية من تشبيه واستعارة وجناس وطباق فسمي مذهب البديع . واحتدم الصراع حول ثلاثة شعراء هم : أبو تمام، البحتري و المتنبي.

***كتاب الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري :**

وفي الكتاب موازنة بين أبي تمام المغالي في الصنعة الشعرية والمكثر من الصورالبلاغية ،وبين البحتري الملتزم بالتقاليد الشعرية الموروثة . والجانب البلاغي في الموازنة قليل مقارنة مع الجانب النقدي. ظل الآمدي محايدا فاختص أبا تمام بالحديث عن عيوبه في البديع ولم يذكر شيئا من عيوب البحتري في البديع ما دون السرقات، إلا مثالين في التجنيس القبيح . كما لخص نظريات اليونان والهند في البلاغة.

***كتاب الوساطة للقاضي الجرجاني:**

في منتصف القرن الرابع الهجري، بدأت حدة الصراع حول مذهب أبي تمام تخف ليخلفه المتنبي بحجة أنه جمع في شعره بين القديم والجديد، فدارت حوله الخصومة في بغدادوفي فارس.

عرض القاضي لأخطاء الجاهليين، ثم تفاوت شعرالشعراء، تاريخ الشعر العربي وصولا إلى البديع ليفصّل في أوجهه، ثم دافع عن المتنبي بالتحليل والمناقشة . أما الجانب البلاغي في الكتاب فكان ضئيلا، فيه إشارة لبعض صورالبديع عند العرب مع التمثيل والاستعارة.

ويظهر أبوهلال العسكري (395ه) بكتابه (الصناعتين)، وهو نقطة تحول النقد إلى بلاغة. تأثر بابن قتيبة في تمييز الكلام، و أخذ عن الآمدي و القاضي الجرجاني . نفر من مذهب الكلاميين وفضل ابن المعتز على قدامة . اعتمد في كتابه على التعاريف والتقاسيم فأبان عن موضوع البلاغة وتكلم عن المعاني ثم الألفاظ وقواعد التأليف بينهما وعن كثير من القضايا البلاغية المتنوعة كالإيجاز والإطناب، والتشبيه، والسجع، وأوجه البديع ومبادئ الكلام .

بعد العسكري يأتي عبد القاهر الجرجاني(471ه)،ويصل إلى أن اللغة هي مجوعة من العلاقات لا الألفاظ، فينتقل النقد إلى بلاغة تعليمية . ويبحث منهج عبد القاهر الجرجاني المزيج بين النحو والمعاني في العلاقات التي تقيمها اللغة بين الأشياء ، فمرد كل نقد هو طريقة نظم الكلام . أما من البديع فما ليس فيه تقوية للمعنى أو إيضاح ، فيرفضه .[146]

[146] علي عشري زايد ، البلاغة العربية ، ص 97 .

***القرآن والنقد(الفرق الإسلامية) :**

لقد أثرت الفرق الإسلامية النقد في القرآن، وساعد أصحابها في ذلك ببلاغتهم وبراعتهم في توليد المعاني وفي الجدل وفي التمرس بأساليب القول وطرقه للتمكن من شرح عقائدهم الكلامية وإيصالها إلى الناس ، وللدفاع عنها ضد الخصوم مما اقتضى منهم مهارات بلاغية .

كما أن علم الكلام وموضوعه من أهم العلوم التي ساعدت على نشأة البلاغة والذي جعلها كذلك قضية الإعجاز القرآني . وهو« النظرفي أفعال الله تعالى وما يصدرعن قدرته من المكونات كلها والمصنوعات فيحصل له العلم بذاته.»[147]. هذه القضية التي أفرد لها علماء الكلام من معتزلة وأشاعرة وأهل السنة الكثير من المؤلفات الكلامية . ومن هؤلاء العلماء نذكر الجاحظ في(نظم القرآن) ،والرماني في (النكت في إعجاز القرآن)،والخطابي في (بيان إعجاز القرآن) ،والباقلاني في (إعجاز القرآن) .

لقد نشأت قضية الإعجاز نشأة بلاغية ،لانبهار العرب ببلاغة القرآن ونظمه البديع ، والذي تحدّوا بأن يأتوا بمثله لكنهم عجزوا، وبعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية ،ظهرت الحاجة إلى الاهتمام بالجانب البلاغي للقرآن . فانتدب علماء الكلام أنفسهم للتصدي لهذا الاهتمام فطرحوا في مؤلفاتهم حول الإعجاز بعض الملاحظات البيانية والأفكار البلاغية التي كانت تتطور شيئا فشيئا، إلى أن أصبحت كتبا بلاغية .كما أسهموا في النقد اللفظي والإثراء الفلسفي الذي جعل القرآن أكثر إعجازا.

ولعل أهم كتاب يثبت اهتمام علماء الكلام بالقضايا البلاغية هوكتاب (البيان والتبيين) للجاحظ (255ه) وهو من كبار علماء المعتزلة . وهي مدرسة قامت للدفاع عن الدين ضد الأفكار الدخيلة على الإسلام ممن يعتنقه من أبناء الأمم الأخرى .تسربت من اليهود ،والنصارى ،والمجوس ،والفكر الإغريقي

[147] يحي بن حمزة العلوي ، الطّراز ، ص12 .

والفارسي عبر الترجمة التي شجع عليها الخلفاء العباسيون . رأس هذه الفرقة هو واصل بن عطاء (131ه) ، وهو من تلاميذ الحسن البصري وله مؤلفه (معاني القرآن).

لقد أقبل المتكلمون وخاصة المعتزلة على دراسة كل ما خلفه العرب حتى عصرهم من ملاحظات بيانية مختلفة لوضع أصول دقيقة للبيان العربي ،معتمدين على حسن الكلام وروعة البيان. كما اتخذوا من العقلية الجديدة التي كونتها فلسفة اليونان أساسا لمجادلاتهم في التوحيد والفقه . ولأنّ القرآن الكريم كان على قدر من البلاغة والفصاحة، فكان لابدّ للعلماء من إدراك هذا العلم لمعرفة حقائق الإعجاز. يقول يحي بن حمزة العلوي: « البيان أن يقال فيه هو العلم الذي يمكن معه الوقوف على أحوال الإعجاز ، لأن الإجماع منعقد من جهة أهل التحقيق على أنه لا سبيل إلى الاطلاع على معرفة حقائق الإعجاز وتقرير قواعده من الفصاحة والبلاغة ،إلا بإدراك هذا العلم وإحكام أساسه .»[148]

***أثرالمفسرين:**

لقد حظي علم الحديث بالنصيب الأول في عصرالتدوين الذي بدأ في أواخر عهد بني أمية وأوائل عهد العباسيين ،والتفسير باب من أبواب الحديث .وعلم التفسير أسبق صلة بعلم البلاغة من علم الكلام . ولقد بدأت المحاولات الأولى بمؤلفات اشتملت على ملاحظات بلاغية قيمة مثل كتاب (مجازالقرآن) لأبي عبيدة معمربن المثنّى (210ه) ، وهو من المحاولات الأولى في تفسير القرآن الكريم.

ثم توالت المحاولات مع ابن ماجه (276ه)،ابن جرير الطبري (310ه) النيسابوري (318ه) ابن مردويه (410ه) وغيرهم . وبعدما اتّسعت العلوم ، وأثيرت مسائل الكلام ، وحرصت الفرق الإسلامية على الدفاع عن مذهبها ،اتّجه المفسرون اتجاهات، متعددة فحمّل كل مفسر آيات القرآن الكريم ما ينتصر به لمذهبه .

[148] يحي بن حمزة العلوي ، الطّراز ، ص 11 .

ولأن من شروط المفسر أن يكون عالما باللغة ليشرح مفردات الألفاظ وعارفا بالنحولأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب ،وبالصرف الذي به تعرف الأبنية والصيغ ،وبعلوم البلاغة من معاني وبيان وبديع لمعرفة خواص تراكيب الكلام من حيث الإفادة بالمعنى ووضوح الدلالة ووجوه تحسين الكلام، والتي بها يدرك الإعجاز ، توجّب على المفسرين الخوض في هذه العلوم المختلفة حتى يتمكنوا من تفسير وتأويل آي القرآن الكريم.

تولّى المفسّرون بيان مزايا الأسلوب القرآني ، واتّجهوا اتجاها بلاغيا قصد بيان إعجاز القرآن للناس وتفسير آيات التحدي في سورة البقرة ، ويونس، وهود لبيان وجه البلاغة والفصاحة ، وبالتالي إبراز الإعجاز البياني للقرآن . ولا تكاد التفاسير تخلو من الاعتناء بالناحية البلاغية وأهمها : جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري(310 ه)، والذي أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله .[149] ثم تفسير الكشاف للزمخشري (538ه) ، وتفسير (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للقاضي البيضاوي (685ه) و (مفاتيح الغيب) لفخرالدين الرازي (606ه) .[150]

***أثر اللغويين والنحاة والأدباء:**

لقد كان للنحويين واللغويين فضل كبير في نشأة البلاغة لما وصلوا إليه في مجال النحووالصرف، بحسهم اللغوي الدقيق الذي جعلهم يفقهون أسرار العربية ودقائقها في الألفاظ والعبارات . كما قاموا بدور هام في طرح القضايا البلاغية الأولى من خلال استنباطهم لقواعدهم ومبادئهم اللغوية من النثر والشعر، هذه المبادئ التي استلزم استخلاصها تحليل الجوانب الأسلوبية في النصوص . ثمّ يصبح علم المعاني من علوم البلاغة الثلاثة ، فهو جزء من النحو، وذاك ما تنبّه له عبد القاهر الجرجاني(471ه)

[149] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص 593 .

[150] علي عشري زايد ، البلاغة العربية ، ص 17 .

في كتابه (دلائل الإعجاز) حين بحث في النظم وعرّفه بأنه مراعاة لمعاني النحو. يقول : « واعلم أنك تجد هؤلاء الذين يشكون فيما قلناه ، تجري على ألسنتهم ألفاظا وعبارات لا يصحّ لها معنى سوى توخّي معاني النّحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم ، ثم تراهم لا يعلمون ذلك .»[151]

وأوّل كتاب لغوي احتوى على أفكار بلاغية هو كتاب(مجازالقرآن) لأبي عبيدة معمرين المثنى (210ه)، ولو أنّ المفسرين يعدونه من كتب التفسير.ثم كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة (276ه) . ومن أهم اللّغويين الذين أثروا الدّرس البلاغي بجهودهم القيّمة : الكسائي (189ه)، قطرب بن المستنير (206ه)، الفرّاء(207ه) ،المبرّد (286ه)، ثعلب(291ه)، الزجّاج (311ه)، ولو أنّه مفسر أيضا، ابن الأنباري(328ه) وغيرهم كثير.

كما لا ننسى كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ (255ه)، الذي كان ناقدا وأديبا ومتكلما معتزليا. هذا الكتاب الموسوعة الأدبية التي حوت الكثير من الفنون الأدبية والأفكار البلاغية والآراء النقدية ، ثم كتابه (الحيوان) الذي لم يخل أيضا من نفس الأفكار البلاغية .

***أثر الفلسفة:**

في أواسط القرن الثالث الهجري، ظهرت فئة المتفلسفة الذين اتخذوا من فلسفة اليونان ومعاييرهم في البلاغة أساسا يحتكمون إليه . وجمع منهجهم بين الثقافة العربية واليونانية ، لكنهم اعتمدوا قواعد البلاغة اليونانية عن طريق التلخيص والترجمة . فتأثر قدامة بن جعفر(337ه) وألف كتابه (نقد الشعر) وحاول وضع علم للشعر،يصدر فيه عن منطق شكلي مجرد. ولم يلق كتابه نجاحا كبيرا.[152]

[151] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 405 .

[152] محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة ، ص 314 .

لقد أدى نشاط حركة الترجمة في العصر العباسي إلى انقسام علماء المسلمين إلى فريق معارض رأي تعارض الكتب المترجمة لكتب الفلسفة مع القرآن الكريم ، مثل أبو حامد الغزالي(505ه) والفخر الرازي (606ه) . وفريق معجب بهذه الكتب رأى أنه يمكن التوفيق بين القرآن والفلسفة ، بتأويل النص القرآني أوبشرح النصوص القرآنية وكلاهما بما يسايرالفلسفة . ومن أهم المؤلفات في التفسير الفلسفي: فصوص الحكم لأبي نصر الفارابي (339ه) أكبر فلاسفة المسلمين .

***الأثرالأجنبي:**

ترجم حنين ابن إسحاق(296ه)كتاب الخطابة لأرسطو، مما يدل على أن العرب قد عرفوا هذا الكتاب، الذي يتحدث فيه أرسطو عن الاستعارة ، وقال أنها تشبيه ، وعن الطباق أنّه رد الأعجاز على ما تقدمها . وهي ما ميّز بها ابن المعتز مذهب المحدثين ، وأما المذهب الكلامي فقد أخذه عن الجاحظ.

فهم العرب تعاريف أرسطو لكنهم اختلفوا في ترجمة الاصطلاحات .فابن المعتز مثلا قد أخذ عن أرسطو طريقة تحليل الظواهر وطبقها على اللغة العربية ، وبحث عن الأمثلة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر، ورأى في ذلك مميزات لمذهب البديع ، فاعتمد على التعريف والتقسيم والنقد.

غير أن مرحلة النشأة عرفت افتقار المؤلفات البلاغية إلى المنهج العلمي، وأهم سماتها هي: غياب التبويب العلمي الدقيق الذي يمثل أهم خصائص المنهج العلمي ،واستخدام المصطلحات البلاغية من دون معرفة مدلولاتها التي تعارف عليها البلاغيون فيما بعد ، وامتزاج القضايا البلاغية بقضايا العلوم الأخرى، وهي القرآنية واللغوية والأدبية .

وأخيرا عدم تميز علوم البلاغة الثلاثة : البيان،البديع والمعاني. وأهم كتاب في هذه المرحلة هو(مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمرين المثنّى(210ه) . حيث كان يعرض للأساليب الدقيقة في القرآن الكريم، ويحللها تحليلا لغويا عند تفسيرها، فيصل إلى الملاحظات البلاغية.[153]

*** تكامل الأفكارالبلاغية واستقرارالبلاغة:**

في هذه المرحلة عرفت البلاغة نضجا مهمّا بالرغم من بقاء امتزاجها بنفس العلوم الأخرى، وأصبحت الأفكار المتناثرة في المؤلفات أبوابا وفصولا متكاملة . والكتب الكلامية أصبحت كتبا بلاغية يطغى عليها الجانب البلاغي أكثر من الجانب الكلامي . ومن أوائل كتب هذه المرحلة كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة(276ه) .

وفي أواخر القرن الثالث الهجري، أصبحت البلاغة علما مستقا له أصوله وقواعده العلمية ومباحثه وقضاياه، وأول كتاب في هذه المرحلة هوكتاب (البديع) لابن المعتز (296ه) ،ثم كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري(395ه) ، وهو نقطة تحول النقد إلى بلاغة .[154]

***ازدهار البحث البلاغي:**

ازدهرت البلاغة في هذه المرحلة على يد البلاغي الجليل عبد القاهر الجرجاني(471ه) ب كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرارالبلاغة) . مع أنه لا أحد ينكر أن مباحث علم البيان وبعض مباحث علم المعاني قد كانت معروفة قبل عبد القاهر، ولكنه أنشأ معظم مباحث المعاني ولم يهتم كثيرا بعلم البديع. لقد وضع الجرجاني أسس نظرية جديدة ليعالج فروع علم المعاني و«هي نظرية النظم».

---

[153] علي عشري زايد ، البلاغة العربية ، ص 22 .

[154] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة ، ص 315 .

والنظم عنده التأليف أو البناء اللغوي للجملة وفق ما يقتضيه المعنى. يقول : « وإذا قد عرفت أنّ مدار أمر النظم على معاني النحو ، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أنّ الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ، ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي علما لإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام .»[155] أما علم البيان فرصد له كتاب (أسرارالبلاغة) ، فتتبع فروع علم البيان بتعمق وفق المنهج التحليلي الفني.

***السكاكي وجمود البلاغة:**

في بداية القرن السابع الهجري، جمدت المحاولات البلاغية بعد أن بلغت قمتها مع عبد القاهر الجرجاني، فحاول أبو يعقوب السكاكي (626هـ) في كتابه (مفتاح العلوم) ، أن يخضع البلاغة العربية للتقنين والتقعيد ، لكنه حولها إلى قوانين جافة تشبه إلى حد بعيد قواعد النحو والصرف . وقد رتّب السكاكي علوم البلاغة الثلاثة بداية بعلم المعاني ثم البيان ثم المحسنات البديعية .

يقول السكاكي : « وقد ضمّنت هذا من أنواع الأدب دون نوع اللغة ، ما رأيته لابد منه ، وهي عدة أنواع متآخذة ، فأودعته علم الصرف بتمامه ، وأنه لا يتم إلا بعلم الاشتقاق ... وأوردت علم النحو بتمامه ، وتمامه بعلمي المعاني والبيان .»[156]

[155] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 87 .
[156] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 37 .

تمهيـــــــــد:

لاشك أن البلاغيين والمفسرين قد عالجوا بلاغة القرآن قصد إظهار خفايا الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، فالجاحظ (255ه)، والرماني (386ه) ، والباقلاني(403ه) ، و الجرجانى (471ه) رحمهم الله وأمثالهم رحمهم الله تعالى، قد كتبوا فى البلاغة والإعجاز في كل الوجوه ، و قد منحوا المفاتيح للباحثين للوصول إلى الدقائق والأسرار . والزمخشرى (538ه) ، وابن عاشور (1393ه) وأمثالهم رحمهم الله تعالى قد كشفوا عن الأسرار الكامنة فى الأساليب القرآنية المتعلقة بهذا المجال .

مفهوم البلاغـــــة وعلاقتها بنظرية الإعجاز:

البلاغة من العلوم العربية التي لم يطرأ عليها تطور منذ استقرت على يد أبي يعقوب السكاكي (626ه) في أوائل القرن السابع الهجري ، بعلومها الثلاثة : المعاني والبيان والبديع . على أنّها قبل أن تصل إلى هذه الصيغة كانت قد مرت بعدة مراحل منذ نشأت في بداية القرن الثالث الهجري. لقد كانت مجرد ملاحظات متناثرة وأفكار مبعثرة ، على هامش العلوم التي سبقتها إلى النشأة . ومن بين هذه العلوم العلوم القرآنية التي اهتمت بالنص القرآني من ناحية شرحه وتفسيره علم التفسير، أو من ناحية بيان وجوه إعجازه علم الكلام .[157]

و البلاغة هي معرفة الفصل من الوصل ، وهي أن تصيب فلا تخطئ وتسرع فلا تبطئ ، وهي اختيار الكلام وتصحيح الأقسام . وما أحسن ما قاله إبراهيم بن محمد المعروف بالأمام : « يكفي من حظ البلاغة ألاّ يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا الناطق من سوء فهم السامع » ، وقال سهل بن هارون الكاتب : « العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والبيان ترجمان العلم »[158]

[157] علي عشري زايد ، البلاغة العربية ، ص13.

[158] ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، ص61 .

والبلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها . وللبلاغة طرفان أعلى وأسفل ... فمن الأسفل تبتدئ البلاغة ، ثم تأخذ في التزايد متصاعدة إلى أن تبلغ حد الإعجاز ، وهو الطرف الأعلى وما يقرب منه . واعلم أن شأن الإعجاز يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن والملاحة . ومدرك الإعجاز الذوق ليس إلاّ ، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين .[159]

يقول الخطيب القزويني : « وللبلاغة طرفان : أعلى إليه تنتهي، وهو حد الإعجاز وما يقرب منه، وأسفل منه تبتدئ ، وهو ما إذا غيّر الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات وإن كان صحيح الإعراب .»[160]

ويعرفها يحيى بن حمزة العلوي ، فيقول : « هي الوصول إلى الشيء والانتهاء إليه ، وسمي الكلام بليغا، لأنه قد بلغ به جميع المحاسن كلها في ألفاظه ومعانيه . وهي في مصطلح النظار من علماء البيان عبارة عن الوصول إلى المعاني البديعة بالألفاظ الحسنة ، و عبارة عن حسن السبك مع جودة المعاني ، والمقصود من البلاغة ، وصول الإنسان بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المخل بالمعاني ، وعن الإطالة المملة للخواطر . »[161]

وإن كانت بلاغة القرآن أعلى فهي في مرتبة الإعجاز . والبلاغة شاملة للألفاظ والمعاني، ويفرق بينها وبين الفصاحة من وجه آخر هو أنها لا تكون إلا في اللفظ والمعنى ، بشرط التركيب .[162]

---

[159] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 526 .
[160] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 15 .
[161] يحيى بن حمزة العلوي ، الطراز ، ص 62 .
[162] يحيى بن حمزة العلوي ، الطراز ، ص 94 .

وبلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته .[163]والبلاغة من قولهم : بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلغتها غيري،ومبلغ الشيء منتهاه فسميت البلاغة بلاغة لأنّها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه.[164]

لقد قام علم البلاغة خدمة لتفسير كتاب الله ، وبيان إعجازه ، فالبلاغة قاعدة التفسير والإعجاز[165] ، وتاريخها مرتبط بتاريخ التفسير. أمّا الصلة بين البلاغة وعلم الكلام فهي قضية الإعجاز القرآني التي عني بها العلماء وأفردوا لها كتبا خاصة مثل (النكت في إعجاز القرآن) للرماني ، و(بيان إعجاز القرآن للخطابي ، و(إعجاز القرآن) للباقلاني .

وهذه القضية كانت أيضا قضية بلاغية بمقدار ما كانت قضية كلامية ، لأنّ الجانب البلاغي في القرآن الكريم هو أبرز وجوه إعجازه .يقول الباقلاني : « البليغ المتناهي في وجوه الفصاحة يعرف إعجاز القرآن ، وتكون معرفته حجة عليه ، إذا تُحُدّى إليه وعجز عن مثله . »[166]

لقد نزل القرآن الكريم على الرسولﷺ ، وأنكر مشركو قريش كون القرآن وحيا من الله، فتحداهم القرآن أن يأتوا بمثله ، فلم يستطيعوا وعجزوا. مع أنهم كانوا يعلمون أنّ ثمّة شيء في النظم القرآني يخرج عن طوق البشر واستطاعتهم ، لأنهم كانوا على قدر من نصاعة الفطرة اللغوية ، مكنتهم من إدراك هذا الجانب من جوانب الإعجاز القرآني .[167]

---

[163] يحيى بن حمزة العلوي ، الطراز ، ص 14.

[164] أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، الصناعتين ، الطبعة الأولى 1319هـ مطبعة محمود بك ، ص6.

[165] محمد رفعت أحمد زنجير، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم ، ص25 .

[166] أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص38.

[167] علي عشري زايد ، البلاغة العربية ، ص15.

ومناط البلاغة في النظم القرآني عند الخطابي (388ه) أنه النظم في مكانه إذا أبدل فسد معناه أو ضاع الرونق الذي يكون منه سقوط البلاغة .[168] وبلاغة القرآن عند الرماني (386ه) إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ ، فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن ،وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة .[169] وأمّا الباقلاني(403 ه) فيرى البلاغة في القرآن الكريم تكمن في النظم ، يقول :« وقد بينا في نظم القرآن أن الجملة تشتمل على بلاغة منفردة ، والأسلوب يختص بمعنى آخر من الشرف »[170] .

هذا المحور الذي أدار عليه عبد القاهر الجرجاني (471 ه) مذهبه في الإعجاز بالنظم ، يقول : « وأوضح من هذا كله هو أنّ هذا النظم الذي يتواصفه البلغاء وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله ، صنعة يستعان عليها بالفكرة لا محالة .»[171]

وإعجاز القرآن يكمن في بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه ، مفيدة معاني دقيقة ونكتا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيده أصل وضع اللغة . ومرجع ذلك إلى ما يسمى بالطرف الأعلى من البلاغة والفصاحة وهو المصطلح على تسميته حدّ الإعجاز .[172]

---

[168] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 45 .
[169] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص76 .
[170] أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص461 .
[171] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص51 .
[172] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، الجزء 10 ، ص 104.

إنّ نظم القرآن مبني على وفرة الإفادة وتعدد الدلالة ، فجمل القرآن لها دلالتها الوضعية التركيبية التي يشاركها فيها الكلام العربي كله ، ولها دلالتها البلاغية التي يشاركها في مجملها كلام البلغاء ولا يصل شيء من كلامهم إلى مبلغ بلاغتها .[173]

لقد مرت البلاغة بتاريخ طويل من التطور حتى انتهت إلى ما انتهت إليه ، وكانت مباحث علومها مختلطا بعضها ببعض منذ نشأة الكلام عنها في كتب السابقين الأولين . فنلتقي بالفراء (207هـ) بكتابه (معاني القرآن) ، والذي عني فيه بالتأويل وتصوير خصائص بعض التراكيب ، والإشارة إلى ما في آي الذكر الحكيم من الصور البيانية. ونلتقي ببشر بن المعتمر (210هـ) وقد نقل عنه الجاحظ ملاحظات دقيقة في البلاغة ، ونلتقي بالجاحظ (255هـ) الذي أولى البلاغة العربية عناية فائقة ، فقد ألف في البلاغة كتاب (البيان والتبيين) جمع فيه ما انتهى إلى عصره من ملاحظات بلاغية .[174]

أما علماء الكلام فقد اهتموا بالمباحث البلاغية من أجل تفسير الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، ومنهم الرماني المعتزلي (386هـ) في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) ، وعبد القاهر الجرجاني (471هـ) في كتابه (أسرار البلاغة) الذي وضع فيه نظرية علم البيان وكتابه (دلائل الإعجاز) الذي وضع فيه نظرية علم المعاني .

وينظر الجرجاني إلى المجاز والاستعارة و التشبيه والكناية على أنها عمد الإعجاز وأركانه ، يقول : « ولم يتعاط أحد من الناس القول في الإعجاز إلاّ ذكرها ، وجعلها العمد والأركان فيما يوجب الفضل والمزية ، وخصوصا الاستعارة والمجاز ، فإنك تراهم يجعلونها عنوان ما يذكرون ، وأول ما يوردون .»[175]

---

[173] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، الجزء 10 ، ص110.

[174] عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص 7.

[175] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 329.

علوم البلاغة:

منذ أن بدأ العلماء من القرن الثالث الهجري إلى القرن الخامس الهجري يتعرضون لنواحي الإعجاز البلاغي في أسلوب القرآن الكريم ، والدراسات تتطور وتنتج للبلاغة الشيء الكثير، فتداخلت وامتزجت وأصبحت دراسة أسلوب القرآن تعتمد على البلاغة . حيث كان البلاغيون يعمدون إلى الشاهد القرآني ليستعينوا به في توضيح الاصطلاحات .وتفرعت أبواب البلاغة بعد الرماني ومعاصريه فقد بلغت عند أبي هلال العسكري سبعة وثلاثين نوعا... وأغرق المتأخرون من البلاغيين في هذه الأسماء والفروع .[176]

لم يكن من المتوقع أن تتميز علوم البلاغة الثلاثة وهي البديع والمعاني والبيان ويستقل بعضها عن بعض في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ البلاغة ، لأنها كانت مجرد ملاحظات بلاغية لم تتبلور في نظرية متكاملة ، ولم تدرس من قبل بالعمق والإحاطة والنضج ، ولم تخضع للتصنيف والتبويب والاستكمال من خلال منهج علمي جديد .

1 ـ علم المعـــــاني :

الأصل في اللفظ أن يحمل على ظاهر معناه ، والجاهل يستعجل في إظهار المعاني قبل العناية بتزيين معارضها واستكمال محاسنها ، فيكون بالذم موصوفا وبالنقص معروفا ، ويسقط من أعين السامعين ، ولا يدرج في سلك العارفين . فيكون بذلك علم المعاني تلك الأصول التي يعرف بها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وهو علم تعرف به أحوال اللفظ . والمعاني جمع معنى وهو في اللغة المقصود ، وفي اصطلاح البيانيين التعبير باللفظ عما يتصوره الذهن ، أو هو الصورة الذهنية من حيث تقصد من اللفظ .[177]

---

[176] انظر الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 163.

[177] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 48 .

وفائدته إعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من جودة السبك وحسن الوصف ، وبراعة التراكيب ولطف الإيجاز ، وما اشتمل عليه من سهولة التركيب ، وجزالة الكلمات ، وعذوبة الألفاظ وسلامتها . وكذا الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في منثور كلام العرب ومنظومه . أما استمداده فمن الكتاب الشريف والحديث النبوي الشريف وكلام العرب .

واضعه عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) ، فقد رصد لمباحث علم المعاني الذي أصبح أول علوم البلاغة الثلاثة ،كما أرسى أسس هذا العلم وبلور كل ملامحه ، وقد جعل مدخله إلى ذلك نظرية النظم . والنظم عنده يعني ببساطة التأليف أو البناء اللغوي للجملة وفق ما يقتضيه المعنى. كما يعني معرفة الخواص التركيبية للعبارة ، وبالتالي تصبح كل مباحث علم المعاني من تقديم وتأخير ، وتعريف وتنكير ، وذكر وحذف ، وفصل ووصل وقصر داخلة في إطار علم النحو.

2 ـ عـلم البيـــــان :

وعلم البيان لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للأحكام وأدلة الأحكام . وإذا عرفت أن إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتّى إلا في الدلالات العقلية ، وهي الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما ، كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه ، ظهر لك أن علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني .[178] وقد ألّف الناس فيه كتبا ، وجلبوا ذهبا وحطبوا حطبا...وعلى هذا فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة ، وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية .[179]

وعلم البيان علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه ودلالة اللفظ إما على ما وضع له ، أو على غيره .[180] وتتلخص مباحثه في التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية .

---

[178] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 438 .

[179] ضياء الدين ابن الأثير ، انظر المثل السائر ، ص 37 .

[180] الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ص 146 .

وعرفه يحيى بن حمزة العلوي فقال : « هو العلم الذي يمكن معه الوقوف على معرفة أحوال الإعجاز ، لأن الإجماع منعقد من جهة أهل التحقيق على أنه لا سبيل إلى الاطلاع على معرفة حقائق الإعجاز ، وتقرير قواعده من الفصاحة والبلاغة ، إلا بإدراك هذا العلم وإحكام أساسه . »[181]

وعلى الرغم من أن مباحث علم البيان كانت في مجملها قد درست على نحو أو آخر قبل أن يكتب عبد القاهر الجرجاني كتابه (أسرار البلاغة) ، إلا أن ملامح هذا العلم لم تتبلور في نظرية متكاملة إلاّ في هذا الكتاب . فلم يقتصر فيه الجرجاني على مجرد جمع ما تبعثر من المباحث والتأليف بينها ، بل تجاوز ذلك إلى تعميق النظرات السريعة ،الأمر الذي يمكن معه القول بأن الجرجاني هو الذي أرسى دعائم علم البيان كما أرسى من قبل دعائم علم المعاني .[182]

وقد رصد عبد القاهر الجرجاني كتابه (أسرار البلاغة) لدراسة مباحث علم البيان ،كما تناول بعض مباحثه في كتابه (دلائل الإعجاز) . وتتبع فروع البيان بتعمق أكبر، حيث تناول التشبيه والاستعارة في (أسرار البلاغة) وافتنّ فيهما ، وعرض للكناية في (دلائل الإعجاز) بهدف التدليل على أنّ نظريته ليست محصورة فحسب في أبواب علم المعاني .

و دور علم البيان فى الإعجاز القرآني أهم ، لأنه من أسمى علوم اللغة العربية وبه تتفاوت درجات البلاغة مع مطابقة تلك الدرجات مع مقتضى الحال . فليس الأسلوب حسن أو أحسن إذا انقطع من السياق و المقام ، بل حسن الأسلوب ومزيته باعتبار المقام . والقرآن الكريم قد استخدم من أساليب البيان ما أعجز الجن والإنس عن المعارضة ، ولا يخفى أن لهذه الأساليب دور مهم في ازدياد حسن الكلام ، ووصوله إلى أعلى مراتب البلاغة .

[181] يحيى بن حمزة العلوي ، الطراز ، ص 11 .
[182] علي عشري زايد ، البلاغة العربية ، ص 92 .

3 ـ علم البديع :

وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام ، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة.[183] وإذا تقرر أن البلاغة بمرجعيها ، وأن الفصاحة بنوعيها ، مما يكسو الكلام حلة التزيين ، ويرقيه أحلى درجات التحسين ، فههنا وجوه مخصوصة ، كثيرا ما يصار إليها ، لقصد تحسين الكلام ، وهي قسمان : قسم يرجع إلى المعنى ، وقسم يرجع إلى اللفظ .[184] ومنه المقابلة المطابقة ،التتميم،التقسيم الالتفات ،الجمع ،التفريق ،الجمع مع التقسيم ،تأكيد المدح بما يشبه المدح ،الجناس ،السجع ،رد العجز على الصدر ،التشريع ،الموازنة ،لزوم ما لا يلزم وغيرها من المحسنات اللفظية والمعنوية.

وأول من قام بمحاولة علمية جادة في سبيل تأسيس علم البديع و تحديد مباحثه ، هو الخليفة عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسي (296ه) في كتابه (البديع) ، بعد أن كانت مختلطة بمباحث علم المعاني والبيان. وقد ضمن كتابه ثمانية عشر فنا من فنون البديع ، يقصد بها تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال .

وقد أشار الجاحظ (255ه) إلى البديع بقوله :« والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وأربت على كل لسان والشاعر الراعي كثير البديع في شعره وبشار حسن البديع ، والعتابي يذهب في شعره في البديع مذهب بشار . »[185]

---

[183] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص238.
[184] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص532.
[185] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص55.

المبحث الأول : علم المعاني وأسراره البلاغية

تمهيـــــــد :

علم المعاني أصول وقواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وهو الأمر الداعي للمتكلم إلى إيراد خصوصية في الكلام ، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له . موضوعه اللفظ العربي من حيث إفادته المعاني الثواني ، التي هي الأغراض المقصودة للمتكلم ، من جعل الكلام مشتملا على تلك اللطائف والخصوصيات التي بها يطابق مقتضى الحال .

أما المعاني الأول فما يفهم من اللفظ بحسب التركيب ، وهو أصل المعنى مع زيادة الخصوصيات من التعريف والتنكير ، والكلام الذي يوصف بالبلاغة هو الذي يدل على معناه اللغوي أو العرفي أو الشرعي ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية على المعنى المقصزد الذي يريد المتكلم إثباته أو نفيه .

وعليه فالمعاني الأول هي مدلولات التراكيب والألفاظ التي تسمى في علم النحو أصل المعنى ، والمعاني الثواني الأغراض التي يساق لها الكلام ، فيكون مقتضى الحال هو المعنى الثاني .[186] والذي يدل على المعاني خمسة أشياء هي اللفظ والإشارة والكتابة والعقد والحال . وينحصر علم المعاني في ثمانية أبواب : أحوال الإسناد الخبري ، أحوال المسند إليه، أحوال المسند ، أحوال متعلقات الفعل ، القصر الإنشاء ، الفصل والوصل ، الإيجاز والإطناب والمساواة .[187]

[186] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 46 .
[187] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص17.

بلاغـــة الخبر والإنشاء :

1-بلاغـــة الخبر:

تعريف الخبر:

الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته ، أي يقطع النظر عن خصوص المخبر ، أو خصوص الخبر ، وينظر في احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله. وهو ما يتحق مدلوله في الخارج بدون النطق به . والمراد بصدق الخبر مطابقته للواقع ، والمراد بكذبه عدم مطابقته له.

وقد اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب ، ومنهم الجاحظ ، فقد حصره في ثلاثة أقسام : صادق وكاذب غير صادق ولا كاذب ، لأن الحكم إما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه وهو الصادق ، وإما غير مطابق مع الاعتقاد أو عدمه وهو الكاذب ، وإما المطابق مع عدم الاعتقاد ، وغير المطابق مع عدم الاعتقاد وكل منهما ليس بصادق ولا كاذب . فالصدق عند الجاحظ مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده ، والكذب عنده : عدم مطابقته مع اعتقاده ، وغيرهما ضربان مطابقته مع عدم اعتقاده ، و عدم مطابقته مع عدم اعتقاده .[188]

يقول الإمام الجرجاني : « أول ما ينبغي أن يعلم منه أنه ينقسم إلى خبر هو جزء من الجملة ، لا تتم الفائدة دونه ، وخبر ليس بجزء من الجملة ، ولكنه زيادة في خبر آخر سابق له وإذ قد عرفت هذا الفرق ، فالذي يليه من فروق الخبر ، هو الفرق بين الإثبات إذا كان بالاسم وبينه إذا كان بالفعل وبيانه أنّ موضوع الاسم على أن يُثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء .»[189]

---

[188] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص20/19.

[189] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 174 .

ويعرفه السيوطي بأنه الكلام الذي يدخله الصدق والكذب ، وقيل الذي يدخله التصديق والتكذيب هو سالم من الإيراد المذكور ، وقيل الكلام المفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور إلى أمر من الأمور نفيا أو إثباتا . وقيل القول المقتضي بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو الإثبات .[190]

حالات المخاطب :

أ ـ إما أن يكون خالي الذهن من الحكم ، فلا يؤكد له الكلام لعدم الحاجة إلى التوكيد. ويسمى هذا الضرب من الخبر ابتدائيا .

ب ـ وإما أن يكون مترددا في الحكم طالبا لمعرفته ، فيستحسن تأكيد الكلام الملقى إليه ، تقوية للحكم ليتمكن من نفسه . ويسمى هذا الضرب من الخبر طلبيا .

ج ـ وإما أن يكون منكرا للحكم الذي يرا د إلقاؤه إليه ، معتقدا خلافه ، فيجب تأكيد الكلام له بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفا. ويسمى هذا الضرب من الخبر إنكاريا .

وإخراج الكلام على الأضرب الثلاث هو إخراج على مقتضى ظاهر الحال . والحال هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام ، أكان ثابتا في الواقع ، أو كان ثبوته بالنظر لما عند المتكلم ، فكل كيفية اقتضاها ظاهر الحال اقتضاها الحال . وقد تقتضي الأحوال العول عن مقتضى الظاهر ، ويورد الكلام لاعتبارات منها :

الإسناد الخبري :

والأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين :

أ ـ إما إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة إذا كان جاهلا له ، ويسمى ذلك الحكم فائدة الخبر .

[190] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 421 .

ب ـ وإما إفادة المخاطب أنّ المتكلم عالم أيضا بالحكم الذي يعلمه المخاطب ، ويسمى ذلك الحكم لازم الفائدة .[191]

وقد يلقى الخبر على خلاف الأصل لأغراض تستفاد من سياق الكلام ، كالاسترحام والاستعطاف وتحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله ، وإظهار الضعف والخشوع ،وإظهار التحسر والحزن وإظهار الفرح بمقبل والشماتة بمدبر ، والتوبيخ ، والتذكير بما بين المراتب من التفاوت .

وإذا كان الغرض من الكلام الإفصاح و الإظهار ، يجب أن يكون الكلام بقدر الحاجة، لا زائدا عنها ، لئلا يكون عبثا ، ولا ناقصا عنها ، لئلا يخلّ بالغرض وهو الإفصاح والبيان .

1 ـ تنزيل العالم بفائدة الخبر أو لازمها أو بهما معا منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب علمه فيلقى إليه الخبر كما يلقى إلى الجاهل . ومثاله قوله تعالى : ﴿ وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾[192] ، عبر عن نقض العهد بنكث الإيمان ، تشنيعا للنكث ، لأن العهد كان يقارنه اليمين على الوفاء ، ولذلك سمي العهد حلفا. وزيد قوله تعالى : ﴿ مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ ﴾ زيادة في تسجيل شناعة نكثهم ، بتذكير أنه غدر لعهد ، وحنث باليمين .[193]

2 ـ تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد إذا تقدم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر.

3 ـ تنزيل الخالي منزلة المنكر إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار . كقول الشاعر :

جَاءَ شَقِيقٌ عارِضًا رُمْحَهُ إنَّ بَنِي عمِّكَ فِيهِم رِمَاحْ[194]

---

[191] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 56 .

[192] سورة التوبة [12]

[193] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 129 .

[194] انظر عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 326 . والبيت في الكتاب البيت بلا نسبة ، ولحجل بن نضلة في البيان والتبيين ، الجزء الثالث ، ص 340 .

فإن مجيئه هكذا مدلاّ بشجاعته ،قد وضع رمحه عارضا لدليل على إعجاب شديد منه، واعتقاد أنه لا يقوم إليه من بني عمه أحد ، كأنهم كلهم عزلٌ ليس مع أحد منهم رمح .[195]

4 ـ تنزيل المتردد منزلة الخالي .

5 ـ تنزيل المتردد منزلة المنكر .

6 ـ تنزيل المنكر منزلة الخالي ، إذا كان لديه دلائل وشواهد لو تأملها لاتدع وزال إنكاره .

7 ـ تنزيل المنكر منزلة المتردد .[196] وقد يؤكد الخبر لشرف الحكم وتقويته مع أنه ليس فيه تردد ولا إنكار .

ولتوكيد الخبر أدوات كثيرة ، أشهرها : إنّ وأنّ ، ولام الابتداء ، وأحرف التنبيه ، والقسم ، ونونا التوكيد ، والحروف الزائدة ، و اسمية الجملة ، وإنّما ، والتكرير وقد ، وأمّا الشرطية ، ضمير الفصل ، وتقديم الفاعل المعنوي .[197]

ويرى عبد القاهر الجرجاني في فصل في (إنّ) ومواقعها أنّ دخول (إنّ) وأن لا تدخل ليس سواء . يقول : « وذلك أنّه هل شيء أبين في الفائدة وأدلّ على أن ليس سواء دخولها وأن لا تدخل ، أنك ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها و تأتلف معه و تتحد به ، حتى كأن الكلامين قد أُفرغا إفراغا واحدا ، وكأن أحدهما قد سُبك في الآخر »[198]

واستشهد الجرجاني بقول بشار :[199]

بَكِّـــــرَا صَاحِبَيَّ قَبْلَ الهَجِيــرِ إنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيــــرِ

---

[195] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص23 .
[196] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 60 .
[197] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 58 .
[198] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص316 .
[199] انظر عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 316 .

وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾[200] ، ﴿أَنَّ﴾ جاءت للتأكيد و قد تكررت مرتين . فالحاجة إلى (أنّ) في الآية قائمة ، فلا يُقال : هو من يحادد الله ورسوله .

ويقول ابن عاشور : « وأعيدت (أنّ) في الجواب لتوكيد (أنّ) المذكورة قبل الشرط توكيدا لفظيا ، فإنها لما دخلت على ضمير الشأن ، وكانت جملة الشرط وجوابه تفسيرا لضمير الشأن ، كان حكم (أنّ) ساريا في الجملتين ، بحيث لو لم تذكر في الجواب لعُلِم أنذ فيه معناها ، فلما ذكرت كان ذكرها توكيدا لها ، ولا ضير في الفصل بين التأكيد والمؤكد بجملة الشرط .»[201]

أقسام الخـــبر :

1 ـ النـفي :

من أقسام الخبر النفي ، بل هو شطر الكلام كله ، والفرق بينه وبين الجحد ، أنّ النافي إن كان صادقا ، سمي كلامه نفيا ولا يسمى جحدا ، وإن كان كاذبا ، سمي جحدا ونفيا أيضا، فكل جحد نفي، وليس كل نفي جحد .[202]

وأدوات النفي لا و لات و ليس و ما و إن و لم و لما ، و أصل أدوات النفي(لا) و (ما)، لأن النفي يكون إما في الماضي و إما في المستقبل ، والاستقبال أكثر من الماضي. ثم إن النفي في الماضي إما أن يكون نفيا واحدا مستمرا أو نفيا فيه أحكام متعددة وكذلك النفي في المستقبل .

---

[200] سورة التوبة [63]

[201] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 247 .

[202] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 423 .

ونفي الأيمان للمشركين في قوله تعالى : ﴿ وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ [203]، نفي للماهية الحقّ لليمين ، وهي قصد تعظيمه والوفاء به ، فلما لم يوفوا بأيمانهم ، نزلت أيمانهم منزلة العدم لفقدان أخصّ أخواصّها وهو العمل بما اقتضته . [204] و(لاَ) هي أصل النفي ، وهي لنفي المستقبل .[205]

2 ـ التهديد :

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [206]، وفيه تهديد للمخاطبين .

3 ـ القسم :

القسم عند النحويين جملة يؤكد بها الخبر ، ولا يكون إلا باسم معظم ، وإن كان لأجل المؤمن، فالمؤمن يصدّق مجرد الإخبار، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده . وقد ذكر الله القسم لكمال الحجة وتأكيدها ، وذلك أنّ الحكم يفصل باثنين : إما بالشهادة ، وإما بالقسم . والقسم بالشيء لا يخرج عن شيئين : إما لفضيلة أو لمنفعة .

والقسم ينقسم إلى مظهر ومضمر إما دلت عليه لام القسم وإما دل عليه المعنى [207]. وأكثر الأقسام المحذوفة الفعل في القرآن لا تكون إلاّ بالواو ، فإذا ذكرت الباء أتى بالفعل [208] .كقوله تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[209] .

---

[203] سورة التوبة [12]
[204] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 130 .
[205] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 423 .
[206] سورة التوبة [52]
[207] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص43 .
[208] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 43.
[209] سورة التوبة [62]

4 ـ التفسير :

كانت تفعله العرب في مواضع التعظيم ، وقد يأتي للوعد أو للمثل ، أو للسوم أو بيان العلة والسبب ، و متى كانت الجملة تفسيرا ، لم يحسن الوقف على ما قبلها دونها ، لأن تفسير الشيء لاحق به ، ومتمم له ، و جار مجرى بعض أجزائه .[210]

5 ـ الذم :

كقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾[211] ، في الآية ابتداء ذم للمشركين ، وجيء باسم الإشارة لأنهم قد تميزوا بوصف الشهادة على أنفسهم بالكفر .[212]

بلاغـــة الأفعال :

بلاغـــة الفعل (جعل) :

و هو أحد الأفعال المشتركة ، التي هي أمهات أحداث ، وهي : فعل ، وعمل ،وجعل ، وطفق وأنشأ ، وأقبل .وللفعل (جعل) أحوال من بينها : معنى الاعتقاد ، كقوله تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[213] ، أي اعتقدتم هذا مثل هذا .[214]

---

[210] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 4 ، ص37/36 .

[211] سورة التوبة [17]

[212] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 141 .

[213] سورة التوبة [19]

[214] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 4 ، ص37/36 .

بلاغة الفعل (حسب) :

يتعدى الفعل (حسب) لمفعولين ، وإذا جاء بعده (أنْ) والفعل ، فإنها سادّة مسدّ المفعولين . وهذا مذهب سيبويه . يقول : « وإنما منعك أن تقتصر على أحد المفعولين أنك إنما أردت أن تبين ما استقرّ عندك من حال المفعول الأول ، يقينا كان أو شكّا ، وذكرت الأول لتعلم الذي تضيف إليه ما استقر له عندك ، فتجعل خبر المفعول الأول يقينا أو شكّا ، ولم ترد أن تجعل الأول فيه الشك أو تقيم عليه في اليقين .» [215] ، كقوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[216]

بلاغـــة الإنشاء :

تعريف الإنشاء :

الإنشاء لغة الإيجاد ، واصطلاحا ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ، أو هو ما لا يحصل مضمونها ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به .[217] والإنشاء ضربان : طلب وغير طلب . والطلب يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب ، لامتناع تحصيل الحاصل ، وهو المقصود بالنظر ههنا . وأنواعه الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني .[218] ويكون أيضا بالتنديم والتحضيض ، لكن البيانيين لم يتعرضوا لها لأنها مولدان على الأصح من الاستفهام والتمني ، فالأول من الهمزة مع (لا) النافية في (ألا)، والثاني من (هل) و(لو) للتمني مع (لا) و(ما) الزائدتين في (هلاّ) .[219]

---

[215] سيبويه ، الكتاب ، ج 1 ، ص 40 .
[216] سورة التوبة [16]
[217] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 69 .
[218] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 95 .
[219] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 418 .

وأما غير طلب ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب كصيغ المدح والذم ، والقسم، والتعجب ، والرجاء .

وإذا كان المطلوب غير متوقع ، كان الطلب تمنيا ، وإن كان متوقعا ، فإما حصول صورة أمر في الذهن فهو الاستفهام ، وإما حصوله في الخارج فإن كان ذلك الأمر انتفاء فعل فهو النهي ، وإن كان ثبوته فإما بأحد حروف النداء فهو النداء ، وإما بغيرها فهو الأمر .[220]

بلاغـــة الأمر :

تعريف الأمر :

والأمر بحث بلاغي وقف عنده علماء البيان ، و أخذوا منه معانيه في أساليب القرآن الكريم ، وهو من أقسام الإنشاء الأمر . وهو عند الزمخشري من خلال دراسة مقامات القرآن طلب الفعل ممّن هو دونك وبعثه عليه ، وقد يدل بطريق المقام على معان أخرى .[221]

وهو عند السيوطي طلب فعل غير كفٍّ ، وصيغته (افعل) و(ليفعل) . وصيغة الأمر إما حقيقة في الإيجاب ، وإما مجاز لمعان أخر .[222] وعند الخطيب القزويني صيغة الأمر موضوعة لطلب الفعل استعلاءً ، لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك ، وتوقف ما سواه إلى القرينة .[223] وللأمر أربع صيغ : فعل الأمر ، والمضارع المجزوم بلام الأمر ، واسم فعل الأمر ، والمصدر النائب عن فعل الأمر .

والأمر عند السكاكي هو طلب المتصور على سبيل الاستعلاء ، ويورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه ، ثم إذا كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور ، استتبع إيجابه وجوب الفعل

---

[220] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 70 .
[221] جار الله الزمخشري ، الكشاف ، ج 3 ، ص 53 .
[222] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 430 .
[223] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 103 .

بحسب جهات مختلفة وإلا لم يستتبعه ، فإذا صادفت هذه أصل الاستعمال بالشرط المذكور ، أفادت الوجوب ، وإلا لم تفد غير الطلب ، ثم إنها حينئذ تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام .[224] وعنده ، صيغة الأمر تستعمل في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام .[225]

كقوله تعالى : ﴿ وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾[226]، فالأمر هنا للوجوب ، ذبّا عن حرمة الدين .[227] و قوله تعالى:﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾[228] ، فالأمر صريح بقتال أئمة الكفر .[229]

وكقول كثيّر :

أَسِيئِي بِنا أو أَحْسِنِي ، لا مَلُومَةً لَدَيْنا ، و لا مَقْلِيَّـــةً إِنْ تَقَلَّتِ [230]

أي لا أنت ملومة ولا مقلية ، ووجه حسنه إظهار الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الأمر، حتى كأنه مطلوب ، أي مهما اخترت في حقي من الإساءة و الإحسان ، فأنا راضٍ به غاية الرضا ، فعامليني بهما ، وانظري هل تتفاوت حالي معك في الحالين ؟ [231]

---

[224] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 428 .
[225] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 430 .
[226] سورة التوبة [12]
[227] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 131 .
[228] سورة التوبة [14]
[229] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 135 .
[230] انظر الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 103 ، البيت في ديوانه ص 57 ، وكثيّر عزّة كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي ، شاعر متيم مشهور ، كان مفرط القصر ذميما ، توفي سنة (105هـ) .
[231] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 103 .

أغراض الأمر : قد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال .

1 ـ التوبيخ :

كقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[232] ، وابتداء الخطاب بالأمر ، يشير إلى غلظه ، والتوبيخ به ، وفيه ارتقاء في التحذير من العلائق التي قد تفضي إلى التقصير في القيام بواجبات الإسلام .[233] و كقوله تعالى : ﴿ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [234]

2 ـ التهويل :

كقوله تعالى :﴿ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[235] والمقصود لتذهب نفوس المهدّدين كل مذهب محتمل ، إما العذاب وإما القتل .[236]

3 ـ التهكّم :

وهو الاستهزاء بالمخاطب، والتهكّم مأخوذ من (تهكّم البئر) إذا تهدّمت . والتهكّم في قوله تعالى:

---

[232] سورة التوبة [24]
[233] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 152 .
[234] سورة التوبة [35]
[235] سورة التوبة [24]
[236] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 153 .

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [237]، حيث جعل العذاب مبشرا به . [238] والبشارة للأمر الذي يسرّ.

4 ـ التهديد والوعيد :

كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [239] ، أي انتظروا مواعد الشيطان ، إنّا منتظرون مواعد الله . [240] وفي الأمر التحضيض المجازي الذي يفيد قلّة الاكتراث بتربّص المنافقين .

5 ـ التسوية :

كقوله تعالى :﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾[241] ، الأمر مراد به الخبر بحسب السياق أو القرينة ، وفيه إشارة إلى التّسوية بين فعل المأمور به و عدمه ، فالله لن يتقبل منهم الإنفاق طائعين أو مكرهين .

6 ـ بمعنى الخبر :

كقوله تعالى :﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [242] ، الأمر يراد به الخبر، بمعنى لن يغفر الله لهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ، و (أو) للتّخيير والعطف . وعليه لا يتفاوت عدم غفران الله لهم بتفاوت استغفار الرسول ﷺ وقوعا وعدم وقوع ، فإنّ مقتضى المقام ها هنا هو الإخبار

---

[237] سورة التوبة [34]
[238] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 231 .
[239] سورة التوبة [52]
[240] أبو عبد الله القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن ، ج 10 ، ص285 .
[241] سورة التوبة [53]
[242] سورة التوبة [80]

لا الأمر، لأنّه لا يصحّ أن يحمل هاهنا على حقيقة الأمر وهو طلب شيء مع ضدّه . وقد يكون الأمر في هذه الآية بمعنى التسوية المراد منها عدم الحذر من الأمر المباح .[243]

و كقوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [244] ، والمعنى أنّهم سيضحكون قليلا ، وسيبكون كثيرا. إلاّ أنّ الله أخرج الخبر مخرج الإنشاء أي مخرج الأمر، للدلالة على أنّه حتم واجب لا يكون غيره .

بلاغـــة النهي :

تعريف النهي :

للنهي عند السكاكي حرف واحد وهو(لا) الجازم في قولك : لا تفعل ، والنهي محذو به حذو الأمر في أنّ أصل استعمال (لا تفعل) ، أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور ، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب ، وإلاّ أفاد طلب الترك فحسب . والنهي حقه الفور والتراخي ، لكونه للطلب ، ولكون الطلب في استدعاء تعجيل المطلوب أظهر منه في عدم الاستدعاء له .[245]

أما العلامة ابن عاشور لم يقصر النهي على الأداة (لا) فقط ، فقد يأتي النهي من خلال لام الجحود ، والسياق كفيل بتوضيح ذلك .» [246] كقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [247] ، والمقصود لا تستغفر للمشركين .

---

[243] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 277 .
[244] سورة التوبة [82]
[245] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 429 .
[246] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 11 ، ص 44 .
[247] سورة التوبة [113]

وقد وضح العلوي أوجه الاتفاق والاختلاف بين الأمر والنهي ، فقال : « اعلم أن الأمر والنهي يتفقان في أن كل واحد منهما لا بد فيه من اعتبار الاستعلاء ، وأنهما جميعا يتعلقان بالغير، فلا يمكن أن يكون الإنسان آمرًا لنفسه أو ناهيا لها ، وأنهما جميعًا لا بد من اعتبار حال فاعلهما في كونه مريدا لهما، على غير ذلك من الوجوه الاتفاقية ، ويختلفان في الصيغة ،لأن كلا منهما مختص بصيغة تخالف الآخر، ويختلفان في أن الأمر دال على الطلب، والنهي دال على المنع، ويختلفان أيضا في أن الأمر لا بد فيه من إرادة مأمورة ، وأن النهي لا بد فيه من كراهية منهية .» [248]

ويخرج النهي عن معناه الحقيقي إلى معانٍ مختلفة ، يراها السكاكي في الدعاء إن استعمل النهي على سبيل التضرّع ، وفي الالتماس إن استعمل في حق المساوي الرتبة لا على سبيل الاستعلاء ، وفي التهديد إن استعمل في مقام تسخط الترك . [249]

وفي قوله تعالى : ﴿ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾[250] ، النهي مستعمل في التسوية وعدم الجدوى . [251]

[248] يحي بن حمزة العلوي ، الطراز ، ص 531 .
[249] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 429 .
[250] سورة التوبة [66]
[251] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 252 .

الاستفهام :

تعريف الاستفهام :

الاستفهام معناه طلب المراد من الغير عل جهة الاستعلام و التحصيل والإيجاد ، وآلاته على نوعين : حروف وأسماء . فالحروف الهمزة و هل ، والأسماء على وجهين : ظروف وأسماء. فالظروف الزمانية نحو متى وأيّان ، والظروف المكانية نحو أين وأنّى .وأما الأسماء ، فهي من و ما وكم ، و كيف.

وآلات الاستفهام تنقسم باعتبار ما تؤديه من المعنى إلى ثلاثة أقسام :

1 ـ الدالة على التصور: أي أنها موضوعة للسؤال عن الماهية الحاصلة في الذهن من غير أن يضاف إليها حكم من الأحكام ،مما هو موضوع للتصور في السؤال. وهي : من وتستعمل لتعيين العقلاء ، وللتعظيم والتعجب ، وما وتستعمل لغير العقلاء وللتعجب ، وكيف ، وكم وتستعمل للاستبطاء ، وأين ، وأنّى وتستعمل للاستبعاد ، ومتى ، وأيان .[252]

والتصور هو إدراك المفرد ، أي عدم وقوع النسبة ، وذاك كإدراك الموضوع وحده ، أو المحمول وحده ، أو هما معاً، أو ذات النسبة التي هي مورد الإيجاب والسلب . فالاستفهام عن التصور يكون عند التردد في تعيين أحد الشيئن .[253]

مدلولات آلات الاستفهام :

- (أيّ) سؤال عن تصور حقيقة البعضية .
- (كم) سؤال عن تصور حقيقة العدد .
- (كيف) سؤال عن تصور حقيقة الحال .
- (أين) سؤال عن تصور حقيقة المكان .

[252] يحيى بن حمزة العلوي ، الطراز ، ص 158 .
[253] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 78 .

- (متى) سؤال عن تصور حقيقة الزمان .

2 ـ الدالة على التصور والتصديق جميعا : وهي الهمزة ، و تفيد ذكر حقيقة الشيء وتصور ماهيته ، وذكر حصول الصفة أو نفيها .[254] وتستعمل للتقرير ، وللإنكار ، والتهكم .[255] و والتصديق هو إدراك وقوع نسبة تامة بين شيئين ، أو عدم وقوعها .

و الاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردد الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها ، وحينئذ يكون للهمزة استعمالان اثنان : فيطلب بها معرفة مفرد ويسمى تصورا ، أو يطلب بها معرفة نسبة فيسمى تصديقا .[256] كقول الشاعر :

أَأَتْرُكُ إِنْ قَلَّتْ دَرَاهِمُ خَالِدٍ زِيَارَتَهُ ؟ إِنِّي إِذًا لَلَئِيمُ [257]

و كقوله تعالى :﴿ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[258]، فالاستفهام يفيد التقرير بالخشية من الكفار الذين عدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها ، إلى القتال وتوبيخ عليها، يعني أنّ قضية الإيمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن إلاّ ربّه ،ولا يبالي بمن سواه. و﴿ أَلاَ ﴾ حرف تحضيض ، وهو الحثّ على الشيء، وجاء بعدها المستقبل فكانت تحضيضا .[259]

---

[254] يحي بن حمزة العلوي ، الطراز ، ص 159 .

[255] يحي بن حمزة العلوي ، الطراز ، ص 160 .

[256] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 79 .

[257] انظر الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 100 . البيت بلا نسبة في الدلائل ص 117 ، و هو لعمارة بن عقيل في مجموع شعره ص75 ، وهو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الكلبي ، شاعر متقدم فصيح ، كان النحويون في البصرة يأخذون اللغة عنه ، توفي سنة (239هـ). ترجمته في الأغاني 146/24 ، وتاريخ بغداد 12/ 282

[258] سورة التوبة [13]

[259] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 132 .

و يجوز أن تكون الهمزة في قوله تعالى ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾ للاستفهام ، و﴿لاَ﴾نافية ودخلت الهمزة عليها تقريرا لنفي المقاتلة والحضّ عليها من جهة أخرى .[260]

3-الموضوعة للسؤال عن التصديق لا غير : و هي (هل) . فتكون بمعنى (قد) ، فتفيد تقرير الكلام . و(هل) ک (السين) و(سوف) تخلص المضارع للمستقبل ، ولذلك قوي اتصالها بالفعل لفظا أو تقديرا .[261] كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾[262]، فالتّربّص انتظار حصول شيء مرغوب حصوله ، وإحدى الحسنيين أي إحدى العاقبتين إمّا النّصرة أو الشّهادة، والله يتربّص بإحدى السّوأتين من العواقب إمّا قارعة من السّماء كما نزلت على عاد و ثمود ، و هو عذاب الله ، أو القتل على الكفر، فكلّ لا بدّ أن يلقى ما يتربّصه لا يتجاوزه .[263]

وفي قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾[264]، الاستفهام ب (كيف) إنكاري إنكارا لحالة كيان العهد بين المشركين و أهل الإسلام ، أي دوام العهد في المستقبل مع الذين عاهدوهم يوم الحديبية وما بعده ، والفعل (يكون) مستعمل في معنى الدوام . وليس ذلك إنكارا على وقوع العهد ، لأن العهد قد انعقد بإذن الله ، والمعنى أنّ الشأن أن لا يكون للمسلكين عهد مع أهل الشرك، للبون العظيم بين دين التوحيد و دين الشرك ، والعهد بينهم مؤقت ، وفي وصفهم بالمشركين إيماء إلى علة الإنكار على دوام العهد معهم .[265]

---

[260] محي الدين درويش ، إعراب القرآن وبيانه ، ج 10 ، ص 212 .

[261] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 80 .

[262] سورة التوبة [52]

[263] محي الدين درويش ، إعراب القرآن وبيانه ، ج 10 ، ص 197 .

[264] سورة التوبة [7]

[265] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 121 .

أغراض الاستفهام :

وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي ، فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به، لأغراض أخرى تفهم من سياق الكلام ودلالته ، ومن أهم ذلك :

1 ـ النهي :

كقوله تعالى : ﴿ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [266]، والهمزة في﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾ للاستفهام و معناها النّهي، أي لا تخشونهم فخشية الله أحقّ . [267]

2 ـ التحذير والعرض :

والعرض هو طلب بلين ورفق . و في قوله تعالى : ﴿ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[268] ، الاستفهام ب ﴿ أَلاَ ﴾ للتحذير من التواني في قتال المشركين، ومن التراخي في مبادرتهم بالقتال. عدا ما استثني منهم بعد الأمر بقتلهم ، وأسرهم، وحصارهم ، وسد مسالك النجدة في وجوههم [269]، في قوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾. [270]

---

[266] سورة التوبة [13]

[267] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 339 .

[268] سورة التوبة [13]

[269] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 131 .

[270] سورة التوبة [14]

3 ـ الإنكار أو التقرير :

كقوله تعالى : ﴿ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [271]، والاستفهام بالهمزة فيه إنكار أو تقرير على سبب التردد في قتالهم ، فالتقدير: أينتفي قتالكم إياهم لخشيكم إياهم ، وهذا زيادة في التحريض على قتالهم .[272] و كقوله تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [273]

4 ـ النفي :

كقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾[274] ، فالاستفهام بالحرف ﴿هَلْ﴾ مستعمل في النفي بقرينة الاستثناء ب﴿ إِلاَّ﴾ والمعنى توبيخ للمنافقين وتخطئتهم لتربّصهم ، لأنّهم يتربّصون بالمسلمين. وقوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾[275]

5 ـ الترهيب والتوبيخ :

كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾[276]، والهمزة للاستفهام الإنكاري .

---

[271] سورة التوبة [13]
[272] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 134 .
[273] سورة التوبة [19]
[274] سورة التوبة [52]
[275] سورة التوبة [7]
[276] سورة التوبة [63]

بلاغـــة الإيجاز:

تعريف الإيجاز :

الإيجاز هو البلاغة، وقد دلل الجاحظ على ذلك بحوار دار بين معاوية وأعرابي يسمى صحّار، فقال : « قال له معاوية ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال : الإيجاز، قال له معاوية: وما الإيجاز؟ قال له صحّار : أن تجيب فلا تبطئ، وأن تقول فلا تخطئ »[277] . والإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقلّ من عبارات متعارف الأوساط ، وهو تأدية أصل المراد بلفظ مساو له ،أو ناقص عنه وافٍ،أو زائد عليه لفائدة .[278]وهو عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمة بنفسه[279]. ووجه حسنه قصد المجاز المستفيض نوعه ،وهو وصف الشيء بما يؤول إليه .[280]

والإيجاز عند الرماني تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى ، وهو البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ ، وهو إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير ، وهو تهذيب الكلام بما يحسن به البيان، وهو تصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الدرن .[281]

والإيجاز عند ابن الأثير هو دلالة اللفظ على المعنى ، من غير أن يزيد عليه .والتطويل هو ضد ذلك ، وهو أن يدل على المعنى بلفظ يكفيك بعضه في الدلالة عليه .[282]

يقول العُجَيْز السَّلُولي [283] :

---

277 أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 1 ، ص 96 .

278 الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 124 .

279 بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 102 .

280 أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 388 .

281 الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 80 .

282 ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر ، ص 259 .

283 انظر ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر ، ص 259 . هو ابن عبد الله بن عبيدة ، يصل نسبه إلى سلول بن مرة ، من شعراء بني أمية ، كان كريما جوادا تصله الملوك والأمراء.

طَلُوعُ الثَّنايَا بالمَطَايَا وسَابِقٌ إلى غَـايَةٍ مَنْ يَبْتَدِرْهَا يُقَّـدّمِ [284]

فصدر هذا البيت فيه تطويل لا حاجة إليه ، وعجزه من محاسن الكلام المتواصفة ، وموضع التطويل من صدره أنه قال (طلوع الثنايا بالمطايا) ، فإنّ لفظة (المطايا) فضلة لا حاجة إليها. وهو تطويل بارد غثّ .[285]

والإيجاز ضربان : إيجاز القصر وهو ما ليس بحذف ، وإيجاز الحذف وهو ما يكون بحذف ، والمحذوف إما جزء جملة أو جملة أو أكثر من جملة .

كقول الشاعر :

والعيْشُ خيْرٌ فِي ظِلا لِ النَّوْكِ مِمَّنْ عاشَ كَدّاً [286]

أراد أن يقول أنّ العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاقّ في ظلال العقل .

وكقول أبي الطيب المتنبي :

ولا فضْلَ فيها للشَّجَاعَةِ والنَّدَى وصَبْرِ الفَتَى ، لوْلا لِقَاءُ شَعُوبِ [287]

فإن لفظ النّدى فيه حشو يفسد المعنى ، وهو أنه لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر والندى لولا الموت ، وهذا الحكم صحيح في الشجاعة دون الندى ، لأن الشجاع لو علم أنه يخلد في الدنيا ، لم يخش الهلاك في الإقدام .

---

[284] انظر ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر ، ص 259 . ديوان الحماسة ، 2/ 265 .

[285] ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر ، ص 260 .

[286] انظر أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 37 . والنوك الحمق والجهالة ، والكد المشقة والتعب ، وصاحب البيت الحارث بن حلّزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي شاعر جاهلي ، وهو أحد أصحاب المعلقات ، توفي نحو 50 قبل الهجرة.

[287] انظر الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 125 . شعوب من أسماء المنية ، وسميت كذلك لأنها تفرق ، اشتقاقها من الشعبة وهي الفرقة ، وهي معرفة لا يدخلها التعريف .

ففي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[288]، بإضافة النار إلى جهنم علم أن المحمي هو نار جهنم التي هي أشدّ نار في الحرارة ، فجاء تركيبا بديعا من البلاغة في إيجاز.

و في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [289]، فمقتضى البلاغة أن يكون تقدير ترتيب اللفظ ، قل هل تربّصون بنا إلاّ إحدى الحسنيين أن يصيبنا الله بعذاب من عنده، أو بأيديكم و نحن نتربّص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده ،أو بأيدينا. فحذف لتوخّي الإيجاز تفسير الحسنيين من الجملة الأولى ، وأثبته في الجملة الثانية فرارا من تكرار اللّفظ وتكثيره. كما حذف الحسنيين من الجملة الثانية استغناء بذكرها أوّلا .[290]

وفي قوله تعالى :﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾[291]، إيجاز بالحذف ، و إيجاز الحذف يكون بحذف شيء من العبارة لا يخل بالفهم ، مع قرينة تعين المحذوف . وفي الآية حذف اسم صفة ، أي رجسا مضافا إلى رجسهم .[292]

---

[288] سورة التوبة [34]

[289] سورة التوبة [52]

[290] محي الدين درويش ، إعراب القرآن وبيانه ، ج 10 ، ص 228 .

[291] سورة التوبة [125]

[292] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 199 .

بلاغـــة الإطناب :

اختلف علماء البيان في تعريف الإطناب ،فمنهم من ألحقه بالتطويل الذي هو ضدّ الإيجاز ، وهو عنده قسم غيره ،فأخطأ من حيث لا يدري .وفي هذا يفرق أبو هلال العسكري بين الإطناب والتطويل ،فالإطناب عنده بلاغة ،والتطويل عيّ ،لأن التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلا بما يقرب ، والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوي على زيادة فائدة .[293]

وهو في أصل اللغة مأخوذ من أطنب في الشيء ، إذا بالغ فيه ، وهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة . فهذا حده الذي يميزه عن التطويل . إذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة .[294] كقول أبي تمام :

قَطَعَتْ إِلى الزَّابِيْنِ هِبَاتُـــــهُ والتَاثَ مامُولُ السَّحَابِ المسْبِلِ [295]

من مِنّـــــةٍ مَشْهُورَةٍ وصَنِيعَةٍ بَكْـــرٍ وإِحْسَانٍ أَغَـرَّ مُحجَّلِ

فقول الشاعر منة مشهورة ، وصنيعة بكر ، وإحسان أغر محجّل تداخلت معانيه إذ المنة والصنيعة ،والإحسان متقارب بعضه من بعض،ووصف كل واحدة من هذه الثلاث بصفات الاشتهار لعظم شأنها ،والبكارة ، والغرة ،والتحجيل ،أي ذو محاسن متعددة ، فلما وصف هذه المعاني المتداخلة التي تدل على شيء واحد بأوصاف متباينة ومختلفة ، صار ذلك إطنابا .[296]

---

[293] أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 191 .

[294] ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر ، ص 344 .

[295] انظر ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر ، ص 351 . البيت في ديوان أبي تمام ص 233 ، من قصيدة له في مدح الحسن بن وهب، والزابيين نهران ، والتاث أبطأ ، والمسبل الممطر.

[296] ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر ، ص 351 .

صور الإطناب :

وصور الإطناب كثيرة ، منها :

1 ـ التكرار :

التكرار مصدر كرر إذا ردد وأعاد ، وهو من محاسن الفصاحة ، ذلك أن العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادة تحقيقه وقرب وقوعه ، أو قصدت الدعاء عليه ، كررته توكيدا، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه ، أو الاجتهاد في الدعاء عليه ، حيث تقصد الدعاء ، وإنما نزل القرآن بلسانهم ، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة .[297]

فيكون تارة مرتين ، كقوله تعالى : ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الُّدنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[298]،في الآية التّكرير في ترديد ﴿اسْتَمْتَعُواْ ﴾ وفيه تأكيد ومبالغة في ذمّ المخاطبين وتقبيح حالهم . والتكرير أبلغ من التوكيد، وفائدته العظمى التقرير ، وقد قيل : الكلام إذا تكرر تقرر .[299]

وكقول الشاعر :

وكَانَتْ فَــزَارَةُ تَصْلـــَى بِنَا فَأَوْلَى فَزَارَةُ أَوْلَى فَـــزَارَا [300]

---

[297] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص9 .

[298] سورة التوبة [69]

[299] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص10 .

[300] انظر أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص 160 ، البيت لعوف بن عطية بن الخرع الربابي ، كما في المفضليات ، 216/2 ، وهو في الصاحبي ص 194 ، وسيبويه 331/1 ، وتأويل مشكل القرآن ص 183 .

والترديد هو تكرار اللفظ متعلقا بغير ما تعلق به أوّلا ، كقوله تعالى : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾[301].

وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[302] ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[303] ، سلك الله تعالى في التعبير عن تعميم جهات الأجساد بالكيّ مسلك الإطناب بالتعداد ، لاستحضار حالة ذلك العقاب الأليم في جهات متفاوتة ومختلفة في الإحساس بألم الكيّ ، تهويلا لشأنه ، فيحصل مع تعميم الكيّ إذاقة لأصناف من الآلام .[304]

2 ـ التعليل :

يقول السيوطي : « وفائدته التقرير والأبلغية ، فإن النفوس أبعث على قبول الأحكام المعللة من غيرها، وغالب التعليل في القرآن على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى . وحروفه(اللام)، و(إن)، و(أن)، و(إذ)، و(الباء)، و(كي)، و(من)، و(لعل). ومما يقتضي التعليل ، لفظ الحكمة و ذكر الغاية من الخلق . »[305]

---

[301] سورة التوبة [108]

[302] سورة التوبة [34]

[303] سورة التوبة [35]

[304] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 179 .

[305] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 420 .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾[306]، جملة ﴿ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ ﴾ تعليل لقتالهم بأنهم استحقّوه لأجل استخفافهم بالأيمان التي حلفوها على السلم ، فغدروا .[307]

بلاغـــة الوصل :

تعريف الوصل :

الأصل في هذا الفن هو تمييز موضع العطف عن غير موضعه في الجمل ، وهو نوعان : نوع يقرب تعاطيه ، وهو أن تقصد العطف بينها بغير الواو ، أو بالواو بينهما ، لكن بشرط أن يكون للمعطوف عليها محل من الإعراب . ونوع يبعد تعاطيه ، وهو أن تقصد العطف بينها بالواو ، وليس للمعطوف محل من الإعراب . والسبب في أن قرب القريب ، وبعد البعيد ، هو أن العطف في باب البلاغة ، يعتمد معرفة أصول ثلاثة : أحدها الموضع الصالح له من حيث الوضع ، وثانيها فائدته ، وثالثها وجه كونه مقبولا لا مردودا .[308]

والوصل هو عطف جملة على أخرى بالواو خاصة دون بقية الحروف ، لأن الواو هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها . وشرط العطف بالواو أن يكون بين الجملتين جامع كالموافقة في نحو : يقرأ و يكتب ، وكالمضادة في نحو : يضحك و يبكي ، وإنما كانت المضادة في حكم الموافقة، لأنّ الذهن يتصور أحد الضدين عند تصور الآخر . والجامع يجب أن يكون باعتبار المسند إليه والمسند جميعا .[309]

---

[306] سورة التوبة [12]

[307] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 130 .

[308] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 357 .

[309] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 179 .

مواضع الوصل :

ويقع الوصل في ثلاثة مواضع :

الأول : إذا اتفقت الجملتان في الخبرية و الإنشائية لفظا لفظا و معنى ، أو معنى فقط ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما ، وكانت بينهما مناسبة تامة .

الثاني : إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والإنشائية وكان الفصل يوهم خلاف المقصود .

الثالث : إذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب ، وقصد تشريك الجملة الثانية لها في الإعراب ، حيث لا مانع . وحكمها حكم المفرد المقتضي مشاركة الثاني للأول في إعرابه ، والأحسن أن تتفق الجملتان في الاسمية والفعلية ، والفعليتان في الماضوية والمضارعية ، وكذا الاسميتان في نوع المسند من حيث الإفراد و الجملية و الظرفية .[310]

وفي قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[311]، عطف الجملة الثانية على الأولى ، لاتفاقهما في الإنشاء مع المناسبة التامة بين المفردات ، فإن المسند إليه فيهما متّحد والمسند ، وقيدهما متقابلان .[312]

وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾[313]،عطف قسيم على قسيم ، فالواو فيه بمعنى (أو)، فإنه إذا حصل أحد هذين الفعلين ، الذين هما نكث الأيمان ، والطعن في الدين ،كان حصول أحدهما موجبا لقتالهم ، أي دون مصالحة ، ولا عهد ، ولا هدنة بعد ذلك .[314]

---

[310] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 182 .

[311] سورة التوبة [82]

[312] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 190 .

[313] سورة التوبة [12]

[314] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص130 .

وفي قوله تعالى :﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِين ﴾[315]، وقوله تعالى: ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاء ﴾ [316]، عطف الفعل﴿ يُذْهِبْ﴾ على ﴿ يَشْفِ﴾ ، يؤذن باختلاف المعطوف والمعطوف عليه ، ويكفي في الاختلاف بينهما اختلاف المفهومين والحالين ، فيكون ذهاب غيظ القلوب مساويا لشفاء الصدور فيحصل تأكيد الجملة الأولى بالجملة الثانية . وضمير قلوبهم عائد إلى قوم مؤمنين، فهم موعودون بالأمرين، شفاء الصدور و ذهاب الغيظ .[317]

وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾[318]، جملة﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ ﴾معطوفة على جملة الاستفهام عطف الخبر على خبر في صورة الإنشاء. وجاءت اسمية لإفادة تقوية التربّص .[319]

وينقسم العطف باعتبار عطف الاسم على مثله ،والفعل على الفعل إلى أقسام : الأول عطف الاسم على الاسم،والثاني عطف الفعل على الفعل ، والثالث عطف الفعل على الاسم ، والاسم على الفعل [320]. ومن ذلك عطف الاسمية على الفعلية ، كقوله تعالى :﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾ [321]

---

[315] سورة التوبة [14]

[316] سورة التوبة [15]

[317] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص136 .

[318] سورة التوبة [52]

[319] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 255 .

[320] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 110 .

[321] سورة التوبة [87]

وفي قوله تعالى : ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [322] ، وصل حيث عطفت جملة ﴿ كُونُواْ ﴾ على جملة ﴿ اتَّقُواْ اللّهَ ﴾ لاتفاق الجملتين في الإنشائية لفظا و معنى، حيث أن كليهما فعليتان ، وبين الجملتين التوسط بين الكمالين كمال الاتصال وكمال الانقطاع ، فكل منهما فعل أمر .[323]

والوصل من أعظم أركان البلاغة، واعلم أن فائدة العطف التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه. والمعلوم أنّ فائدة العطف في المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأول ، وفي الجمل أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب فيكون حكمها حكم المفرد، أو أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى .[324]

بلاغـــة التعريف :

من أغراضه البلاغية الاختصاص، كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [325] ، يعقب ابن عاشور فيقول: « وإضافة (عام) إلى ضمير(هم) لمزيد اختصاصهم بحكم هائل في ذلك العام»[326] . فهذا العام خاص بهم وبشركهم، وينتهي بانتهاء المدة التي خصصت لها، لذلك اعتبر العام لهم وحدهم دون غيرهم.

---

[322] سورة التوبة [119]

[323] ابن قيم الجوزية ، الفوائد ، ص185 .

[324] دلائل الإعجاز ، للجرجاني ، ص222/ 223 .

[325] سورة التوبة [28]

[326] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 160 .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[327] ، التعريف في الفتنة ليس تعريف العهد إذ لا معهود هنا ، ولكنه تعريف الجنس المؤذن بكمال المعرف في جنسه ، أي في الفتنة العظيمة سقطوا .[328]

بلاغـــة الحذف :

هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر ، أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، و أما تكون بيانا إذا لم تُبِنْ .[329]

يقول بكر بن النطّاح :[330]

والعينُ تُبْدِي الحُبَّ والبُغْضَا وتُظْهِرُ الإبْـــــرامَ والنَّقْضَا

دُرَّةٌ ، ما أنْصَفَتْنِي في الهـوَى ولا رَحِمْتِ الجسَـــدَ المنْـضَى

غَضْبَى ، ولا والله يا أهلَهـا لا أطْعَمُ البَـارِدَ أو تَرْضَـــى

والمقصود قوله (غضبى) ، وذلك أنّ التقدير (هي غضبى) أو (غضبى هي) لا محالة ، ألا ترى أنك ترى النفس كيف تتفادى من إظهار هذا المحذوف ، وكيف تأنس إلى إضماره ؟ وترى الملاحة كيف تذهب إن أنت رمت التكلم به ؟[331]

والحذف هو لغة الإسقاط ، واصطلاحا هو إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل . والحذف من حذفت الشيء قطعته . والمشهور أن الحذف مجاز . ومن فوائده التفخيم والإعظام ، وزيادة لذة بسبب

---

[327] سورة التوبة [49]

[328] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 221 .

[329] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 146 .

[330] انظر عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 152 . يقوله في جارية كان يحبها ، وسعي به إلى أهلها ، فمنعوها منه .

[331] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 152 .

استنباط الذهن للمحذوف ، وزيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك ، ووطلب الإيجاز والاختصار ، والتشجيع على الكلام .[332]

وأمّا أسبابه فمنها مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر ، ومنها التفخيم والإعظام ، ومنها التخفيف لكثرة دورانه في كلامهم ، ومنها حذف نون التثنية والجمع وأثرها باقٍ، ومنها رعاية الفاصلة ، ومنها أن يحذف صيانة له وصيانة اللسان عنه ، ومنها كونه لا يصلح إلاّ له ، ومنها شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء .[333]

ومن أقسامه : الاقتطاع وهو ذكر حرف من الكلمة وإسقاط الباقي ، مثل فواتح السور. والاكتفاء وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفى بأحدهما عن الآخر، ويختص بالارتباط العطفي غالبا والضمير.

والتمثيل وهو أن يضمر من القول المجاور لبيان أحد جزأيه ، وأن يُستدل بالفعل لشيئين وهو في الحقيقة لأحدهما، فيضمر للآخر فعل يناسبه وأن يقتضي الكلام شيئين فيقتصر على أحدهما لأنه المقصود ، وأن يُذكر شيئان ثم يعود الضمير إلى أحدهما دون الآخر .[334]

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[335] ، حيث ذكر سبحانه وتعالى الذهب والفضة ، وأعاد الضمير على الفضة وحدها ، لأنها أقرب المذكورين ، ولأن الفضة أكثر وجودا في أيدي الناس ، والحاجة إليها أمسّ ،

---

[332] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 105/104 .

[333] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ،ص 108 .

[334] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 126 .

[335] سورة التوبة [34]

فيكون كنزها أكثر ، وقيل أعاد الضمير على المعنى لأن المكنوز دنانير ودراهم وأموال .[336] فقيل من عادة العرب إذا ذكرت شيئين مشتركين في المعنى تكتفي بإعادة الضمير على أحدهما، استغناء بذكره عن الآخر ، اتّكالا على فهم السامع .

والوعيد مراد بقوم معهودين يعرفون أنفسهم من المنافقين أهل الغنى ، الذين أعرضوا عن النفقة في سبيل الله على جيش غزوة تبوك بدعوة من الرسول ﷺ . والفاء للفصيحة ، أي بعد أن ذكر آكلي الأموال الصّادين عن سبيل الله ، وذكر الكانزين ، أمر رسوله بأن ينذر جميعهم بالعذاب ، فدلّت الفاء على شرط محذوف تقديره : إذا علمت أحوالهم هذه فبشّرهم .

ومثال ذلك في الشعر ، قول حسان :

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرِ الأَسْ ودِ ما لم يعَاصَ كَانَ جُنُوناً [337]

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [338]، قيل﴿أَحَقُّ﴾ خبر عنهما ، وسهل إفراد الضمير بعدم إفراد ﴿أَحَقُّ﴾ ، وأنّ إرضاء الله سبحانه وتعالى إرضاء لرسوله ﷺ ، وفائدة هذه الدلالة على قوة الاختصاص بذكر المعنى ، ورسول الله أحقّ أن يرضوه .[339]

وفي حذف الفاعل وإقامة المفعول مقامه مع بناء الفعل للمفعول، فله أسباب منها مناسبة ما تقدّمه ، كقوله تعالى : ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾، لأن قبلها ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ

[336] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 127 .
[337] انظر بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 127 . والبيت من ديوانه .
[338] سورة التوبة [62]
[339] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 127 .

الْقَاعِدِينَ﴾[340] على بناء الفعل للمفعول ، فجاء قوله ﴿ وَطُبِعَ ﴾ ليناسب بالختام المطلع ، بخلاف قوله فيما بعدها ﴿ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [341]، لإنه لم يقع قبلها ما يقتضي البناء ، فجاءت على الأصل.[342]

وفي حذف الجار والمجرور ، قوله تعالى : ﴿ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا ﴾[343] أي بسئ و﴿ وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾[344] أي بصالح .[345]

وفي حذف الجواب قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[346] أي رحمهم ثم تاب عليهم ، وهذا التأويل أحسن من القول بزيادة « ثمّ » .[347]

وفي قوله تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[348] ، قد حُذف المفضّل عليه وهم أصحاب السّقاية والعمارة الذين آمنوا و لم يجاهدوا و لم يهاجروا ، و المقصود تفضيل خصالهم بالتّشريف باستعارة لفظ و الفائزون الذين يقصدهم الله هم المختصون بالفوز، و هم أعظم درجة عند الله من أهل السقاية والعمارة الذين يسقون الحجيج ويعمرون المسجد الحرام، وتقول لهم اليهود أنتم

---

[340] سورة التوبة [86]
[341] سورة التوبة [93]
[342] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 145 .
[343] سورة التوبة [102]
[344] سورة التوبة [102]
[345] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 153 .
[346] سورة التوبة [113]
[347] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 190 .
[348] سورة التوبة [19]

أفضل من محمد وأصحابه . والسّقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر،كالصّيانة والوقاية . وقد أنكر الله قبل هذه الآية أن يُشَبّه المشركون وأعمالهم المُحبَطَة بالمؤمنين وأعمالهم المثبَتَة وأن يسوّى بينهم .[349]

وقد حذف المضاف وأقيم مقامه المضاف إليه ،وجعل الفعل له، أي أجعلتم صاحب سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ،كمن آمن؟ ويكون يريد بقوله : أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن بالله وجهاده ؟ ومنه قول الهذليّ :

يُمَشِّي بَيْنَنَا حَانُوتُ خَمْرٍ من الخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ القِطَاطِ [350]

أراد صاحب حانوت الخمر ، فأقام الحانوت مقامه .

وقد يحذف المسند للاحتراز عن العبث ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[351] ، أي ورسوله بريء منهم أيضا .[352]

بلاغـــة التقديم والتأخير :

تعريف التقديم والتأخير :

هو أحد أساليب البلاغة ، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة ، له في القلوب أحسن موقع ، وأعذب مذاق.[353]

---

[349] جار الله الزمخشري ، الكشّاف ، ص 256 .

[350] انظر أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص 211 . البيت في ديوان الهذليين ، ص 21 . يقول : يمشي بيننا صاحب حانوت من خمر ، وقوله : من الخرس الصراصرة ، يريد أعجم من نبط الشأم يقال لهم : الصراصرة . والقطاط الجعاد ، والواحد قطط ، وهو أشدّ الجعود . والبيت في اللسان ، والصناعتين ، والمخصص .

[351] سورة التوبة [3]

[352] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 133 .

[353] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ،ص 233 .

وهو ضربان : الأول يختص بدلالة الألفاظ على المعاني ، ولو أُخر المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى . والثاني يختص بدرجة التقدم في الذكر ، لاختصاصه بما يوجب له ذلك ، ولو أخّر لما تغير المعنى .[354] ويستعمل على وجهين : أحدهما الاختصاص ، والآخر مراعاة نظم الكلام ، وذاك أن يكون نظمه لا يحسن إلا بالتقديم وإذا أخّر المقدم ذهب ذلك الحسن ، وهذا الوجه أبلغ و أوكد من الاختصاص .[355] وفي قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾[356]، قدم ﴿ فِي النَّارِ ﴾ على ﴿ خَالِدُونَ ﴾ للرعاية على الفاصلة ، ويحصل منه تعجيل المساءة الكفار .[357]

ومنه التنبيه على أن السبب مرتب ،كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[358]، قدّم الله الجباه ثم الجنوب ، لأن مانع الصدقة في الدنيا كان يصرف وجهه أوّلا عن السائل ، ثم ينوء بجانبه ، ثم يتولى بظهره .[359]

ومن المقدم والمؤخر قوله تعالى : ﴿ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [360]، أي فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذّبهم بها في الآخرة .[361] وفي رواية الكلبي : إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الآخرة .[362]

---

[354] ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر ، ص 210 .
[355] ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر ، ص 211 .
[356] سورة التوبة [17]
[357] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 141 .
[358] سورة التوبة [35]
[359] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 268 .
[360] سورة التوبة [55]
[361] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 282 .
[362] أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص 208 .

بلاغة القصر :

تعريف القصر :

القصر لغة الحبس ، واصطلاحا هو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص هو إثبات الحكم لما يذكر في الكلام ونفيه عما عداه ، فما قبل إلا يسمى مقصورا ، وما بعدها يسمى مقصورا عليه ، و (ما) و(إلاّ) طريق القصر .[363] والقصر عند السكاكي ليس إلا تأكيدا على تأكيد .[364]

وطرق القصر : النفي والاستثناء ، و إنّما وفيها مزية على العطف لأنها تفيد الإثبات للشيء والنفي عن غيره دفعة واحدة ، و العطف بلا وبل ولكن ، وتقديم ما حقه التأخير .[365] يقول الإمام الجرجاني : « اعلم أنّ موضوع (إنّما) على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته ، أو لما ينزل هذه المنزلة .»[366] و يقول المتنبي :

إنَّمَا أَنْتَ والِدٌ ، والأَبُ القَا طِعُ أَحْنَى مِنْ واصِلِ الأَوْلاَدِ [367]

لم يرد المتنبي أن يعلم كافورا أنه والد ، ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام ، ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم ليبني عليه استدعاء ما يوجبه ، كونه بمنزلة الوالد .[368]

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[369]، لما اقتضت جملة ﴿كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن

[363] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 165 .
[364] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 405 .
[365] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 168 .
[366] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 330 .
[367] انظر عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 330 . والبيت في ديوانه ، 33/2 .
[368] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 330 .
[369] سورة التوبة [18]

يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ﴾[370] إقصاء المشركين عن العبادة في المساجد ، كانت تثير في نفوس السامعين أن يتطلبوا من هم الأحقاء بأن يعمروا المساجد ، فكانت جملة ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ ﴾ ووقعت موقع الاستئناف البياني، ومجيء صيغة القصر بغرض إقصاء فرق أخرى عن أن يعمروا مساجد الله ، غير المشركين الذين كان إقصاؤهم بالصريح ، فكان المراد من الموصول وصلته خصوص المسلمين ، لأن مجموع الصفات المذكورة في الصلة لا يثبت لغيرهم .[371]

والقصر باعتبار الحقيقة والواقع قسمان :

أ ـ قصر حقيقي : وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع بألا يتعداه إلى غيره أصلا .

ب ـ قصر إضافي : وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر معين، لا لجميع ما عداه .

وينقسم القصر باعتبار طرفيه المقصور والمقصور عليه ، وسواء كان حقيقيا أم إضافيا إلى نوعين :

أ ـ قصر صفة على موصوف .

ب ـ قصر موصوف على صفة . والمراد بالصفة الصفة المعنوية لا النعت .[372]

و مثال قصر الصفة على الموصوف في قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [373]، فقصر خشية المسلمين المؤمنين على التعلق بجانب الله تعالى بصيغة القصر، ليس المراد منه أنهم لا

---

[370] سورة التوبة [17]

[371] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 141 .

[372] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 87 .

[373] سورة التوبة [18]

يخافون شيئا غير الله ، ولكن معناه إذا تردد الحال بين خشيتهم الله وخشيتهم غيره ن قدموا خشية الله على خشية غيره ، فالقصر إضافي باعتبار تعارض خشيتين . وفي هذا حث على الاستزادة من هذا الاهتداء ، وتحذير من الغرور والاعتماد بعض العمل الصالح ، باعتقاد أن بعض الأعمال يغني عن بقيتها .[374]

وفي قوله تعالى : ﴿ لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾[375]، القصر ب(إلاّ) إما أن يكون للمبالغة في اعتدائهم ، لأنه اعتداء عظيم باطني على قوم حالفوهم وعاهدوهم ، ولم يلحقوا بهم ضرّ مع تمكنهم منه ، وإمّا أن يكون قصر قلب ، أي : هم المعتدون لا أنتم لأنهم بدؤوكم بنقض العهد .[376]

بلاغـــة الالفات :

تعريف الالتفات :

يقول السكاكي : « واعلم أن هذا النوع، أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة، لا يختص المسند إليه ، ولا هذا القدر، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر ، ويسمى هذا النقل التفاتا عند علماء علم المعاني .»[377]

والالتفات عند الزركشي من أسلوب إلى أسلوب آخر ، تطرية واستدرار للسامع ، وتجديد لنشاطه ، وصيانة اخاطره من الملال والضجر، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه، واعلم أنّ للتكلم

[374] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 142 .
[375] سورة التوبة [10]
[376] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 127 .
[377] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 296 .

والخطاب، والغيبة، مقامات. والمشهور أن الالتفات هو الانتقال من أحدها إلى الآخر بعد التعبير الأول .[378] كما قيل :

لا يُصْلِحُ النفسَ إنْ كانت مصَرَّفَةً إلاَّ التَّنَقُّلُ من حَالٍ إلى حَالِ [379]

ومعنى الالتفاتات أنه اعتُرِض في الكلام قول، فمتى خرج عن الكلام الأول ثم رجع إليه على وجه يلطف،كان ذلك التفاتا نفس .[380]

فوائد الالتفات :

ومن فوائد الالتفات، التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر ، وهناك فوائد تختلف باختلاف مواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم ، ومنها قصد تعظيم شأن المخاطب ، ومنها التنبيه على ما حقّ الكلام أن يكون واردا عليه ، ومنها أن يكون الغرض التميم لمعنى مقصود للمتكلم ، ومنها قصد المبالغة، ومنها قصد الدلالة على الاختصاص ، ومنها قصد الاهتمام ، ومنها قصد التوبيخ .[381]

كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [382] . وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [383] ، أفرد الله الضمير في قوله ينفقونها مع أنه ذكر شيئين ، و هما الذهب و الفضة ذهابا بالضمير إلى المعنى دون اللفظ وفي هذا التفات من التثنية إلى

---

[378] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 314 .

[379] انظر بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 314 . والبيت لم يذكر صاحبه .

[380] أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص 149 .

[381] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 330/326 .

[382] سورة التوبة [34]

[383] سورة التوبة [35]

الإفراد. وهناك الالتفات من الغيبة في قوله ﴿ يُحْمَى ﴾ ، ﴿ فَتُكْوَى﴾، إلى الخطاب في قوله ﴿ كَنَزْتُمْ﴾ و﴿ ذُوقُواْ﴾ .[384] وفي العدول إلى الضمائر ،كأن يدلّ عليه السياق فيضمر ، ثقة بفهم السامع. وقد يعود الضمير على بعض ما تقدّم له ، كقوله تعالى : ﴿ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾[385] ، فإن الفضة بعض المذكور ، فأغنى ذكرها عن ذكر الجميع .[386]

و قوله تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾[387]، وردت الآية للإخبار عن طائفة من المنافقين ، وكانوا ثمانين رجلا، تخلفوا عن الجهاد مع رسول اللهﷺ دون عذر، ثم جاؤوا إليه وإلى المؤمنين معتذرين.

وفي هذه الآية التفات من ﴿ تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ﴾ إلى ﴿ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ حيث افتتحت الآية بالتعبير عن المنافقين بضمير الغيبة ، ثم عدلت عن الإضمار إلى الإظهار، وهو عدول يفيد أنّ غضب الله أو عدم رضائه عن هؤلاء لا يتعلق بهم في ذواتهم ، بل بما يُضمرونه من نفاق ، و يفيد من جهة أخرى ، أنّ الفسق في أيّ زمان و مكان لا فسق هؤلاء المنافقين فقط ، يستدعي التوبة لغضب الخالق عز و جل الذي لا ينصبّ على فسق الفاسق بذاته ، إنّما على كل ذات في هوة المعصية والضلال ، قصد الفوز برضوان الله.[388]

---

[384] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 323 .

[385] سورة التوبة [34]

[386] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 4 ، ص 28 .

[387] سورة التوبة [96]

[388] حسن طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص 122 .

بلاغة الاستدلال :

من تكملة علم المعاني في الاستدلال ، و هو اكتساب إثبات الخبر للمبتدأ ، أو نفيه عنه ، بوساطة تركيب الجمل . يقول السكاكي : « اعلم أن الخبر متى لم يكن معلوم الثبوت للمبتدأ بالبديهة ، كما في نحو : الإنسان حيوان ، أو معلوم الانتفاء عنه بالبديهة ، كما في نحو : الإنسان ليس بفرس ، بل كان بين بين ، نحو قولنا : العالم حادث ، فإن الحدوث ليس بديهي الثبوت للعالم ، ولا بديهي الانتفاء عنه .»[389]

وقارعو باب الاستدلال ، بعد الاتفاق على أنه معجز ، يختلفون في وجه إعجازه ، فمنهم من يقول أنه صرف المتحدين لمعارضة القرآن عن الإتيان بمثله بمشيئته تعالى ، لا أنها لم تكن مقدورا عليها فيما بينهم في نفس الأمر . ومنهم من يقول أن وجه إعجازه سلامته عن التناقض ، لكنه يستلزم كون كل كلام إذا سلم من التناقض ، وبلغ مقدار سورة من السور ، أن يعد معارضة . ومنهم من يقول أن وجه الإعجاز فيه الاشتمال على الغيوب ، لكنه يستلزم قصر التحدي على السور المشتملة على الغيوب دون ما سواها .[390]

ففي قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[391] ، إيراد الاسم الظاهر ﴿ الْكَافِرِينَ﴾ عدولا عن الإتيان بالضمير (هم) إثبات لإحاطة جهنم بالكافرين بطريق شبيه بالاستدلال ، وهو شمول الاسم الكلي لبعض جزئياته .[392]

---

[389] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 548 .
[390] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 614 .
[391] سورة التوبة [49]
[392] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 616 .

بلاغـــة التضمين :

التضمين عند الرمّاني هو حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه . وهو على وجهين : أحدهما ما كان يدل عليه الكلام دلالة الإخبار و التضمين في الصفتين جميعا ، والآخر ما يدل عليه دلالة القياس .[393]

وهو إعطاء الشيء معنى الشيء ، وتارة يكون في الأسماء ، وفي الأفعال ، وفي الحروف. ويطلق أيضا على إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لتأكيد المعنى ، أو لترتيب النظم ، ويسمى الإبداع كإبداع الله تعالى في حكايات أقوال المخلوقين [394]. يقول الباقلاني : « هو حصول معنى فيه من غير ذكره له باسم أو صفة هي عبارة عنه »[395]

فأمّا في الأسماء فهو أن تضمن اسما معنى اسم ، لإرادة معنى الاسمين معا . وأما الأفعال فأن تضمّن فعلا معنى فعل آخر ، ويكون فيه معنى الفعلين جميعا ، وذلك بأن يتعدى الفعل بحرف، فيأتي متعديا بحرف آخر ليس من عادته التعدي به ،فيحتاج إلى تأويله أو تأويل الفعل، ليصحّ تعدّيه به [396].

كقوله تعالى : ﴿ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [397]، أسند الله تعالى الإعجاب إلى الأموال، والمعنى لا تُعْجَب بأموالهم .

---

393 انظر الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 202 .

394 بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 343 .

395 أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص 412 .

396 بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 338 .

397 سورة التوبة [55]

بلاغـــة التعطف :

التعطّف هو أن يعلّق المتكلّم لفظة من الكلام بالمعنى ، ثمّ يوردها بعينها ويعلّقها بمعنى آخر، وهما مفترقتان . وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[398] قد أتى التّعطّف من صدر الآية في قوله تعالى: ﴿ تَرَبَّصُونَ بِنَا ﴾ ومن عجزها في قوله تعالى : ﴿ فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ مع تجنيس الازدواج ، ووقع مع التّعطّف مقابلة معنوية خرج الكلام فيها مخرج إيجاز الحذف .[399]

بلاغة معاني الحروف :

ـ الحرف « ألا » :

(ألا) تأتي للاستفتاح ، والفائدة التنبيه على تحقيق ما بعدها، ولذلك قلّ وقوع الجمل بعدها إلاّ مصدّرة بنحو ما يتلقى به القسم . وتأتي مركبة من كلمتين : همزة الاستفهام ولا النافية . والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقا .[400] ، كقوله تعالى : ﴿ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ ﴾[401]

ـ الحرف « إلاّ » :

ترد (إلاّ) لمعان كثيرة منها : الاستثناء ، بمعنى (بل) ، عاطفة بمعنى الواو في التشريك ، بمعنى غير إذا كانت صفة وليست للاستثناء ، بمعنى بدل ، للحصر إذا تقدمها نفي ، ومركبة من (إن)

---

[398] سورة التوبة [52]

[399] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 325 .

[400] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 4 ، ص 339 .

[401] سورة التوبة [13]

الشرطية ، و (لا) النافية [402]، كقوله تعالى : ﴿ إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [403]

ـ الحرف « أنّى » :

تأتي مشتركة بين الاستفهام والشرط [404]، وتأتي بمعنى (كيف)، وبمعنى (من أين)[405] كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [406]

ـ الحرف « في » :

تجيء (في) لمعان كثيرة، منها المقايسة وهي الداخلة بين مفضول سابق وفاضل لاحق [407] كقوله تعالى : ﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [408]

ـ حرف «اللام » :

واللام الناصبة للمضارع قد تقع موقع (أن) ، وإن كانت غير معلولة لها في المعنى، وذلك إذا كان الكلام متضمنا لمعنى القصد والإرادة[409] ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[410]

---

[402] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 4 ، ص 241 .
[403] سورة التوبة [39]
[404] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 4 ، ص 249 .
[405] أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص 525 .
[406] سورة التوبة [30]
[407] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 4 ، ص 303 .
[408] سورة التوبة [38]
[409] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 4 ، ص 349 .
[410] سورة التوبة [55]

و اللام في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[411] للتعليل ، تعلقت بفعل الإرادة للدلالة على أن المراد حكمة و علة فتغني عن مفعول الإرادة . و أصل فعل الإرادة ، أن يعدّى بنفسه .[412] كقول كثَيِّر :

أُرِيدُ لِأَنْسَى حُبَّهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ مَكَان [413]

وهذه اللام كثير وقوعها بعد مادة الإرادة ومادة الأمر ، وبعض القرّاء سماها (لام أن) بفتح الهمزة .[414]

ـ الحرف « ما » :

وتأتي مصدرية ، وهي قسمان : وقتية و غير وقتية . فأمّا غير الوقتية ، فهي التي تقدر مع الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ [415] ، أي بتكذيبهم أو بكذبهم على القرآن .[416] وكقوله تعالى :﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ﴾[417] .

---

411 سورة التوبة [55]
412 محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 228 .
413 انظر محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 228 .
414 محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 229 .
415 سورة التوبة [77]
416 محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 407 .
417 سورة التوبة [118]

ـ الحرف « من » :

وتأتي للبدل من حيث العوض عنه ، فهو كالسبب في حصول العوض ، فكأنه منه أتى، كقوله تعالى: ﴿ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ ﴾ [418]، أي بدلا من الآخرة ، ومحلها مع مجرورها النصب على الحال .[419]

كما تأتي للملايسة ، كقوله تعالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾[420] ، أي يلابس بعضهم بعضا ويواليه . و ليس المعنى على النسل والولادة ، لأنه قد يكون من نسل المنافق مؤمن وعكسه .[421]كما أنّ﴿ مِّن﴾اتصالية دالة على معنى اتصال شيء بشيء ، وهو تبعيض مجازي معناه الوصلة والولاية .[422]

ـ الحرف « مع » :

للمصاحبة بين أمرين لا يقع بينهما مصاحبة و اشتراك إلاّ في حكم يجمع بينهما ، ولذلك لا تكون الواو التي بمعنى (مع) ، إلاّ بعد فعل لفظا أو تقديرا ، لتصحّ المعية . وكمال معنى المعية ، الاجتماع في الأمر الذي به الاشتراك دون زمانه .[423]كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[424]

ـ حرف الواو : والواو في قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ ﴾[425] عاطفة .

---

[418] سورة التوبة [38]
[419] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 419 .
[420] سورة التوبة [67]
[421] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 426 .
[422] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 254 .
[423] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 427 .
[424] سورة التوبة [119]
[425] سورة التوبة [18]

المبحث الثاني : علم البيان وأسراره البلاغية

البيان الكشف والإيضاح ، وهو علم القواعد والأصول التي يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة . وهو اسم لكل شيء كشف لك بيان المعنى ، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع ، إنما هو الفهم والإفهام . فبأي شيء بلغت الأفهام ، وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان .

وموضوعه الألفاظ العربية من حيث المجاز والكناية ، وأما التكلم عن الحقيقة والتشبيه ، فليس مقصودا بالذات في علم البيان .[426] وقد دون مسائل هذا العلم ، أبو عبيدة بن معمر المثنى في كتابه (مجاز القرآن)، وكانت ثمرته الوقوف على أسرار كلام العرب ، منثوره ومنظومه ، ومعرفة ما فيه ، من تفاوت في فنون الفصاحة ، وتباين في درجات البلاغة التي يصل بها إلى مرتبة إعجاز القرآن الكريم ، الذي حار الجن والإنس في محاكاته ، وعجزوا عن الإتيان بمثله .

واللفظ إن عُيّن بإزاء معنى ليدل عليه سمي موضوعا ، والمعنى موضوعا له ، والتعيين وضعا . ثم إنه بعد ذلك ، إما ألا يتصرف فيه عند الاستعمال ويسمى حقيقة ، أو يتصرف فيه عنده و يسمى مجازا . والمجاز إما عقلي ، وإما مرسل ، وإما تشبيه أو كناية . يقول القزويني : « فانحصر المقصود في التشبيه ، والمجاز ، والكناية ، وقدّم التشبيه على المجاز ، لما ذكرنا من ابتناء الاستعارة التي هي مجاز على التشبيه ، وقدم المجاز لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل .» [427]

---

[426] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 217 .

[427] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 147 .

بلا غـــة التشبيه:

تعريف التشبيه :

اتفق الأدباء على شرف التشبيه في أنواع البلاغة ، وأنه إذا جاء في أعقاب المعاني أفادها كمالا وكساها حلة وجمالا.[428] وهو إلحاق شيء بذي وصف في وصفه ، وقيل أن تثبت للمشبه حكما من أحكام المشبه به ، وقيل الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء الواحد .[429]

والتشبيه عند ابن رشيق (456هـ) صفة الشيء بما قاربه وشاكله ، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته ، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إيّاه .[430] والتشبيه ضربان تشبيه حسن وهو الذي يخرج الأغمض إلى الأوضح ، فيفيد بيانا ، وتشبيه قبيح وهو ماكان على خلاف ذلك .[431]

يقول امرؤ القيس :

أَيَقْتُلُنِي و المشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوالِ [432]

فشبه نصال النبل بأنياب الأغوال لما في النفس منها.

والتشبيه عند ابن الأثير (622هـ) من قولك شبهت هذا الشيء بهذا الشيء ، كما يقال مثلته به . وهو قسمان : مُظهر ومضمرٌ .[433] والتشبيه المضمر الأداة يحسن تقدير الأداة فيه، أي لا يتغير

[428] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 414 .
[429] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 414 .
[430] ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ص 286 .
[431] ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ص 287 .
[432] انظر ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ص 288 .
[433] ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر، ص 115 .

بتقديرها فيه عن صفته التي اتصف بها من فصاحة وبلاغة .[434] وهو أبلغ من التشبيه المظهر و أوجز . وعلى هذا فإنّ القسمين من المضمر والمظهر ، كليهما في فضيلة البيان سواء .[435]

يقول الحارث بن حلّزة :

وحَسِبْتُ وقْعَ سيُوفِنَا بِرُؤُوسِهم وَقْعَ السّحَابةِ بالطّرَافِ المشْرَجِ [436]

في البيت تشبيهين من جهة الكثرة والحس أو السرعة والحس ، فمحتمل ، إلاّ أنّ الشاعر لم يصرّح إلا بالواقع خاصّة ، يريد بذلك الحس وحده ظاهر الأمر ولذلك خصّ الطّراف ، لكزنه من الأدَمِ ، فصوت القطر عليه أشدّ منه على غيره من سائر البيوت .[437]

وكثر تشبيه العرب شيئين بشيئين حتى لم يصر عجبا، وقد جاء وا بتشبيه ثلاثة أشياء في بيت واحد بالكاف وغير الكاف . يقول ابن الرومي :

كأَنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطْرُ نَدًى يَقْطُرُ من نَرْجِسٍ علَى وَرْدِ [438]

ويقول ابن المعتزّ :

بَـدْرٌ وليْـــلٌ وغُصْـــنٌ وجْهٌ وشَعْـرٌ وقَـــــدٌّ [439]

خَمْـــــــــرٌ ودُرٌّ ووَرْدٌ رِيـــقٌ وثَغْـرٌ وخَـــدٌّ

ومنهم من يأتي بالتشبيه الواحد بغير كاف ، كقول امرؤ القيس :

سَمَوْتُ إليها بعْدَ ماَ نَامَ أَهْلُها سُمُوَّ حَبَابِ المَاء حَالاً على حَالٍ [440]

---

[434] المثل السائر لابن الأثير ، ص 120.
[435] المصدر السابق ، ص 121.
[436] انظر ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ص 291 .
[437] ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ص 291 .
[438] انظر المصدر السابق ، ص292.
[439] انظر ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ص 292 .
[440] انظر المصدر السابق ، ص 294 .

وفي قوله تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[441]، إخراج الكلام بالتشبيه مخرج الإنكار، و هذا إنكار على من جعل حرمة الجماد كحرمة من آمن بالله و اليوم الآخر. و في ذلك أوفى دلالة على تعظيم حال المؤمن بالإيمان، و أنه لا يساوى به مخلوق ليس على صفته بالقياس .[442]

وقد دل ذكر السقاية و العمارة في جانب المشبه ، و ذكر من آمن و جاهد في جانب المشبه به، على أن العملين ومن عملهما لا يساويان العملين الآخرين، ومن عملهما . فوقع احتباك في طرفي التشبيه، أي لا يستوي العملان مع العملين، ولا عاملوا هذين، بعاملي ذينك العملين . والتقدير : أجعلتم سقاية الحاج وعمّار المسجد الحرام، كالإيمان بالله واليوم الآخر، والجهاد في سبيل الله ، وجعلتم سقاية الحاج ، وعمار المسجد كالمؤمنين و المجاهدين في سبيل الله .[443]

وفي قوله تعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [444] ، الرجس هو الخبث، فشبه الله تعالى المنافقين بالرجس في الدناءة ودنس النفوس . والرجس دنس معنوي .[445] والمراد تشبيههم بالرجس في الدناءة ودنس النفوس .

---

[441] سورة التوبة [19]

[442] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 175 .

[443] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 146 .

[444] سورة التوبة [95]

[445] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 11 ، ص 10 .

بلاغة الاستعارة :

تعريف الاستعارة :

الاستعارة صورة من صور التوسع المجاز في الكلام ، وهي من أوصاف الفصاحة و البلاغة العامة التي ترجع إلى المعنى. وإذا كان البلاغيون ينظرون إلى المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية على أنّها عمد الإعجاز وأركانه، وعلى أنها الأقطاب التي تدور البلاغة عليها ، وتوجب الفضل والمزية ، فإنّهم يجعلون المجاز والاستعارة عنوان ما يذكرون وأول ما يوردون.[446]

يقول عبد القاهر الجرجاني : « إن فضيلة الاستعارة الجامعة تتمثل في أنها تبرز البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا، وإنك لتجد الفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع ، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد .»[447]

والاستعارة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنّه اختصّ به حين وُضع ،ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم ، فيكون هناك كالعارية . ثم إنها تنقسم إلى قسمين : أحدهما أن لا تكون لنقله فائدة ، والثاني أن يكون له فائدة .[448] ومن خصائصها التشخيص والتجسيد في المعنويات، وبث الحركة والحياة والنطق في الجماد، فهي تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر ، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر .[449]

---

[446] عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، ص 134 .
[447] عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 33 .
[448] المصدر السابق ، ص 27 .
[449] عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 33 .

يقول ابن الأثير(622ه) :«اعلم أنّ للفصاحة والبلاغة أوصافا خاصة ، وأوصافا عامة . فالخاصة كالتجنيس فيما يرجع إلى اللفظ ، وكالمطابقة فيما يرجع إلى المعنى . وأمّا العامة فكالسجع فيما يرجع إلى اللفظ ، وكالاستعارة فيما يرجع إلى المعنى .»[450]

والتشبيه ضربان : تشبيه تام ، وتشبيه محذوف . فالتشبيه التام : أن يذكر المشبه والمشبه به . والتشبيه المحذوف : أن يذكر المشبه دون المشبه به ، ويسمى استعارة .[451] وعلى هذا فإنّ الاستعارة لا تكون إلاّ بحيث يطوى ذكر المستعار له الذي هو المنقول إليه ، ويكتفى بذكر المستعار الذي هو المنقول.[452] قال الشاعر:[453]

فَرْعَاءُ إنْ نهضَتْ لحَاجَتِهَا عَجِلَ القَضيبُ وأَبْطأَ الدِّعْصُ [454]

في البيت ذُكر المنقول إليه وهو المستعارله ،دون المنقول وهو المستعار ، لأن تقدير الكلام عجل قَدٌّ كالقضيب ، وأبطأ رِدْفٌ كالدّعص ، وبين إيراده على هذا التقدير و بين إيراده على هيئته في البيت بون بعيد في الحسن و الملاحة .[455] ويرى ابن الأثير أنّ الموضع الذي لا يحسن فيه إظهار أداة التشبيه هو استعارة . و قال الشاعر :[456]

فَأَمْطرَتْ لُؤْلؤاً من نرْجِسٍ وسَقَتْ وَرْداً وعَضَّتْ على العُنَّابِ بالبَرْدِ

---

[450] ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر ، ص 70 .
[451] ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر ، ص 71 .
[452] ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر ، ص 74 .
[453] انظر ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر ، ص 73 .
[454] انظر ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر ، والفرعاء التامة الشعر ، والدعص قطعة من الرمل مستديرة أو الكثيب . ص 73 .
[455] المصدر السابق ، ص 73 .
[456] هو الرأواء الدمشقي ، انظر ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر ، ص 75 .

في البيت استعارة ، لأننا إذا أظهرنا المستعار له وهو الدمع و العين والخدّ و الأنامل المخضوبة والأسنان ، ما وُجد هذا الحسن والرونق . وتقدير الكلام فأمطرت دمعا كاللؤلؤ من عين كالنرجس ، وسقت خدًّا كالورد ،وعضّت على أنامل مخضوبة كالعنّاب بأسنان كالبرد .[457]

ويرى الزركشي(794ه) أنّ الاستعارة من أنواع البلاغة،وهي قسم من أقسام المجاز لاستعمال اللفظ في غير ما وضع له .[458] وهي استفعال من العارية ن ثم نقلت إلى نوع من التخيل لقصد المبالغة في التخييل والتشبيه مع الإيجاز . وحقيقتها أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها . وأركانها ثلاثة : مستعار وهو اللفظ المشبه به ، ومستعار منه وهو اللفظ المشبه ، ومستعار له وهو المعنى الجامع .[459] وبلاغتها تكمن في إظهار الخفي وإيضاح الظاهر الذي ليس يجليّ ، أو بحصول المبالغة أو للمجموع .[460]

وفي قوله تعالى : ﴿ اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[461] ، التعبير عن العوض المشترى باسم ثمن، الذي شأنه أن يكون مبذولا لا مقتنىً، جارٍ على طريق الاستعارة ، تشبيها لمنافع أهوائهم ، بالثمن المبذول، فحصل من فعل ﴿اشْتَرَوْاْ ﴾ ومن لفظ ﴿ ثَمَنًا ﴾ ، استعارتان باعتبارين .[462]

---

[457] ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر ، ص 76 .
[458] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 434 .
[459] المصدر السابق ، ص 435 .
[460] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 433 .
[461] سورة التوبة [9]
[462] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 125 .

وفي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [463] والتبشير مستعار للوعيد على طريقة التّهكّم .[464]

ومن أقسامها استعارة محسوس لمعقول بوجه عقليّ أيضا [465] ، كقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [466] ، الهمزة للاستفهام التّقريري والفاء للعطف . في هذه الآية مجاز، لأن الله تعالى جعل الجُرْف الهائر أي جانب الوادي المتصدّع مجازا عن الباطل والنّفاق في قلّة الثّبات والاستمساك.فجاء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف ، ليصوّر أن المنافق كأنّما أسّس بنيانا على شفا جرف من أودية جهنم ، فانهار به و هوى في قعرها . و أصل البنيان إنما هو للحيطان و ما أشبهها ، و جعل البنيان ريبة وإنّما هو ذو ريبة ، فالبنيان مستعار و أصله للحيطان[467] . فشبّه التّقوى و الرّضوان بقاعدة يعتمد عليها البناء تشبيها مضمرا في النّفس على قاعدة الاستعارة التّصريحية .

وحقيقته اعتقادهم الذي عملوا عليه ، والاستعارة أبلغ لما فيها من البيان بما يحس ويتصور ، وجعل البنيان ريبة ، وإنما هو ذو ريبة ، لأن قوة الذم للريبة ، فجاء على البلاغة لا على الحذف الذي إنما يراد به الإيجاز في العبارة فقط .[468]

---

[463] سورة التوبة [34]

[464] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 178 .

[465] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ص 147 .

[466] سورة التوبة [109]

[467] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 443 .

[468] انظر الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 91 / 92 .

ويرى ابن عاشور أنّ القصد الذي جعل البناء لأجله ، شبه بأساس البناء، فاستعير له فعل(أسس) في الموضعين . فشبهت التقوى بما يرتكز عليه الأساس على طريقة المكنية ، لأن من شأن الأساس أن تطلب له صلابة الأرض لدوامه . ثم رمز إلى المشبه به المحذوف بشيء من ملائماته وهو حرف الاستعلاء .

يقول : « وفهم أن المشبه به شيء راسخ ثابت بطريق المقابلة في تشبيه الضد بما أسس على شفا جرف هار، وذلك بأن شبه المقصد الفاسد بالبناء بجرف جرف منهار في عدم ثبات ما يقام عليه من الأساس بله على طريقة الاستعارة التصريحية .»[469]

والهار الهائر وزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت ، ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل و كنه أمره[470]. وجرف الوادي ونحوه من أسناد المسايل إذا دخل في أصله فاجترفه فصار كالدجل و أشرف أعلاه ، فإذا انصدع أعلاه فهو هار ، وقد جرّف السيل أسناده أي أقباله ، وهو ما قابلك من الأرض[471]. وفي هذا استعارة تمثيلية في انهيار البناء القائم على شفا جرف هار. حيث شبّه عدم القيام بأمور الدّين بمن بنى بنيانه على شفا فهو يسقط به.

وفي قوله تعالى : ﴿ انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [472]، الخفاف والثقال مستعاران لما يشابهها من أحوال الجيش وعلائقهم . فالخفة تستعار للإسراع إلى الحرب لدلالتها على الشجاعة و النجدة .

---

[469] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 34 .
[470] جار الله الزمخشري ، الكشاف ، ص 312 .
[471] الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، ج6 ، ص 108 .
[472] سورة التوبة [41]

كقول قريط بن أنيف العنبري :

قَوْمٌ إِذَا الشَرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْهِ لَهُم طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَات وَوُحْدانَا [473]

فالثقل الذي يناسب هذا هو الثبات في القتال . وتستعار الخفة لقلة العدد ، ولتكرير الهجوم على الأعداء ، ولقلة الأزواد أو قلة السلاح ، ولقلة العيال . والثقل لكثرة عدد الجيش ، وللتّثبّت في الهجوم ، و للمشي على الأرجل ، وذلك في وقت القتال . كقول النابغة :

على عَارِفَاتٍ لِلطِّعَانِ عَوَابِـــسٍ بِهِنَّ كُلوم بَيْنَ دامٍ وَ جـــــالب

إذ اسْتُنزلوا عَنْهُنَّ للضَّرْبِ ارقلوا إِلَى المَوْتِ ارْقَالَ الجمال المصَاعب[474]

المجاز :

لقد اختلف العلماء في وقوع المجاز في القرآن الكريم ، والجمهور على الوقوع ، وأنكره جماعة منهم ابن القاص من الشافعية [475]، وابن حُويْز منذاذ من المالكية [476]، وحكي عن داود الظاهري[477] وابنه، وأبي مسلم الأصبهاني [478].

---

[473] انظر محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 206 .

[474] انظر محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 207 . وعارفات للطعان ، أي متعودات به .

[475] انظر بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 255 . هو أبو العباس أحمد بن أحمد الطبري ، أحد فقهاء الشافعية ، وصاحب المصنفات المشهورة كالتلخيص والمفتاح و أدب القاضي ، توفي بطرسوس سنة 335 هـ .

[476] انظر بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 255 . من علماء المالكية ، تلميذ الأبهري ، من أهل البصرة ، توفي في حدود الأربعمائة .

[477] انظر بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 255 . داود بن علي بن خلف الأصبهاني ، صاحب المذهب المستقل، يعرف أتباعه بالظاهرية ، توفي سنة 270هـ .

[478] انظر بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 255 . هو أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني ، من فقهاء المعتزلة وصنف تفسيرا على طريقهم ، توفي سنة 370 هـ .

وشبهتهم أن المتكلم لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز ، إلا إذا ضاقت به الحقيقة ، فيستعير وهو مستحيل على الله تعالى . وهذا باطل ، فلو وجب خلوّ القرآن من المجاز ، لوجب خلوّه من التأكيد والحذف ، ولو سقط المجاز من القرآن، سقط شطر الحسن . هذا ما نصّ عليه رأي الزركشي .[479]

بلاغـــة المجاز المرسل :

تعريف المجاز المرسل :

يؤدي المجاز المرسل المعنى المقصود بإيجاز ، والإيجاز ضرب من ضروب البلاغة ، كما تظهر فيه المهارة في تخير العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي ، بحيث يكون المجاز مصورا للمعنى المقصود خير تصوير . وإذا دققنا النظر ، رأينا أن أغلب ظروب المجاز المرسل ، لا تخلو من مبالغة بديعة ، ذات أثر في جعل المجاز رائعا خلابا .[480] ويسميه الزركشي المجاز الإفرادي، يقول : « وأنواع الإفرادي في القرآن كثير يعجز العد عن إحصائها .»[481]

والمجاز المرسل هو الكلمة المستعملة قصدا في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي . وسمي مرسلا ، لإطلاقه عن التقييد بعلاقة واحدة مخصوصة ، المقصد منها بيان الارتباط والمناسبة . والقرينة هي الذي يجعله المتكلم دليلا على أنه أراد باللفظ غير ما وضع له ، وهي إما لفظية وهي التي يلفظ بها في التركيب ، أو حالية وهي التي تفهم من حال المتكلم أو من الواقع .[482] وعلاقاته كثيرة :

---

[479] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 255 .
[480] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 252 .
[481] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 443 .
[482] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص253 .

1 ـ السببية : هي كون الشيء المنقول عنه سببا ومؤثرا في غيره . مثل قول عمرو بن كلثوم :

أَلا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجاهِلِينَا [483]

فالجهل الأول حقيقة ، والثاني مجاز عبر به عن مكافأة الجهل . [484]

2 ـ المسببية : وهي أن يكون المنقول عنه مسبّبا وأثرا لشيء آخر . كقول الشاعر :

أَقْبَلَ فِي المستَّنِّ من رَبَابِهِ أَسْنِمَةُ الآبَالِ فِي سَحَابِـهِ [485]

وأراد أن السحاب ينبت ما تأكله الإبل ، فتصير شحوما في أسنمتها . [486]

وكقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[487]، أي وأغلظوا عليهم ، ليجدوا ذلك ، وإنما عدل إلى الأمر بالوجدان تنبيها على أنه المقصود لذاته ، وأمّا الإغلاظ فلم يقصد لذاته بل لتجدوه . [488]

3 ـ الكلية : وهي كون الشيء متضمنا للمقصود ولغيره . كقوله تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ﴾ [489] ، المراد بالسبعين الكثرة ، وخصوص السبعين ليس مرادا ، وهذا مجاز في إطلاق الكل وإرادة البعض ، وهو منتفٍ في العدد . وهو من ألفاظ العدد لا يدخلها تأكيد . [490]

---

[483] انظر الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 191 . البيت في ديوانه ص 156 ، ولسان العرب ، وشرح القصائد العشر ، ص 428 .

[484] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 191 .

[485] انظر الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 191 . البيت في الكامل للمبرد ، 68/2 ، والمستن : المنصب من استن الفرس ، الرباب : السحاب الأبيض ، الآبال : الجمال .

[486] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 191 .

[487] سورة التوبة [123]

[488] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 260 .

[489] سورة التوبة [80]

[490] المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص 119 .

واستعمال السّبعين للدّلالة على الكثرة، والمعنى أنّ الله لا يغفر لهم و إن استغفرت بكلّ الأعداد دائما. فالعدد سبعة شاع استعماله عند العرب كثيرا للمبالغة في العدد فهو عدد كامل، لأنّ العدد أزواج وأفراد، و اثنان أوّل الأزواج ، وأربعة زوج ثان ، و الثلاثة أوّل الأفراد ، و الخمسة فرد ثان، فجمع الزّوج الأول مع الفرد الثاني ناتجه نفسه جمع الزوج الثاني مع الفرد الأوّل و هو العدد سبعة. وهذه الخاصية لا توجد إلاّ في العدد سبعة .[491]

4 ـ الجزئية : وهي كون المذكور ضمن شيء آخر . كقوله تعالى : ﴿ لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾[492]، ولا تقم فيه أي لا تصلّ .[493] وكقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[494] ، قال الفارسي : « جعله على المجاز أذنا لأجل إصغائه ، قال : ولو صغّرت أذنا هذه التي في الآية ، كان في لحاق التاء فيها وتركها نظر »[495] .

وقوله تعالى : ﴿ وَيقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾[496] عند ابن قتيبة يقبل كل ما بلغه ، والأصل أنّ الأذن هي السامعة ، فقيل لكل من صدّق بكل خبر يسمعه : أذنٌ، ومنه يُقال : آذنتك بالأمر فأذنت ، كما تقول : أعلمتك فعلمت ، إنما هو أوقعته في أذنك .[497]

---

[491] محي الدين درويش ، إعراب القرآن وبيانه ، ص 302 .

[492] سورة التوبة [108]

[493] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 190 .

[494] سورة التوبة [61]

[495] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 266 .

[496] سورة التوبة [61]

[497] أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص 182 .

وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾[498] ، والمراد منعهم من الحج وحضور مواضع النسك .[499]

5 ـ اللازمية : وهي كون الشيء يجب وجوده عند وجود شيء آخر.كقوله تعالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[500]، النسيان في هذا المقام غير وارد ، فهو بالنسبة للمنافقين مسقط التّكليف عنهم ، وهو بالنّسبة إليه تعالى مستحيل، فهو مجاز مرسل و العلاقة اللاّزمية . و المراد لازم النّسيان ، وهو التّرك ، أي أنّهم أغفلوا ذكر الله فتركهم من رحمته وفضله .

6 ـ الملزومية : وهي كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر .

7 ـ الآلية : وهي كون الشيء واسطة لإيصال أثر شيء إلى آخر .

8 ـ الحالية : وهي كون الشيء حالا في غيره . كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[501] ، و نزلت هذه الآية في بعض المنافقين الذين استأذنوا الرسول ﷺ في التخلف عن غزوة تبوك من دون أن يبدوا عذرا يمنعهم من الغزو، وصرحوا أنّ الخروج للغزو يفتنهم لمحبة أموالهم وأهليهم ، ففضح الله أمرهم بأنّهم منافقون . والسقوط في الآية مستعمل مجازا مرسلا علاقته الحالية ، فأطلق الحال وأريد المحلّ ، لأنّ الفتنة لا يسقط فيها الإنسان ، لأنّها معنى من المعاني، وإنّما يحلّ في مكانها. فهم كالساقط في هوّة على حين ظنّ أنّه ماشٍ في طريق سهل .

---

[498] سورة التوبة [28]

[499] أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص 267 .

[500] سورة التوبة [67]

[501] سورة التوبة [49]

8 ـ الإطلاق : وهو كون الشيء مجردا من القيود . كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[502]، فالذوق مجاز مرسل في الحس بعلاقة الإطلاق . وفي قوله تعالى : ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا ﴾[503]، أي الذين وليس الذي . وهو إطلاق اسم الخاص وإرادة العام .[504]

و كقوله تعالى : ﴿ وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[505]، الطعن حقيقته خرق الجسم بشيء محدد كالرمح ، ويستعمل مجازا بمعنى الثلب ، والنسبة إلى النقص ، بتشبيه عرض المرء ، الذي كان ملتئما غير منقوص ، بالجسد السليم . فإذا أظهرت نقائصه بالثلب والشتم ، شبه بالجلد الذي أفسد التحامه .[506]

وكقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[507] ، لما قال : بشّر هؤلاء بالجنة ، قال : بشّر هؤلاء بالعذاب ، والبشارة ، إنما تكون في الخير لا الشر . و في هذا إطلاق اسم الضدين على الآخر .[508]

---

[502] سورة التوبة [35]
[503] سورة التوبة [69]
[504] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 271 .
[505] سورة التوبة [12]
[506] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 129 .
[507] سورة التوبة [34]
[508] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 283 .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[509]، إضافة الفعل ﴿ زَادَ﴾ إلى ما ليس بفاعل له في الحقيقة ، لأنه سببه .[510]

بلاغـــة الكناية :

تعريف الكناية :

الكناية مظهر من مظاهر البلاغة ، والسر في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها ، كما أنها تضع لك المعاني في صورة المحسَّات ، وتجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحا ملموسا . ومن أوضح ميزات الكناية التعبير عن القبيح بما تسيغ الآذان سماعه ، فقد كان العرب يعبرون عمّا لا يحسن ذكره إلاّ بالكناية . كنا يعدها عبد القاهر الجرجاني من مقتضيات النظم .[511]

والكناية في اصطلاح أهل البلاغة ، لفظ أطلق وأريد به لازم معناه الحقيقي الصرف ، مع جواز إرادة ذلك المعنى . والفرق بينها وبين المجاز من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمه . وفرق السكاكي وغيره بينهما بوجه آخر غيرها ، وهو أن مبني الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم ، ومبني المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم .[512]

يقول الزركشي : « اعلم أن العرب تعد الكناية من البراعة والبلاغة ، وهي عندهم أبلغ من التصريح . والكناية عن الشيء ، الدلالة عليه من غير تصريح باسمه . وهي عند أهل البيان ، أن يريد

---

[509] سورة التوبة [124]

[510] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 292 .

[511] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 393 .

[512] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 225 .

المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا بذكره باللفظ الموضوع له من اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه و رديفه في الوجود ، فيومي به إليه ، ويجعله دليلا عليه ، فيدل على المراد من طريق أولى »[513]

وقد اختلف في أنها حقيقة أو مجاز كالخلاف في المجاز ، فمن أجاز وجود المجاز أجاز الكناية ، ومن أنكر ذلك أنكر هذا . وصرّح الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) ، بأن الكناية لا بدّ لها من قرينة .

يقول الزركشي: « وإذا نظرت إليها وجدت حقيقتها ومحصول أمرها أنها إثبات لمعنى، أنت تعرف ذلك المعنى من طريق المعقول دون طريق اللفظ . ألا ترى أنك لما نظرت إلى قولهم (هو كثير رماد القدر) عرفت منهم أنهم أرادوا أنه كثير القرى والضيافة ...إنه كلام قد جاء عنهم في المدح .» [514]

أقسام الكناية :

1 ـ التنبيه على عظم القدرة .

2 ـ فطنة المخاطب .

3 ـ ترك اللفظ إلى ما هو أجمل منه .

4 ـ أن يفحش ذكره في السمع ، فيكنى عنه بما لا ينبو عنه الطبع .

5 ـ تحسين اللفظ. كقول عنترة :

فَشَكَكْتُ بِالرُمْحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ لَيْسَ الكَرِيمُ على القَنَا بِمحـــرَّمِ [515]

6 ـ قصد البلاغة .

7 ـ قصد المبالغة في التشنيع .

---

[513] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 301 .

[514] دلائل الإعجاز ، للجرجاني ، ص 431 .

[515] انظر بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 307 . والبيت من المعلقة ، بشرح التبريزي .

8 ـ التنبيه على المصير .

9 ـ قصد الاختصار ، ومنه الكناية عن أفعال متعددة بلفظ فعل .

10 ـ أن يعمد إلى جملة ورد معناها على خلاف الظاهر .

وفي قوله تعالى :﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[516]، وإحاطة جهنّم مراد منها عدم إفلاتهم منها والمراد بهم كل الكافرين ، فالإحاطة كناية عن عدم الإفلات .

وفي قوله تعالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[517] ، الكناية عن الشحّ في قوله تعالى : ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾.

وفي قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[518]، الضحك كناية عن الفرح أو أريد ضحكهم فرحا. والبكاء كناية عن حزنهم في الآخرة ، والأمر بالضحك والبكاء مستعمل في الإخبار بحصولهما قطعا . والمعنى أنّ فرحهم زائل وأنّ بكاءهم دائم ، و ما كانوا يكسبون هو أعمال نفاقهم . وفي قوله تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [519] ، كني بنفي الهداية عن نفي حصول الغرض من العمل ، والمعنى : والله لا يقبل من القوم المشركين المنافقين أعمالهم .[520]

---

[516] سورة التوبة [49]

[517] سورة التوبة [67]

[518] سورة التوبة [82]

[519] سورة التوبة [19]

[520] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 147 .

وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ24﴾ [521]، قد أفاد التعبير ب﴿ أَحَبَّ﴾ التفضيل في المحبة الذي يقتضي إرضاء الأقوى من المحبوبين ، ففي هذا التعبير تحذير من التهاون مسبّبا على تقديم محبة تلك العلائق على محبة الله ، ففيه إيقاظ إلى ما يؤول إليه ذلك من مهواة في الدين ، وهذا من أبلغ التعبير .[522]

وفي قوله تعالى : 52﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [523] ، كناية عن تقوية حصول المتربَّص، لأنّ تقوية التربّص تفيد قوة الرجاء في حصول المتربّص فتفيد قوة حصوله .[524]

بلاغـــة التعريض :

والتعريض هو أن يعرض بالشيء ولا يصرح به [525]، كقول بشار :

وَإِذَا مَا التَقَى ابْنُ نُهْيا وبَكْرٌ ذَاد فِي ذَا شِبْر وفِي ذَاكَ شِبْرُ [526]

أراد أنهما يتبادلان . والتعريض عند الزركشي هو : « الدلالة على المعنى من طريق المفهوم ، وسمي تعريضا لأن المعنى باعتباره يفهم من عرض اللفظ ، أي من جانبه ، ويسمى التلويح ، لأن المتكلم يلوح

[521] سورة التوبة [24]
[522] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 153 .
[523] سورة التوبة [52]
[524] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ،ص 225 .
[525] أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 290 .
[526] انظر أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 290 .

منه للسامع ما يريده . ومن أقسامه أن يخاطَب الشخص والمراد غيره ، سواء كان الخطاب مع نفسه ، أو مع غيره . »[527]

وتكمن بلاغة التعريض في كونه يتضمن إعلام السامع على صورة لا تقتضي مواجهته بالخطاب المنكر ،كأنك لم تعنِهِ ، وهو أعلى في محاسن الأخلاق ، وأقرب للقبول ، وأدعى للتواضع .[528]

وفي قوله تعالى : ﴿ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[529] ، تعريض بأنه الإيمان الصوري غير الحق ، لأنهم أظهروا الإيمان فقط ولم يقع حقيقة .[530]

[527] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 311 .
[528] المصدر السابق ، ص 313 .
[529] سورة التوبة [66]
[530] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 252 .

المبحث الثالث : علم البديع وأسراره البلاغية

تمهيـــد :

هو علم يعرف به وجوه التحسين ، وهي أساليب و طرق معلومة لتزيين الكلام و تميقه. وتحسين الكلام بعلم البديع عرضي ، ووجوه التحسين إما معنوية ، وإما لفظية . فالبديع المعنوي ، هو الذي وجبت فيه رعاية المعنة دون اللفظ ، فيبقى مع تغيير الألفاظ . والبديع اللفظي ، هو ما رجعت وجوه تحسينه إلى اللفظ دون المعنى ، فلا يبقى الشكل إذا تغيراللفظ . وقد أجمع علماء البلاغة على أن هذه المحسنات خصوصا اللفظية منها ، لا تقع موقعها من الحسن ، إلاّ إذا طلبها المعنى فجاءت عفوا بدون تكلف .[531]

وقد وضح العلوي مكانة علم البديع، فقال : « اعلم أن هذا الفن من التصرف في الكلام مختص بأنواع التراكيب ، ولا يكون واقعا في المفردات ، وهو خلاصة علمي المعاني والبيان و مصاص سكّرهما. وعلم البديع هو تابع للفصاحة والبلاغة، فإذن هو من صفو الصفو و خلاص الخلاص .[532] واعتبر العلامة ابن عاشور علم البديع أقصى حدود البلاغة ، فقال : « وتفنن المحسنات البديعية المعنوية واللفظية ونحو ذلك ، كان ذلك من الحدود القصوى في البلاغة ، فذلك وجه من وجوه الإعجاز .»[533]

---

[531] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 298 .

[532] يحي بن حمزة العلوي ، الطراز ، ص 560 .

[533] أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 68 .

1 ـ المحسنات المعنوية :

بلاغـــة الطباق :

تعريف الطباق :

وهو المطابقة أيضا ، والتضاد ، وهو الجمع بين المتضادين ، أي معنيين متقابلين في الجملة ، ويكون ذلك مّا بلفظين من نوع واحد ، ومّا بلفظين من نوعين. والطباق قد يكون ظاهرا ، وقد يكون خفيّا نوع خفاء ، وهو ينقسم إلى طباق الإيجاب وطباق السلب.[534]

وإيهام التضاد وهو القسم الثالث ، وهو أن يوهم لفظ الضدّ أنّه ضدّ مع أنّه ليس بضدّ . وبلاغة المطابقة لا يكفي فيها الإتيان بمجرد لفظين متضادين أو متقابلين معنى ، وإنما بأن ترشح بنوع من أنواع البديع يشاركها في البهجة والرونق .[535]

والطباق أن يجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل. وهو قسمان : لفظي و معنوي. كقوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [536] ، فقد طابق تعالى بين الضحك والبكاء وبين القليل والكثير.[537]

وكقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[538]

وكقول أبي الطيب المتنبي :[539]

ولقدْ عُرِفْتَ وما عُرِفْتَ حقِيقَةً ولقد جُهِلْتَ وما جُهِلْتَ خُمُولاً

---

[534] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 238 .

[535] عبد العزيز عتيق ، علم البديع ، ص 64 .

[536] سورة التوبة [82]

[537] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص456 .

[538] سورة التوبة [40]

[539] انظر الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص240 . والبيت في ديوانه ، 232/3 .

بلاغـــة المقابلة :

تعريف المقابلة :

يعد قدامة بن جعفر من أوائل من تكلموا عن المقابلة ، فقد ذكرها في معرض الحديث عن بعض الخصائص الأسلوبية التي تعلي من قيمة الشعر . والمقابلة أن تضع معاني تريد الموافقة بينها وبين غيرها، أو مخالفة فتأتي في الموافق بما وافق وفي المخالف بما خالف[540]. وهي من البديع المعنوي وهي أن تجمع بين متضادين[541]. وهي ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها ، وهي قريبة من الطباق ، وقد جعل ابن الأثير الطباق أحد أنواع المقابلة .[542]

والفرق بين المقابلة والمطابقة ، أنّ المطابقة لا تكون إلا بالجمع بين ضدين. أما المقابلة فتكون غالبا بالجمع بين أربعة أضداد ، وقد تصل إلى الجمع بين عشرة أضداد . والمطابقة لا تكون إلا بالأضداد، على حين تكون المقابلة بالأضداد وغير الأضداد ، ولكنها بالأضداد تكون أعلى رتبة ، وأعظم موقعا في النفس .[543] ومثالها من الشعر قول النابغة الجعدي :

فَتًى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَـــهُ على أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الأَعَادِيَـا [544]

يقول الزركشي : « واعلم أنّ في تقابل المعاني بابا عظيما يحتاج إلى فضل تأمّل ، وهو يتصل غالبا بالفواصل .»[545]

---

[540] ابن قيم الجوزية ، الفوائد ، ص149 .

[541] أبو هلال العسكري ، الصّناعتين ، ص 533 .

[542] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص458 .

[543] عبد العزيز عتيق ، علم البديع ، ص 67 .

[544] انظر أبو هلال العسكري ، الصّناعتين ، ص 330 . والبيت في ديوان الحماسة .

[545] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص462 .

ومن مقابلة اثنين باثنين ، قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[546] ، وفي الآية مقابلة الشيء بضده ،ألا ترى إلى صحة هذه المقابلة البديعة حيث قابل الله الضحك بالبكاء والقليل بالكثير .[547]

بلاغـــة التجريد :

تعريف التجريد :

هو محسن بديعي معنوي ، وهو أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمرا آخر مثله في تلك الصفة ، مبالغة في كمالها، في المنتزع منه ، حتى أنه قد صار منها بحيث يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر بها .[548] وهو عند الزركشي ، أن تعتقد أن في الشيء من نفسه معنى آخر ، كأنه مباين له ، فتخرج ذلك إلى ألفاظه بما اعتقدت ذلك ، كقولهم : لئن لقيت زيدا لتلقينّ معه الأسد ، فظاهر هذا أنّ فيه من نفسه أسدا ، وهو عينه .[549]

لكن ابن الأثير يعارض هذا القول ، فهو يرى أن قولك : (لئن لقيت فلانا، لتلقينّ منه كالأسد) ليس بتجريد ، لأن حقيقة التجريد غير موجودة فيه . وإنما هو تشبيه مضمر الأداة ، وليس ثمّ شيء مجرّد عنه .[550]

والتجريد عند ابن الأثير إخلاص الخطاب لغيرك ، وأنت تريد به نفسك ، لا المخاطب نفسَه . لأن أصله في وضع اللغة ، من (جردتُ السيفَ) إذا نزعته من غمده ، و(جردت فلاناً) ، إذا نزعتُ ثيابه ... وقد تأملته ، فوجدت له فائدتين : الأولى ، طلب التوسع في الكلام . والثانية ، وذاك

---

[546] سورة التوبة [82]

[548] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 256 .

[549] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص448 .

[550] ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر، ص 165 .

أنه يتمكن المخاطَب من إجراء الأوصاف المطلوبة من مدح أو غيره على نفسه ، إذ يكون مخاطِبا بها غيره ، ليكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله غير محجور عليه .[551]

كقول قتادة بن مسلمة الحنفي :

فَلَئِنْ بَقَيْتُ لأَرْحَلَــنَّ بِغَزْوَةٍ تَحْوِي الغَنَائِمَ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمُ [552]

وتقدير الكلام : أو يموت منّي كريم .

وكقول شهاب الدين أبو الفوارس :

إلاَمَ يَرَاكَ المجْـــدُ فِي زِيّ شاعِرِ وقَد نحَلَتْ شوْقًا فُرُوعُ المنَابِرِ

كتمْتَ بعيْبِ الشِّعْرِ حِلْمًا وحِكْمَةً بِبَعْضِهِمَا يَنْقَادُ صَعْبُ المفاخِـرِ

أمَا وأبِيكَ الخيْرُ إنَّما فَارِسُ الـــــــمَقَالِ ومُحْيِ الدِّراسَاتِ الغَوابِـرِ

وإنَّكَ أَعْيَيْتَ المسَامِعَ والنُّهَـــى بِقَوْلِكَ عمَّا فِي بُطُونِ الدَّفَاتِـــرِ [553]

فهذا من محاسن التجريد ، لأن الشاعر أجرى الخطاب على غيره ، وهو يريد نفسه ، كي يتمكّن من ذكر الصفات الفائقة ، وعدّ الفضائل التائهة .[554]

ومن أقسام التجريد : ما لا يكون بواسطة : كقوله تعالى : ﴿ وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾.[555]

---

[551] ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر، ص 159 / 160 .

[552] انظر الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 257 . البيت في ديوان الحماسة ، ص 139 .

[553] انظر ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر، ص 165 . والشاعر هو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي، المعروف بحيص بيص لأنه رأى الناس مرة في حركة مزعجة ، فقال : ما للناس في حيص بيص ؟ وهو الشاعر المعروف، الفقيه شافعي المذهب ، أجاد الأدب ونظم الشعر . توفي سنة 574 هـ .

[554] ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر، ص 166 .

[555] سورة التوبة [12]

2 ـ المحسنات اللفظية :

بلاغـــة التجنيس :

تعريف التجنيس :

الجناس من المحاسن اللفظية لا المعنوية ، وهو إمّا بأن تتساوى حروف الكلمتين ، وإمّا بزيادة في إحدى الكلمتين ، وإمّا بأن يختلف أحد الحرفين ، وإمّا في أن تشتبها في الخط لا اللفظ ، وفي السمع لقرب أحد المخرجين من الآخر.[556]

والجناس بين اللفظين تشابههما في اللفظ [557] ، كقول أبي تمام : [558]

مَا مَاتَ منْ كرمِ الزَّمانِ فإنَّهُ يَحْيَا لدى يَحْيَى بْن عبدِ اللهِ

فالجناس من نوعين اسم و فعل ، وهو مستوفي في اللفظتين يَحْيَا و يَحْيَى .

وتجانس البلاغة هو بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة، والتجانس على وجهين، مزاوجة ومناسبة . والتجنيس أن تأتي بكلمتين متجانستين : فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف حروفها ومعناها، ومنهم من زعم أنّ المجانسة أن تشترك اللفظتان على جهة الاشتقاق .[559]

ويرى عبد القاهر الجرجاني (471هـ) التجنيس في أنّك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلاّ إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما بعيدا .يقول : « فقد تبين لك أنّ ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلاّ بنصرة المعنى، إذْ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن ، ولما وجد فيه إلاّ معيب مستهجن ، ولذلك ذمّ الاستكثار منه والولوع به .»[560] .

---

[556] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص451 .

[557] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 271 .

[558] انظر الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 271 . البيت في ديوانه 123/2 .

[560] عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ، ص 11 .

وفي قوله تعالى : ﴿ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ ﴾[561]، الكلمات يجمعها أصل واحد في اللغة .[562]

و في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون ﴾[563]، جونس بالانصراف عن الذّكر صرف القلب عن الخير، و الأصل فيه واحد وهو الذهاب عن الشيء ، فأمّا هم فذهبوا عن الذكر وأمّا قلوبهم فذهب عنها الخير .[564]

بلاغـــة التفريع :

التفريع هو أن يثبت لمتعلق أمر حكم بعد إثباته لمتعلق له آخر . كقول الكميت :

أحْلاَمُكُم لسَقَامِ الجَهْلِ شَافِيَةٌ كَمَا دِمَاؤُكُـــم تَشْفِي مِن الكَلَبِ [565]

في هذا البيت فرّع الشاعر من وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل ، وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب .[566] أي فرع شيئا آخر من شيء موصوف لتشبيه شفاء هذا بشفاء هذا .

والتفريع أيضا من الاستطراد [567] وذلك أن يقصد الشاعر وصفا ما ، ثم يفرع منه وصفا آخر يزيد الموصوف توكيدا [568] . كقول ابن المعتز :

كَلاَمُهُ أَخْدَعُ مِنْ لَحْظِهِ وَوَعْدُهُ أَكْذَبُ من طَيْفِهِ [569]

فهو يصف خدع كلامه وفرّع منه خدع لحظه ، ويصف كذب وعده ، وفرّع كذب طيفه .

---

[561] سورة التوبة [38]

[562] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص452 .

[563] سورة التوبة [127]

[564] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 99 .

[564] أبو بكر الباقلاّني ، إعجاز القرآن ، ص126/127 .

[565] انظر الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 264 .

[566] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 264 .

[567] الاستطراد في الصناعتين ص 136 ، أن يأخذ المتكلم في معنى فبينما يمرّ فيه يأخذ في معنى آخر ، وقد جعل الأول سببا إليه .

[568] ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ج 2 ، ص 42 .

[569] انظر ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ج 2 ، ص 42 .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [570] تفريع على جملة ﴿ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾[571] ، فيتفرّع عن ذلك حالتان : التّوبة والإعراض عن الإيمان[572]. والخطاب للمشركين بأنّ الإيمان خير و نجاة لهم في الدّنيا والآخرة ، و الفعل تولّيتم يفيد معنى الاستمرار .

وفي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [573] تفريع على أفعال الأمر ﴿ اقْتُلُواْ ﴾،و﴿خُذُوهُمْ﴾ ،و﴿احْصُرُوهُمْ﴾ ،﴿ اقْعُدُواْ ﴾ فبذل المال للمسلمين أمارة صدق النيّة .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾[574]، ﴿إنّما﴾ كافّة مكفوفة . و عمارة المساجد رمّ ما استرمّ منها ، و تنظيفها ، و تنويرها و تعظيمها ، و تأثيثها . فحال الموصوفين بالإيمان بالله و اليوم الآخر، وإقام الصلاة ،وإتاء الزّكاة و خشية الله تعالى ، مرجوّة و العاقبة عند الله معلومة . و فرّع الله تعالى على وصف المسلمين بتلك الصّفات ، رجاء أن يكونوا من المهتدين اهتداءً قويّ الأمل ، ففي الآية تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا

---

[570] سورة التوبة [3]
[571] سورة التوبة [3]
[572] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 110 .
[573] سورة التوبة [5]
[574] سورة التوبة [18]

يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، جملة ﴿ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ تفريع على جملة ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ لما أوجبه الله على النّاس من تعظيم حرمتها ، بأن يتجنّبوا الأعمال السيّئة فيها . والضّمير هنّ عائد إلى الأربعة الحرم ، لأنّه أنسب بسياق التّحذير من ارتكاب الظّلم فيها.

تمهيـــــــــد :

لقد تنوعت المباحث البلاغية في آيات الرجاء في سورة التوبة بنفس التنوع الذي كان في آيات الخوف ، ولو أن الخوف قد نال الحظ الأوفر منه في آيات الرجاء . ويرجع السبب في ذلك حسب ما رأيت من خلال الدراسة ، إلى طبيعة السورة في حدّ ذاتها ، كونها نزلت في حق المنافقين المتخلفين عن الجهاد ، والمظهرين للإيمان في حين أنه لم يقع منهم في حقيقة الأمر.

و لأن الله تعالى الأعلم بعلمه الواسع بما يجوب في نفس الإنسان ، فإنه يعلم ما تخفيه الصدور والأنفس ، فكشف نفاق المنافقين ، وتبرّأ منهم في الدنيا والآخرة ، ووعدهم بسوء الدار ، دار جهنم . كما استعمل من الأساليب ما يبعث في النفس الترهيب أكثر من الترغيب ، عندما فضحهم وكشف أسرارهم ، وما يجعل المؤمن يستبشر خيرا و يتوب إلى الله ، ويتوخى المنزلة الحسنة عنده ، عندما تاب تعالى على المؤمنين ، وجعل الجنة مأواهم في الآخرة برضوانه جلّ وعلا و برحمته التي وسعت كل شيء .

وسأتناول بإذن الله تعالى المباحث البلاغية لآيات الرجاء ، بنفس المنهجية التي قد تناولت بها المباحث البلاغية لآيات الخوف ، لأكشف عن أسرارها البيانية ، وأستجلي معانيها القوية التي أعجزت كل من وقف أمامها متدبرا خاشعا . كما سأكتفي بالجانب التطبيقي فقط لجميع المباحث ، لأنني اعتمدت التنظير في الفصل الثاني. وسأنظّر للمباحث التي لم أتناولها ، حسب ما اقتضته طبيعة البحث ، و سياق الآيات .

المبحث الأول : علم المعاني وأسراره البلاغية

تمهيـــــد :

إنك لتقف عاجزا أمام روعة المعاني في آيات الرجاء ، فترى من النظم ما يكاد يكون نسقا واحدا في ترتيب للمعاني وفق ترتيب للألفاظ . ولهذه الألفاظ مزايا ظهرت في نظم القرآن ، و خصائص في سياق لفظه ، و بدائع في آيه ومقاطعها ومواقعها ، و في مساق كلّ خبر ، وصورة كلّ تنبيه ، وتذكير، وترغيب ، وترهيب ، مع الحجّة و البرهان. فلا ترى فيه لفظة غيرها أصلح ، فالكلم متّسق و ملتئم و متقن و محكم.

فكان فيها من نظم يقتضي اقتفاء آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتّب المعاني في النّفس. و الغرض بنظم الكلم تناسق دلالتها على الوجه الذي يقتضيه العقل، و إن كان موجودا في الألفاظ على كلّ حال .يقول عبد القاهر الجرجانيّ : « اعلم أن ليس النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله ، و تعرف مناهجه التي نُهجت فلا تُزيغ عنها، وتحفظ الرّسوم التي رُسمت لك ، فلا تُخلّ بشيء منها . فتنظر في الحروف وفي الجمل ، وتتصرّف في التّعريف والتّنكير ، والتّقديم والتّأخير، وفي الحذف والتّكرار والإضمار والإظهار.»[575]

[575] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 81 .

بلاغـــة الخبر :

في قوله تعالى :﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [576]، تمهيد لذكر التّوبة على الذين تخلّفوا عن الغزوة و كانوا صادقين في أيمانهم ، بالاستئناف الابتدائي، و إنباء الذين أضمروا الكفر نفاقا ، بأنّهم لا يتوب الله عليهم.وافتُتحت الجملة بحرف التّوكيد للاهتمام بالخبر ، وجيء بالمسند جملة فعلية لإفادتها معنى المضي، إشارة إلى أنّ ذلك أمر استقرّ من قبل، و أنّ الوعد متكرّر و معروف في الكتب السّماويّة .[577]

وفي قوله تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[578] ، التّبشير هو الإخبار بخير يحصل للمخبَر لم يكن عالما به . وإسناد التبشير إلى اسم الجلالة بصيغة المضارع المفيد للتجدد ، يدل على تعاقب الخيرات عليهم ، وتجدد إدخال السرور لهم، لأنّ تجدد التبشير يدل على أن المبشَر به شيء لم يكن معلوما للمبشَر.

فالمسند إليه هو لفظ الرب الخالق سبحانه و تعالى ، الرحيم الرفيق اللطيف بخلقه .والرضوان الرضا الكامل الشديد صيغة تشعر بالمبالغة مثل الغفران ، والشكران ، والعصيان . و أما الجنات فقد جمعت باعتبار مراتبها و أنواعها و أنواع النعيم فيها .[579]

---

[576] سورة التوبة [111]

[577] محي الدين درويش ، إعراب القرآن و بيانه ، ص 274 .

[578] سورة التوبة [22]

[579] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 149 .

بلاغـــة الإنشاء :

بلاغـــة الأمر :

الأمر في قوله تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[580]، تلقين جواب بإثبات عدم اكتراث المسلمين بالمصيبة ، وانتفاء حزنهم عليها ، لأنهم يعلمون أنّ ما أصابهم ما كان إلاّ بتقدير الله لمصلحة المسلمين في ذلك ، و أن لا يحزنوا لما يصيبهم لئلاّ يهنو و تذهب قوتهم ، و أن يرضوا بما قدر الله لهم ، و يرجوا رضى ربهم لأنّهم واثقون بأنّ الله يريد نصر دينه. وجملة ﴿ هُوَ مَوْلاَنَا ﴾ فيها الرجاء بأن لا يكتب لنا إلاّ ما فيه خيرنا آجلا أو عاجلا .[581]

بلاغـــة الاستفهام :

في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[582] الاستفهام إنكاري ، بتنزيل السّامع منزلة من يجعل هذا الوعد محتملا الوفاء و عدمه . و﴿ مَنْ﴾ تفضيلية للابتداء المجازي ، و ذكر اسم الجلالة عوضا عن الضّمير لإحضار المعنى الجامع لصفات الكمال .[583]

وفي قوله تعالى :﴿ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[584]، الاستفهام تقريري ، للتذكير بأمر معلوم جرى نسيانه .[585]

---

[580] سورة التوبة [51]

[581] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 223 .

[582] سورة التوبة [111]

[583] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج11 ، ص 37 .

[584] سورة التوبة [104]

[585] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، الجزء 11 ، ص 24 .

بلاغـــة المسند و المسند إليه :

ومن أحوالهما الذكر ، والحذف ، والتعريف ، والتنكير ، والتقديم ، والتأخير . ويأتي المسند بعد المسند إليه ، لأن المسند محكوم به ، والمسند إليه محكوم عليه .[586]

المجاز :

يقول عبد القاهر الجرجاني : « وأمّا المجاز ، فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز . وإن شئت قلت : كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له ، من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز .»[587]

إنّ الكلام الذي يوصف بالبلاغة هو الذي يدلّ على معناه اللّغوي ، ثمّ تجد لذلك المعنى دلالة ثانية يريد من خلالها المتكلّم إثبات أو نفي المعنى المقصود . وبالتّالي هناك معان أُوَل هي أصل المعنى في علم النّحو، وهي مدلولات الألفاظ ، وهناك معان ثوان هي الأغراض البلاغية التي يساق لها الكلام بمعنى مقتضى الحال . وأهمّ دليل قضية الإسناد .

ويتركّب الكلام من نثر و نظم ، من مسند وهو المحكوم به ، ومسند إليه وهو المحكوم عليه، والنّسبة بينهما هي الإسناد. والإسناد هو انضمام كلمة إلى أخرى للحكم على ثُبوتها أو نفيها ، وهو قسمان : حقيقة عقلية تتمثّل في إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ما وضع له ، ومجاز عقليّ أو الإسناد المجازي ، وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما وُضع له لقرينة مانعة من إرادة الإسناد إلى ما هو له.[588]

---

[586] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 99 / 131 .
[587] عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 260 .
[588] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 53 .

فقولك مثلا : ما نام ليلي، فيه إثبات للنّفي لا نفي للإثبات ، وهنا الإسناد، وهنا أيضا المجاز العقليّ، لأنّك أسندت الفعل لغير ما وُضع له، و لا بُدّ في ذلك من قرينة مانعة لإرادة المعنى . وتكون إمّا لفظية أو معنويّة ، يستحيل فيها قيام المسند بالمسند إليه عقلا. ولا بُدّ للمجاز العقليّ من من فاعل يعرف الإسناد إليه حقيقة .[589]

والمسند إمّا خبر للمبتدأ ، أو فعل تامّ ، أو اسم فعل ، أو ناسخ ، أو مفعول ثان لظنّ وأخواتها أو مصدر نائب عن فعل الأمر. أمّا المسند إليه فهو فاعل لفعل تامّ ، أو اسم لناسخ ، أو مبتدأ له خبر ، أو المفعول الأوّل لظنّ وأخواتها ، أو نائب فاعل . يقول الجرجانيّ : « أو تتوخّى في كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفيا أو استفهاما أو تمنّيا فتُدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك .»[590]

فالخبر أصل في معاني الكلام في النّفي والإثبات ، فلا خبر دون مُخبَر به ومخبَر عنه ، وهو ينقسم إلى إثبات ونفي ، والإثبات يقتضي مثبتا به ومثبتا له، والنّفي يقتضى منفيّا ومنفيّا عنه. لذلك أن يكون القصد إلى فعل من غير إسناده إلى مقدّر معيّن وظاهر. وإذا كان الخبر وجميع الكلام معان يُنشئها الإنسان بين النّفس والعقل ، فهي مقاصد وأغراض .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ ﴾[591] ، الإيتاء الإعطاء ، وحقيقته إعطاء الذوات ، ويطلق مجازا على تعيين المواهب .

---

[589] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 59.

[590] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 55.

[591] سورة التوبة [59]

وإيتاء الرسول الكريم إعطاؤه المال لمن يرى أن يعطيه مما جعل الله له التصرف فيه ، مثل النفل في المغانم ، والسلَب ، والجوائز ، والصلات ، ومنه إعطاؤه من جعل الله لهم الحقّ في الصدقات .[592]

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[593] ، المراد قربة ، وجمعت باعتبار تعدّد الإنفاق ، فكل إنفاق هو قربة عند الله تعالى لأنه يوجب زيادة القرب . وهي مستعملة مجاز في رضى الله و رفع الدرجات في الجنة . ولأنّ الجنة تشبه بدار الكرامة عند الله ، ف ﴿ عِندَ ﴾ مجاز في التشريف والعناية .[594]

بلاغـــة المجاز العقلي :

تعريف المجاز العقلي :

المجاز العقلي هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه ، لضرب من التأويل ، إفادة للخلاف لا بوساطة وضع . ويسمى مجازا لتعدي الحكم فيه عن مكانه الأصلي عند العقلاء .ويسمى عقليا لا لغويا ، لعدم رجوعه إلى الوضع ، وكثيرا ما يسمى حكميا لتعلقه بالحكم، ومجازا في الإثبات أيضا لتعلقه بالإثبات . وليس من واجبات هذا المجاز أن يكون مكان الحكم الأصلي فيه معلوما بنفس العقل ، بل إن استعان في علمه بذلك بأمر غير الوضع ، لكن الأليق إطلاق اسم العقلي على الأول ، واسم الحكمي والإثباتي على الثاني .[595]

---

[592] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 233 .

[593] سورة التوبة [99]

[594] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 11 ، ص 15 .

[595] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 506 .

ومن صور المجاز العقلي، أن يكون المحكوم به حقيقة وضعية ، والمحكوم له مجازا وضعيا كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [596]، فإسناد الفعل إلى غير ما هو له عند العقل زائل الحكم العقلي فيه عن مكانه الأصلي ، إذ المكان الأصلي إسناد زيادة الإيمان إلى العلم بالآيات . و هذا المجاز الحكمي كثير الوقوع في كلام ربّ العزّة .[597] وأما الحقيقة العقلية ، وتسمى حكمية أيضا و إثباتية ، فهي الكلام المفاد به ما عند المتكلم من الحكم فيه .[598]

بلاغـــة التعريف و التنكير :

اهتم القدماء من النحاة العرب بالعرض للقضايا اللغوية المتصلة بالنكرة و المعرفة، و من أشهرها ما يسمى بـ (الأصل و الفرع) وانتهوا إلى أن النكرة أصل و المعرفة فرع . واهتم علماء البلاغة بهما في ضوء النظر في الأداء اللغوي مع الربط بالجمال داخل النص نفسه ، لأن التعبير بالنكرة قد يكون أبلغ من التعبير بالمعرفة و ربما العكس .

وقد وضح يحيى بن حمزة العلوي الفرق بين المعرفة والنكرة ، فقال : « المعرفة مادلت على شيء بعينه، والنكرة مادلت على شيء لا بعينه »[599] . فكلاهما عكس الآخر.

---

[596] سورة التوبة [124]

[597] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 508 .

[598] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 510 .

[599] يحيى بن حمزة العلوي ، الطراز ، ص 208 .

بلاغـــة التعريف :

في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [600]،﴿ دَرَجَةً ﴾ لرفع المقدار، فرفعة مقدارهم رفعة رضا من الله ،و لأن أصل ﴿ عِندَ ﴾ أنها ظرف للقرب . وتعريف المسند و هو ﴿ الْفَائِزُونَ ﴾ باللام يفيد القصر و المبالغة في عظم الفوز .[601]

بلاغـــة التنكير :

أما الأغراض التي تستفاد من التنكير، فإنما تستفاد من السياق لا من التنكير، وحده السياق هو الذي يدل على المراد من هذا التنكير، فهو الذي يرشد إلى الأغراض الكثيرة حين التأمل فيه . وهذا لا ينطبق فقط على النكرة ، بل يتخطاه إلى كل علوم العربية ، فالسياق هو الذي يحدد الغرض و المطلوب . وللتنكير أسباب ، منها إرادة الوحدة ، والنوع ،و التعظيم، والتكثير ، و التحقير و التقليل .

ومثال التقليل والتعظيم والتهويل بالتنكير في المسند إليه ، قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[602] ، فجملة ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ﴾ ، أي رضوان قليل من بحار رضوان الله الذي لا يتناهى ، أكبر من الجنات ، لأن رضا المولى رأس كل سعادة [603] .

---

[600] سورة التوبة [20]

[601] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 149/148.

[602] سورة التوبة [72]

[603] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج4 ، ص 93 .

دون أن يقول رضوان الله ، قصدًا إلى إفادة : وقدر يسير من رضوانه خير من ذلك كله ، لأن رضاه سبب كل سعادة وفلاح .[604]

وفي قوله تعالى:﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ [605] التّنكير في ﴿ بِرَحْمَةٍ ﴾، و﴿ رِضْوَانٍ ﴾، و﴿ جَنَّاتٍ ﴾، و﴿ نَعِيمٌ﴾ لتعظيم المقام وذلك التّنكير بالمبشّر به. و الإتيان باسم الإشارة للتّنبيه على أنّهم استحقّوا الفوز لأجل تلك الأوصاف التي ميّزتهم : وهي الإيمان و الهجرة ، و الجهاد بالأموال و الأنفس .

وتنكير﴿ رِضْوَانٌ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[606] للتّنويع ، يدلّ على جنس الرّضوان ، و لم يُقرن بلام التّعريف للجنس ، للتوسّل بالتنكير إلى الإشعار بالتّعظيم لأنّ رضوان الله أعظم .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [607] ، تنكير الاسم ﴿ قُرْبَةٌ ﴾ لعدم الداعي للتعريف ، ولأن التنكير قد يفيد التعظيم .[608]

---

[604] أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 289 .
[605] سورة التوبة [21]
[606] سورة التوبة [72]
[607] سورة التوبة [99]
[608] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، الجزء 11 ، ص 16 .

بلاغـــة التقديم والتأخير :

وفي أنواعه إمّا أن يقدّم و المعنى عليه ، أو يقدّم وهو في المعنى مؤخر ، أو بالعكس. ومن مقتضيات ما قدّم والمعنى عليه الشرف ،ومنه الشرف بالفضيلة،ومنه تقديم﴿ الْمُهَاجِرِينَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [609].

ومنه تقديم الأنفس على الأموال [610] ، في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [611] .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[612] ثلاث آيات ، في الأولى أخّر الرضا على الرضوان وأخبر بالوعد ، و في الثالثة قدّم الرضا على الرضوان وأخبر بالإعداد.[613]

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ ﴾[614] ، تقدم المجرور لإفادة القصر، أي إلى الله راغبون لا إلى

---

609 سورة التوبة [117]

610 بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص 256.

611 سورة التوبة [111]

612 سورة التوبة [72]

613 بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص 264 .

614 سورة التوبة [59]

غيره، والكلام على حذف مضاف ، تقديره : إنّا راغبون إلى ما عينه الله لنا لا نطلب إعطاء ما ليس من حقّنا .[615]

وفي قوله تعالى :﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[616]، تقدم المسند إليه على خبره الفعلي و قد وقع جملة فعلية ، للتقوية و التأكيد .[617]

بلاغـــة الحذف :

ومن أقسام الحذف أيضا الحذف المقابلي. وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان ، فيحذف من واحد منهما مقابله ، لدلالة الآخر عليه . ومنه في قوله تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[618]، فأصل الكلام خلطوا عملا صالحا بسيّء، وآخر سيئا بصالح، لأن الخلط يستدعي مخلوطا ومخلوطا به، أي تارة أطاعوا وخلطوا الطاعة بكبيرة ، وتارة عصوا وتداركوا المعصية بالتوبة .[619]

بلاغـــة التقييد :

تعريف التقييد :

التقييد هو وصف للحكم ، فإذا زيد في الجملة على ذكر المسند إليه والمسند شيء مما يتعلق بهما أو بأحدهما ، فالحكم مقيد ، والتقييد يكون حينما يتعلق الغرض بتقييده بوجه مخصوص ، بحيث لو حذف القيد ، لكان الكلام كذبا ، أو غير مقصود . واعلم أنّ معرفة خواص التراكيب وأسرار

---

[615] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج3، ص 234 .
[616] سورة التوبة [100]
[617] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، الجزء 11 ، ص 18 .
[618] سورة التوبة [102]
[619] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص131.

الأساليب ، وما فيها من دقيق الوضع ، وباهر الصنع ، ولطائف المزايا، يسترعي لبك إلى أن التقييد بأحد الأنواع الآتية ، يكون لزيادة الفائدة ، وتقويتها عند السامع ، فالمعروف أن الحكم كلما ازدادت قيوده ازداد إيضاحا وتخصيصا ، وحينئذ تكون فائدته أتم وأكمل .[620]

والتقييد يكون بالتوابع ، وضمير الفصل ، والنواسخ ، وأدوات الشرط والنفي ، والمفاعيل الخمسة ، والحال والتمييز . ففي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[621]، أتى الله تعالى بضمير الفصل ﴿ هُوَ﴾ للتخصيص .وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[622]، أتى بضمير الفصل لتأكيد التخصيص .[623]

وفي قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[624] ، التعليل للأمر بالاستقامة، وموقع ﴿ إِنَّ﴾ أولها ، للاهتمام وهو مؤذن بالتعليل ، لأن ﴿ إِنَّ﴾ في مثل هذا تغني غناء فاء ، وقد أنبأ ذلك التعليل، أنّ الاستقامة لهم من التقوى ، وإلاّ لم تكن مناسبة للإخبار بأنّ الله يحب المتقين، عقب الأمر بالاستقامة لهم . ولأن في الاستقامة لهم حفظا للعهد الذي هو من قبيل اليمين .[625]

---

[620] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ص 141 .
[621] سورة التوبة [104]
[622] سورة التوبة [118]
[623] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ص 149 .
[624] سورة التوبة [7]
[625] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 123 .

بلاغـــة الأفعال :

تعدية الفعل :

في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[626] ، الأعراب هم أعراب أسد ، و غطفان ، وتميم . و قربات مفعول به ثان للفعل ليتّخذ والمعنى أنّ ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله ، أمّا صلوات الرسولﷺ فلأنه كان يدعو للمتصدّقين بالخير و البركة و يستغفر لهم .

بلاغـــة الفعل « عسى » :

يقول أبو الطيب اللغوي : « الفعل (عسى) من الأضداد ، قال أبو حاتم وقطرب : عسى تكون شكّا مرة ، ويقينا أخرى . و(عسى) في القرآن واجبة من الله ، وكل ما في القرآن من ذلك فهو واجب من الله عزّ وجلّ »[627]. قال أبو عبيدة ، ومنه قول ابن مقبل :

ظَنّي بِهِمْ كَعَسَى وَهُمْ بِتَنُّوفَـــــــــــــةٍ يَتَنَازَعُون جَوَائِـــــــزَ الأَمْثَالِ [628]

أي ظني بهم كيقين . وكقول هدبة بن خشرم العذري مما جاء في الشك في معنى لعلّ :

عَسَى الكَرْبُ الذِي أَمْسَيْتُ فِيه يَكُونُ وَرَاءَهُ فَـــــــــــرَجٌ قَرِيبُ [629]

---

[626] سورة التوبة [99]

[627] أبو الطيب اللغوي ، الأضداد في كلام العرب ، ص 307 ..

[628] انظر أبو الطيب اللغوي ، الأضداد في كلام العرب ، ص 307 .

[629] انظر أبو الطيب اللغوي ، الأضداد في كلام العرب ، ص 307 . والشاعر إسلامي ، والبيت من قصيدة له قالها في سجنه في المدينة ، وكان أصاب دم رجل من قومه يقال له زيادة بن زيد . مطلعها :

طَرِبتَ وأَنتَ أحْيَانًا طَرُوبُ وكيفَ وقـــــــــدْ تَعَلاَّكَ المَشِيبُ

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [630] ، ﴿ عَسَى ﴾ من الله واجبة بناءً منهم على أنّ استعمالها غير مصروفة للمخاطبين ، و لكنّ الخطاب مصروف إليهم . و الذين آمنوا و ضمّوا إلى إيمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية و التقوى،اهتداؤهم دائر بين عسى و لعلّ ، و في هذا الكلام ترجيح الخشية على الرجاء للمؤمنين و رفض الاغترار بالله تعالى.[631]

بلاغـــة القصر :

والقصر في قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [632]،للإشارة إلى وعد الله ،والقصر حقيقيّ باعتبار الوصف .وهذه الآيات الثلاثة موضوعها واحد ،وهو إدخال المؤمنين جنّات النّعيم يوم القيامة ، و نيلهم رضوان الله ، فكانت وحدة الموضوع و اختلاف التعبير.

بلاغـــة العطف :

ينقسم العطف إلى عطف المفرد على مثله ، وعطف الجمل .

1 ـ عطف المفرد :

وتكمن بلاغته في تحصيل مشاركة الثاني للأول في الإعراب ، ليعلم أنّه مثل الأول في فاعليته أو مفعوليته ، ليتصل الكلام بعضه ببعض ، أو حكم خاص دون غيره .

---

[630] سورة التوبة [18]

[631] جار الله الزمخشري ، الكشاف ، ج 2 ، ص255 .

[632] سورة التوبة [72]

ك﴿الأَنصَارِ﴾[633] معطوفة على﴿ السَّابِقُونَ﴾[634] التي ارتفعت بالابتداء.والسابقون الأوّلون من المهاجرين هم الذين صلوا إلى القبلتين ، وقيل الذين شهدوا بدرا، والسابقون الأوّلون من الأنصار هم أهل العقبة الأولى السبعة ،وأهل العقبة الثانية و هم سبعون ، والذين آمنوا حين قدم عليهم زرارة مصعب بن عمير فعلّمهم القرآن .[635]

2 ـ عطف الجملة :

قال صاحب المستوفي من النحويين : « و أمّا عطف الجملة ، فإن كانت الأولى لا محل لها من الإعراب فكما سبق ، لأنها تحلّ محلّ المفرد ، نحو مررت برجل خَلْقه حسن ، وخُلقُه خبيث . وإن كان لا محل لها من الإعراب ، نحو زيد أخوك وعمرو صاحبك ، ففائدة العطف الاشتراك في مقتضى الحرف العاطف . فإن كان العطف بغير الواو، ظهر له فائدة من التعقيب كالفاء ، أو الترتيب ك (ثمّ) ، أو نفي الحكم عن الباقي ك (لا) »[636] .

وقد تسقط الواو في الخط ، واللفظ ليس للجزم ، بل سقوطه من اللفظ لالتقاء الساكنين ، وفي الخط إتّباع للفظ . والدليل على أنها ابتداء إعادة الاسم ، كقوله تعالى : ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[637]، فالواو التي سبقت الفعل ﴿ يَتُوبُ ﴾ للاستئناف، إذ لو كانت للعطف ، لجُزِم الفعل .[638]

---

[633] سورة التوبة [100]

[634] سورة التوبة [100]

[635] جار الله الزمخشري ، الكشاف ، ص 304 ..

[636] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 4 ، ص 102 .

[637] سورة التوبة [15]

[638] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 4 ، ص 104 .

وللجملة ثلاثة أحوال : فالأول أن يكون ما قبلها بمنزلة الصفة من الموصوف ، والتأكيد من المؤكد ، فلا يدخلها عطف لشدّة الامتزاج .

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[639] ، فإنها بيان للأمر بالصلاة .[640]

وينقسم العطف باعتبار المعطوف إلى أقسام : عطف على اللفظ : وهو أن يكون باعتبار عمل موجود في المعطوف عليه ، نحو : ليس زيد بقائم ولا ذاهب .

وعطف على الموضع : وهو أن يكون باعتبار عمل لم يوجد في المعطوف ، إلاّ أنّه مقدّر الوجود لوجود طالبه ، نحو : ليس زيد بقائم ولا ذاهبا ، فنصب ذاهبا عطفا على موضع قائم ، لأنه خبر ليس .

وعطف على التوهم : وهو أن يكون باعتبار عمل لم يوجد هو ولا طالبه ، نحو : ليس قائمًا ولا ذاهبٍ ، وهو معطوف على خبر ليس المنصوب باعتبار جرّه بالباء . و جوّزه الخليل وسيبويه في القرآن ، فليس المراد بالتوهم الغلط ، بل تنزيل الموجود منزلة المعدوم . كقول الشاعر :

مَشَائِيمُ لَيْسُوا مصْلِحِينَ عَشِيرَةً وَلاَ نَـــــــــاعِبٍ إلاَّ بِبَيْنٍ غُرَابُهَا [641]

وجملة ﴿ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[642] معطوفة عل جملة ﴿ أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴾[643] ، للمبالغة في عظم فوزهم، و الواو للإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب .[644] فالمناسبة واضحة بين من هم أعظم درجة وبين الفائزين .

---

[639] سورة التوبة [103]

[640] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 4 ، ص 105 .

[641] انظر بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 4 ، ص 112 . والبيت لم يذكر صاحبه .

[642] سورة التوبة [20]

[643] سورة التوبة [20]

[644] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 224 ..

وجملة ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[645] عطف على جملة ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[646] عطف إنشاء أي أمر ، على خبر مقصود منه العمل به . والمقصود من الأمر بتبشيرهم إبلاغهم فكان المراد من الجملتين معنى خبريّ وإنشائيّ .[647]

وجملة﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [648]عطف على جملة﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ ﴾[649] من الأعراب المنافقين.

وجملة﴿ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ﴾[650] معطوفة على جملة﴿ جَاهَدُواْ ﴾[651]،ليدلّ بالعطف على أنّها خبر عن الذين آمنوا .

وجملة﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ﴾[652] معطوفة عل جملة ﴿ وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[653] .

وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[654] ، عطف ﴿ أَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ على ﴿ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ ﴾ ، للتنبيه على أن قبول التوبة من رحمته تعالى بعباده . فالتناسب في غاية البيان بين التواب والرحيم .[655]

قال أبو حاتم : « ومن الأضداد التوّاب ، والتوّاب التّائب من الذّنب ، (الفاعل) . ويقال : تاب الرجل ، توبا وتوبة . والتّوب أيضا جمع توبة . ورجل تائب وتوّاب ، وهو المقلع عن ذنوبه ،

---

[645] سورة التوبة [112]
[646] سورة التوبة [111]
[647] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، الجزء 11 ، ص 43 .
[648] سورة التوبة [102]
[649] سورة التوبة [101]
[650] سورة التوبة [88]
[651] سورة التوبة [88]
[652] سورة التوبة [72]
[653] سورة التوبة [72]
[654] سورة التوبة [104]
[655] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، الجزء 11 ، ص 25 .

الراجع عنها ، النادم عليها . والتوّاب الله تبارك وتعالى، يتوب على العباد ،ويقال : من تاب تاب الله عليه ، أي من أقلع عن الذنب قبل الله منه إقلاعه .»[656]

قال جميل :

وَقَدْ زَعَمَتْ أَنْ لَيْسَ لِلذَّنْبِ تَوْبَةٌ بَلَى ، يُذْنِبُ الإِنْسَانُ ثُمَّ يَتُوبُ [657]

بلاغـــة الإيجاز:

يقول ابن سنان الخفاجي : « الأصل في مدح الإيجاز والاختصار في الكلام ، أنّ الألفاظ غير مقصودة في أنفسها ، وإنما المقصود هو المعاني والأغراض التي احتيج إلى العبارة عنها بالكلام ، فصار اللفظ بمنزلة الطريق إلى المعاني التي هي مقصودة .»[658]

ويقول الرماني : « والإيجاز على ثلاثة أوجه : الإيجاز بسلوك الطريق الأقرب دون الأبعد ، وإيجاز باعتماد الغرض دون ما تشعب ، وإيجاز بإظهار الفائدة بما يستحسن دون ما يستقبل ، لأن المستقبل ثقيل على النفس .» [659] وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[660]، تكرّر وأفاد تعليل الأمر بالاستقامة .

و تعقيب الأمر بالاستقامة لهم من الإيجاز. و لا معنى للإيجاز إلاّ أن يُدلَّ بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى ، وإذا لم تجعله وصفا للفظ من أجل معناه ، أبطلت معناه أي أبطلت معنى الإيجاز.[661]

---

656 أبو الطيب اللغوي ، الأضداد في كلام العرب ، ص 93 .

657 انظر أبو الطيب اللغوي ، الأضداد في كلام العرب ، ص 93 . والبيت غير موجود في شعر جميل المطبوع .

658 ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، ص 214 .

659 انظر أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، من ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 79 .

660 سورة التوبة [7]

661 عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص463.

وفي قوله تعالى :﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[662] ، روي أنّ الآخرين الذين اعترفوا بذنوبهم كانوا ثلاثة : أبو لبابة مروان بن عبد المنذر، و أوس بن ثعلبة ، و وديعة بن حزام .[663] أو الجد بن قيس، و الكردم، و أوس بن ثعلبة ، و وديعة بن حزام، و مرداس، و أبو قيس ، و أبو لبابة في عشرة نفر اعترفوا بذنبهم في التّخلّف عن غزوة تبوك ، و تابوا إلى الله و ربطوا أنفسهم في سوارى المسجد النّبوي أيّاما ، حتّى نزلت هذه الآية في توبة الله عليهم .[664] وفي ذلك إيجاز، لأنّه يدلّ على أنّهم أذنبوا، فالتّعبير عن الذّنوب بصيغة الجمع يقتضي أنّها أعمال سيّئة في حالة الإيمان .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[665] .

يقول ابن عاشور : « إيجاز يفيد أنهم حينئذ من المتقين، وأنّ الله يؤيّدهم لتقواهم ، وأن القتال في الأشهر الحرم في تلك الحالة طاعة لله وتقوى ، وأنّ المشركين حينئذ هم المعتدون على حرمة الأشهر، وهم الحاملون على المقابلة بالمثل للدفاع عن النفس .»[666]

---

[662] سورة التوبة [102]

[663] جار الله الزمخشري ، الكشاف ، ص87.

[664] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 11 ، ص21 .

[665] سورة التوبة [36]

[666] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 188

بلاغـــة التذييل :

يقول أبو هلال العسكري : « والتذييل في الكلام موقع جليل ومكان شريف خطير ...لأن المعنى يزداد به انشراحا ، والمقصد اتّضاحا . فأما التذييل فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ، ويتوكد عند من فهمه ، وهو ضد الإشارة و التعريض . فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد ، تأكد عند الذهن اللقن .»[667]

وهو أن يذيل المتكلم كلامه بعد تمام معناه بجملة تحقق ما قبلها وتلك الزيادة على ضربين : ضرب لا يزيد على المعنى الأول ، و إنّما يؤكّده و يحققه ، و ضرب يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليشتهر المعنى.[668] والتذييل هو العبارة عن المعنى بألفاظ تزيد عليه ، وهو من صور الإطناب .كقول الشاعر :

فَقَدَدَّت الأَديـمَ لِرَاهِشيْهِ وأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا ومَيْنَـــا [669]

فالكذب و المين واحد .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[670] ، تذييل في معنى التّعليل للأمر ﴿ فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ ﴾[671] فإذا أتمّوا العهد إلى الأجل فذلك من التّقوى .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[672] ، تذييل أريد به حثّ المسلمين على عدم التّعرّض بالسّوء للذين يسلمون من المشركين ، فإنّهم صاروا إخوانهم هي فالتّوبة عن الشّرك الإيمان .

---

667 أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 294 .
668 أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 472.
669 انظر ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، ص 219 . والبيت لم يذكر صاحبه .
670 سورة التوبة [4]
671 سورة التوبة [4]
672 سورة التوبة [5]

وفي قوله تعالى : ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ [673]، وقع التذييل ، فالكلام قد تمّ و كمل ثم أتت جملة التذييل لتؤكّد و تحقّق ما قبلها . ووقع أيضا في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ ﴾ [674]، فأخرج الله ذلك مخرج المثل السائر ليشتهر المعنى.

وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [675]، تذييل للكلام لإفادة أنّ المغفرة من شأنه تعالى ، وأنّه رحيم بعباده إن أنابوا إليه ، و تركوا الإشراك به .

ووقع التّذييل في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [676] بشأن المؤمنين المهاجرين المجاهدين ، فالجملة جاءت لتأكيد و تحقيق المعنى الذي سبقها . والبلاغة في ذلك تأكيد أن ما ذكر من عظيم درجات المؤمنين المهاجرين المجاهدين ، هو بعض ما عند الله من الخيرات فيحصل من ذلك التّرغيب في الازدياد من الأعمال الصالحة ، ليزدادوا رفعة عند ربّهم .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [677] ، تذييل لما قبله ، لما فيها من العموم في المتّقين ، فيحصل مع ذكر الاسم الظاهر معنى العموم ، فيفيد أنّ المتصفين بالحال المحكية في الكلام السابق معدودون من جملة المتقين .

673 سورة التوبة [111]
674 سورة التوبة [111]
675 سورة التوبة [27]
676 سورة التوبة [22]
677 سورة التوبة [36]

بلاغـــة أدوات الرّبط (حروف المعاني) :

ـ الحرف « ثمّ » :

تفيد الترتيب مع التراخي ، وتأتي زائدة ، كقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ، ف ﴿ تَابَ ﴾ جواب ﴿ إِذَا ﴾ .[678]

ـ الحرف « قد » :

تدخل على الماضي المتصرف ، وعلى المضارع ، بشرط تجرده عن الجازم والناصب . وتأتي لخمس معانٍ هي : التوقع ، والتقريب ، والتقليل ، والتكثير ، والتحقيق .[679]

وأمّا التحقيق ، فترد لتحقيق وقوع المتعلق مع المضارع والماضي ، لكنه قد يرد والمراد به المضيّ. و إذا دخلت على الماضي ، اجتمعت لكل فعل متجدّد ، كقوله تعالى : ﴿ لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ﴾[680] . ولا تستعمل في أوصاف الله .[681]

ـ حرف « اللام » :

واللاّم في قوله تعالى : ﴿ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾[682] للملك و الاستحقاق ، و المجرور مصدر لأنّ التّقدير: بتحقيق تملّكهم الجنّة ، و ﴿ وَعْدًا ﴾ منصوب على المفعولية من الفعل ﴿ اشْتَرَى ﴾ ، و الوعد

---

678 بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، الجزء الرابع ، ص 269 .
679 بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، الجزء الرابع ، ص 305 .
680 سورة التوبة [117]
681 بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، الجزء الرابع ، ص 308 .
682 سورة التوبة [111]

هو إطماع بإحسان في المستقبل [683]. و في الآية الوعد متحقق الوقوع لأن الله لا يخلف وعده ، و هو مستعمل في الخير .

واللام إمّا أن تكون عاملة ، أو غير عاملة . فأما غير العاملة ، فتجيء مخفّفة لأنها تحقق الخبر مع المبتدأ [684]، كقوله تعالى :﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [685]

وأمّا العاملة ، فهي على ثلاثة أقسام : جارة ، وناصبة ، و جازمة . يقول الزركشي : « في اللام الناصبة ، موضعين : لام (كي) ، ولام الجحود . ويجوز إظهار (أن) بعد لام(كي) ، و لا يجوز بعد لام الجحود .» [686]

ومثال لام (كي) ، و (كي) مضمرة ، قوله تعالى :﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [687] والمعنى ، لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة ، فلمّا انضم إلى المغفرة شيء حادث واقع ، حسن معه (كي) . [688]

وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [689] ، اللام للاختصاص ، أي هي قربة لهم عند الله ، وعند صلوات الرسول الكريم . [690]

---

[683] ابن قيم الجوزية ، الفوائد ، ص 201 .

[684] ابن قيم الجوزية ، الفوائد ، ص 335 .

[685] سورة التوبة [128]

[686] ابن قيم الجوزية ، الفوائد ، ص 345 .

[687] سورة التوبة [121]

[688] ابن قيم الجوزية ، الفوائد ، ص 348 .

[689] سورة التوبة [99]

[690] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، الجزء 11 ، ص 16 .

ـ حرف « الواو » :

ـ الواو غير العاملة :

ومن معانيها ،واو الثمانية .يقول الزركشي: « والعرب تدخل الواو بعد السبعة إيذانا بتمام العدد ،فإن السبعة عندهم هي العقد التام كالعشرة . فيأتون بحرف العطف الدال على المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ، فتقول : خمسة ، ستة ، سبعة ، وثمانية .فيزيدون الواو إذا بلغوا الثمانية .» [691]

كقوله تعالى : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[692] ، بعدما ذكر قبلها أي (الواو) من الصفات بغير الواو .

وقوله ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[693] ، يصلح أن يكون رفعه على وجوه أحدها المدح . و المعنى لهم الجنة أيضا ، أي من لم يجاهد غير معاند و لا قاصد لترك الجهاد ، لأنّ بعض المسلمين يجزي عن بعض في الجهاد فمن كانت هذه صفته أيضا فله الجنة أيضا.

و﴿التَّائِبُونَ﴾ الذين تابوا عن الكفر، و﴿الْعَابِدُونَ﴾ الذين عبدوا الله وحده . و﴿السَّائِحُونَ ﴾ هم الصائمون . و﴿الرَّاكِعُونَ﴾ الساجدون الذين أدوا ما افترض الله عليهم في الركوع و السجود .

و﴿ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ الآمرون بالإيمان بالله، و﴿ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ النّاهون عن المنكر أي عن الكفر بالله ، و﴿ الْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ ﴾ الحافظون لحدود الله ، أي القائمون بما أمر الله به .[694]

---

[691] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، الجزء الرابع ، ص 438 .

[692] سورة التوبة [112]

[693] سورة التوبة [112]

[694] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 11 ، ص 40 .

والعطف بحرف الواو في قوله تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[695] ، أوضح وأفصح على اعتبار استواء الشّيئين المختلطين في وقوع فعل الخلط عليهما . فكلّ واحد مخلوط ومخلوط به ، لأنّ المعنى خلط كلّ واحد منهما بالآخر.

ـ حرف الباء :

والباء تدخل على الثّمن في صيغ الاشتراء ، فدخلت لمشابهة الوعد الثّمن في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾[696]. و ليس في هذا التّركيب تمثيل ، إذ ليس ثمّة هيئة مشبّهة وأخرى مشبّه بها .[697]

ـ حرف السين و (ألا):

وقوله تعالى : ﴿ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[698] ، شهادة من الله للمتصدّق بصحّة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات ، وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف ، مع حرفي التنبيه و التحقيق الدالين على ثبات الأمر و تمكنه . و السين لتحقيق الوعد ، و مفيدة وجود الرحمة لا محالة .

والسّين في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[699] ، لتأكيد حصول الرّحمة في المستقبل لامحالة ، لأنّ حرف الاستقبال (السين) يفيد مع المضارع ما تفيد (قد) مع

---

[695] سورة التوبة [102]

[696] سورة التوبة [111]

[697] محي الدين درويش ، إعراب القرآن وبيانه ، ج11 ، ص281.

[698] سورة التوبة [99]

[699] سورة التوبة [71]

الماضي ، وهي تؤكّد الوعد كما تؤكّد الوعيد . و الإشارة للدّلالة على أنّ ما سيرد بعد اسم الإشارة محاط بالأوصاف المذكورة قبله .[700]

وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [701] ، المقصود أنّ الله وعد المؤمنين أن يغنيهم عن المنافع التي تأتيهم من المشركين ، حين كانوا يفدون إلى الحجّ ، فيهدون الهدايا و ينفقون ، فتعود منهم منافع على مكة ، و قد أصبح أهلها مسلمين ، فيعود عليهم ما يرد من رزق .

والعيلة هي الاحتياج و الفقر[702] ، أي إن خطر في نفوسكم خوف الفقر من انقطاع الإمداد عنكم ، فسيغنيكم الله عن ذلك . و أغناهم الله بأن حمل الطعام إلى مكة من اليمن و مصر و الهند و غيرها . و قوله تعالى ﴿ إن شَاء ﴾ يفتح للمؤمنين باب الرجاء مع التّضرع إلى الله في تحقيق وعده ، لأنّه يفعل ما يشاء .

ـ الحرف (لكنْ) :

في قوله تعالى : ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[703] ، حرف الاستدراك (لكن) و هي مخفّفة مهملة [704] ، يؤذن بأنّ مضمون هذا الكلام نقيض مضمون الكلام الذي قبله ، فلمّا كان قعود المنافقين عن الجهاد مسبّبا على كفرهم بالرسول الكريم ، كان المؤمنون على الضدّ . و في الحرف (لكن) إشارة إلى الاستغناء عن

---

[700] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 263 .
[701] سورة التوبة [28]
[702] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 161 .
[703] سورة التوبة [88]
[704] محيي الدين درويش ،إعراب القرآن الكريم و بيانه ، الجزء العاشر ، ص 275 .

نصرة المنافقين بنصرة المؤمنين للرّسول ﷺ . و الظّرف ﴿ مَعَهُ ﴾ في موضع الحال من﴿ الَّذِينَ﴾، لتدلّ على أنّهم أتباع له في كلّ حال وفي كلّ أمر.الخيرات تتناول منافع الدّارين لإطلاق اللّفظ.[705]

ـ الحرف (مِنْ) :

في قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾[706]،﴿مِنْ﴾ ابتدائية ، فابتداء جريان الأنهار من تحت أشجار الجنات فدلّت على التخصيص في الإنعام ، و النعيم في ذلك المكان ، وهو في منظر تفجّر الأنهار و في نبعها ، فهو أكمل و أفضل .

والجنات لصنف أكرم وأفضل من المؤمنين ،أوّلهم الأنبياء والمرسلون،ثم الصديقون ، فالشهداء فمزيد لهم من التكريم والفضل ، والتخصيص في الكلام عن النعيم .[707] فلا موضع في القرآن ذكِرت فيه الجنات وجري الأنهار تحتها إلاّ و قد دخلتها﴿ مِن﴾ ، فالموضع المذكور فيه﴿ مِن تَحْتِهَا ﴾ لقوم عام فيهم الأنبياء ، أمّا الموضع الذي لم يذكر فيه ﴿ مِنْ﴾ قبل ﴿ تَحْتِهَا ﴾ ، فهو لقوم مخصوصين ليس فيهم الأنبياء ، كقوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [708] .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾[709]، (مِنْ) تفضيلية وهي للابتداء المجازي .[710]

---

[705] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 290 .
[706] سورة التوبة [72]
[707] جار الله الزمخشري ، الكشاف ، ص 290 .
[708] سورة التوبة [100]
[709] سورة التوبة [111]
[710] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، الجزء 11 ، ص 40 .

ـ الحرف (ثم) :

في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاء وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[711] ، ﴿ثُمَّ﴾ للتّراخي الرّتبي ، ف ﴿ثُمَّ﴾ توجب التّرتيب مع تراخ .[712]

ـ الحرف (إمّا) :

إمّا حرف يدل على أحد شيئين أو أشياء . ومعناها قريب من معنى (أو) التي للتخيير ، إلاّ أنها تدخل على كلا الاسمين المخير بين مدلوليها وتحتاج إلى أن تتلى بالواو ، و(أو) لا تدخل إلاّ على ثاني الاسمين .[713] فأفادت التساوي في قوله تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[714]

بـــلاغة الالتفات :

في قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾[715]، الموقع الإعرابي للمنعمين وهم﴿ المؤمنين﴾ مفعول به ، و في قوله تعالى :﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾[716]، الموقع الإعرابي للمنعمين وهم ﴿المؤمنون ﴾ مبتدأ، وفي تحول النسق الإعرابي التفات .

وهناك الالتفات في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ

---

[711] سورة التوبة [27]
[712] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 224 .
[713] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، الجزء 11 ، ص 28 .
[714] سورة التوبة [106]
[715] سورة التوبة [72]
[716] سورة التوبة [71]

مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ111﴾ [717] ، زيادة في سرورهم فالفاء لترتيب الأمر به على ما قبله وجعله الله بمثابة الشرط . فالالتفات من ضمير الغائب في قوله ﴿ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم ﴾ إلى ضمير المخاطب في قوله ﴿ فَاسْتَبْشِرُواْ ﴾.

[717] سورة التوبة [111]

المبحث الثاني : علم البيان وأسراره البلاغية

تمهيـــــد :

لم تخل آيات الرجاء هي الأخرى من بلاغة مباحث علم البيان ، فقد تنوعت الصور الفنية ، وأدّت المعاني المقصودة في آي الذكر الحكيم ، لكنها لم تكن بالقدر الذي كانت عليه في آيات الخوف. فطبيعة الرجاء أنه حالة يثمرها العلم ، فتثمر الجهد للقيام بالأسباب . والرجاء محمود لأنه باعث على العمل ، وفي ذلك استقامة للقلب وتوحيد لله تعالى .

ولهذا كانت آيات الرجاء كلها دعوة إلى الاستقامة والتوحيد للفوز في الدنيا والآخرة ، ولنيل رضوان الله تعالى ، ومعرفته حق المعرفة فيطمئنّ القلب حين الشدائد بالتقوى ، ويزداد المؤمن رضًا بربه ، وإيمانًا بمحبته له ، وتوبةً له . ولعل ما سأذكره من بلاغة للكناية والاستعارة ، خير دليل على هذه المعاني .

بلاغـــة الكناية :

يقول ابن سنان الخفاجي : « ومن نعوت الفصاحة والبلاغة ، أن يُراد معنى فيوضح بألفاظ تدل على معنى آخر ، وذلك المعنى مثال للمعنى المقصود . وسبب حسن هذا مع ما يكون فيه من الإيجاز ، أنّ تمثيل المعنى يوضحه ويخرجه إلى الحس والمشاهدة ، وهذه فائدة التمثيل في كل العلوم ، لأن المثال لابدّ من أن يكون أظهر من الممثل ، فالغرض بإيراده إيضاح المعنى وبيانه .»[718]

ففي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[719] ، الإخبار بمحبّة الله المتّقين عقب الأمرفي قوله تعالى : ﴿ فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ ﴾[720]كناية عن كون المأمور به من التّقوى .

وفي قوله تعالى :﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [721] ، الاعتراف بالذّنب كناية عن التّوبة منه ويشترط فيه العزم، والاعتراف من الفعل (عرف) للمبالغة في المعرفة ، بمعنى الإقرار بالشّيء وترك إنكاره . ومن جهة ثانية كان العدول عن الباء لتضمين الخلط معنى العمل كأنّه قيل : عملوا عملا صالحا وآخر سيّئا ، ثمّ انضاف إلى العمل معنى الخلط ، فعبّر عنهما معا به .[722]

و﴿عسى﴾ من أفعال المقاربة تفيد الرّجاء ، و الله اسمها وأنّ وما في حيّزها خبر ، وقد سبق الحديث عنها في الفصل الثاني . و هو كلام الله تعالى المخاطب به لنبيه الكريم ، فهي كناية عن وقوع

---

[718] ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، ص 232 .
[719] سورة التوبة [4]
[720] سورة التوبة [4]
[721] سورة التوبة [102]
[722] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 11 ، ص 21 .

المرجو، و أنّ الله قد تاب عليهم ، و ذكر فعل الرّجاء لاستتباع معنى اختيار المتكلّم في وقوع الشّيء و عدم وقوعه .[723]

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ ﴾[724] ، القول مراد به الكلام مع الاعتقاد ، فهو كناية عن اللازم مع جواز إرادة الملزوم . فإذا أضمروا ذلك في أنفسهم فذلك من الحالة الممدوحة ولكن لما وقع هذا الكلام في مقابلة حكاية اللمز في الصدقات . واللمز يكون بالكلام دلالة على الكراهية ، جعل ما يدل على الرضا من الكلام كناية عن الرضا .[725]

وفي قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[726] ، كناية عن كثرة إحسان الله تعالى إلى المؤمنين حتى رضيت نفوسهم لما أعطاهم ربهم . ورضا الله هو عنايته بهم ، وإكرامه إياهم ، و دفاعه أعداءهم .[727]

بلاغـــة التعريض :

في قوله تعالى : ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[728] ، تعريض بأنّ الذين لم يجاهدوا دون عذر ليسوا بمؤمنين .[729]

---

[723] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 11 ، ص 22 .
[724] سورة التوبة [59]
[725] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 234 .
[726] سورة التوبة [100]
[727] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 11 ، ص 19 .
[728] سورة التوبة [88]
[729] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 10 ، ص 290 .

بلاغـــة الاستعارة :

في الآية﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾[730] ، استعارة مكنية تبَعِيّة . فأمّا المكنية فأن تذكر المشبه و تريد المشبه به و تدل عليه بقرينة لفظية . و أمّا التبَعِيّة ، هي ما كان اللفظ المستعار فيها فعلا ماضيا أو مضارعا أو أمرا، أو صفة مشتقة مثل اسمي الفاعل و المفعول ، أو حرفا مثل في و على و اللام . و سمّيت تبعية لأنها وقعت تابعة لوقوعها في مصادر الأفعال و الصفات المشتقة و فيما يتعلق بمعاني الحروف .

فقد استعار الله الفعل ﴿ اشْتَرَى ﴾، لقبوله أنفس و أموال المؤمنين الذين جاهدوا في سبيله، وأثابهم في المقابل بالجنة ، و جعل المبيع الذي هو المقصد في العقد هذه الأنفس و الأموال ، و الثمن هو الجنة . و الاشتراء مستعار للوعد بالجزاء عن الجهاد ، و ذلك أنّ الاشتراء يشبه الوعد في أنّه إعطاء شيء مقابل بذل من الجانب الآخر. و جملة ﴿ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ ﴾ مستأنفة استئنافا بيانيّا ، فاشتراء الأنفس و الأموال يثير الغرابة في الظّاهر .[731]

[730] سورة التوبة [111]

[731] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج 11 ، ص 37 .

المبحث الثالث : علم البديع وأسراره البلاغية

تمهيـــــد :

يقول الدكتور عبد العزيز عتيق : « إنّ دراسة أصول هذا العلم والأناة في تفهمها و تذوقها جديرة بإقناع الدارس أيّا كان بأنّ استبعاد الجانب البديعي عند الحكم على عمل أدبي هو إجحاف به ، وانتقاص في الحكم عليه .» [732]

هذا عن العمل الأدبي ، فكيف بالقرآن الكريم المعجز ، الذي تنوعت فيه مباحث علم البديع من محسنات معنوية كالطباق ،والمقابلة ،والتورية ،والاستطراد ،والتفريع ،والتقسيم ،واللف والنشر، والتجريد . ومن محسنات لفظية كالتجنيس ، والفاصلة القرآنية .

وأمّا في آيات الرجاء في سورة التوبة ، فلقد وجدت من المحسنات المعنوية واللفظية ما أضفى من الجماليات الفنية البلاغية الكثير على المعنى . فأدت المقاصد التي أرادها الله تعالى في النظم القرآني، واتسمت بالجمال الذي لا يرجع إلى جمال الألفاظ ، بل إلى ترتيب المعاني في الذهن ترتيبا يؤثّر في النفس . إنّ هذه المحسنات لا تؤدي أغراضا بديعية ، إنما أغراضا بيانية تأبى أن يكون للألفاظ مزية ذاتية في الكلام ، فالشأن دائما للتراكيب وصور نظمها وتأليفها .[733]

وسأعرض بإذن الله تعالى لهذه المحسنات تطبيقا على الآيات التي اقتضت الرجاء ، فتحقق فيها المقصد البلاغي الذي يُرَدّ إلى إعجاز القرآن الكريم .

---

[732] عبد العزيز عتيق ، علم البديع ، ص 5 .
[733] عبد العزيز عتيق ، علم البديع ، ص 22 .

بلاغـــة التورية :

تعريف التورية :

التورية من فنون البديع المعنوي ، و في اصطلاح رجال البديع ذكر اللفظ مفردا له معنيان ، قريب ظاهر غير مراد ، وبعيد خفيّ هو المراد . وهي ضربان : مجردة و ومرشحة . فالمجردة هي التي لا تجامع شيئا مما يلائم المورّى به ، أعني المعنى القريب . و أمّا المرشحة فهي التي قُرن بها ما يلائم المورّى به ، إمّا قبلها و إمّا بعدها.

كقول الشاعر :[734]

فلَمَّا نَأَتْ عنَّـــــا العشِيرَة كلُّهَا أَنَخْنَا فَحالفْنَا السّيُوفَ على الدّهْـــرِ

فَما أَسْلمَتْنَا عِندَ يوْمِ كرِيهَـــــةٍ ولا نَحْنُ أَغْضَيْنَا الجُفُونَ على وِتْـــرٍ

الإغضاء مما يلائم جفن العين لا جفن السيف ، وإن كان المراد به إغماد السيوف ، لأن السيف إذا أُغمد انطبق الجفن عليه ، وإذا جُرّد انفتح للخلاء الذي بين الدّفتين .[735]

والتورية الإيهام والتخييل والمغالطة والتوجيه ، وهي أن يتكلم المتكلم بلفظ مشترك بين معنيين : قريب وبعيد ، ويريد المعنى البعيد ، يوهم السامع أنه أراد القريب .[736]

وفي قوله تعالى : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ [737] ، ذكر ﴿ رِضْوَانٍ﴾ مع ﴿ جَنَّاتٍ﴾ مما يوهم إرادة خازن الجنات .

---

[734] انظر الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 250 . والبيتان لموسى بن جابر الحنفي ، شاعر مخضرم ، مجهول تاريخ الولادة والوفاة .

[735] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 250 .

[736] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، الجزء الثالث ، ص445 .

[737] سورة التوبة [21]

بلاغة الفواصل :

تعريف الفواصل :

الفواصل عند الرماني هي حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعنى . والفواصل بلاغة ، والأسجاع عجيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها . وفواصل القرآن كلها بلاغة و حكمة ، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها . و هي على وجهين : أحدهما على الحروف المتجانسة ، والآخر على الحروف المتقاربة .[738] و يرى الرماني أنّ الفواصل على الحروف المتقاربة حسن ، يقول : « لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع ، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة .»[739]

و أما الزركشي ، فيعرف الفواصل بأنها كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر و قرينة السجع . و لا يشترط في الفاصلة الموافقة في الإعراب لما قبلها ، لأن الوقوف على رؤوس الآي سنّة متبعة، و لهذا صرح العلماء بأنّ مبنى الفواصل على الوقف ، و شاع مقابلة المرفوع بالمجرور و العكس، و كذا المفتوح و المنصوب غير المنوّن .[740]

والفواصل أكثر ما تنتهي بالنون و الميم ، وحروف المد و اللين ، وتلك هي الحروف الطبيعية في الموسيقى .[741] يقول سيبويه : « أمّا إذا ترنّموا –أي العرب- » فإنهم يلحقون الألف والواو والياء، ما ينوّن و ما لا ينوّن ، لأنهم أرادوا مدّ الصوت . وإذا أنشدوا و لم يترنّموا، فأهل الحجاز يدعون القوافي على حالها في الترنّم ، وناس من بني تميم يبدلون مكان المدّة النون .[742]

---

[738] انظر أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، من ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 97 / 98.

[739] انظر المصدر السابق ، ص98 .

[740] محمد عدنان زرزور ، علوم القرآن ، ص 273 .

[741] محمد عدنان زرزور ، علوم القرآن ، ص 275 .

[742] سيبويه ، الكتاب ، ج 2 ، 53 .

يقول الزركشي : « اعلم أنّ فواصل القرآن الكريم لا تخرج عن هذين القسمين ن بل تنحصر في المتماثلة والمتقاربة .»[743]

ففي قوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[744] ، قوله تعالى ﴿ حَكِيمٌ ﴾ يعني الغالب الذي يضع الأشياء مواضعها ، فلا يعترض عليه إن عفا عمّن يستحقّ العقوبة . وهذا يوهم أنّ الفاصلة ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ولو كانت كذلك لأوهم الدعاء بالمغفرة ، لأن الله لا يغفر لمن يشرك به . لكنّ الأمر ليس على مسألة الغفران ، وإنما هو على معنى تسليم الأمر إلى من هو أملك .[745]

يقول السيوطي : « كان في الوصف بالحكيم احتراس حسن ، أي : وإن تغفر لهم ـ مع استحقاقهم العذاب ـ فلا مُعترض عليك لأحد في ذلك ، والحكمة فيما فعلته .»[746]

ويقول الإمام السيوطي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) أنّ الشيخ شمس الدين بن الصائغ قد ألّف كتابا سماه (إحكام الرأي في أحكام الآي) ، وتتبّع فيه الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فعثر على أربعين حكما .[747] منها : تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ في قوله تعالى : ﴿ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[748] ، لأن الرأفة أبلغ من الرحمة .

---

[743] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 75 .
[744] سورة التوبة [71]
[745] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، الجزء الأول ، ص 90 .
[746] جلال الدين السيوطي ، البرهان في علوم القرآن الكريم ، ص 463 .
[747] جلال الدين السيوطي ، البرهان في علوم القرآن الكريم ، ص 459 .
[748] سورة التوبة [128]

بلاغـــة اللّفّ والنّشر :

تعريف اللّفّ والنّشر :

وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأنّ السامع يردّه إليه .[749] وهو ضربان : النشر على ترتيب اللف .

كقول ابن حيّوس :

فِعْلُ المُدَامِ ، وَلَوْنُهَا ، وَ مَذَاقُهَا فِي مُقْلَتَيْهِ ، وَوجْنَتَيْهِ ، وَرِيقِهِ [750]

والضرب الثاني : النشر على غير ترتيب اللف .

كقول ابن حيوس :

كَيْفَ أَسْلُو وَأَنْتَ حِقْفٌ ، وَغُصْنٌ وَغَزَالٌ: لَحْظًا ، وَقَدًّا ، وَرِدْفًا [751]

وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[752] ، وصف الله المؤمنين بثلاث صفات هي الإيمان ، والهجرة ، والجهاد بالنفس و المال . فبدأ بالرّحمة في مقابلة الإيمان ، و ثنّى بالرّضوان في مقابلة الجهاد، ثم ثلّث بالجنّات في مقابلة الهجرة . و المهاجرة ترك الموطن و الحلول ببلد آخر، و الهجر هو الترك،و المراد بها الهجرة من مكّة إلى المدينة ، فلا تشمل بلاد الحبشة لأنها كانت هجرة مؤقتة لا على نية الاستطان .

و ترك الأوطان لأنّهم آثروا تركها ، و في هذا اللفّ و النّشر. و الذين هاجروا هم المؤمنون من أهل مكة وما حولها ، والذين هاجروا منها إلى المدينة لما أذنهم النبي ﷺ بالهجرة إليها بعد أن أسلموا وذلك قبل فتح مكة .

---

[749] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 251 .

[750] انظر الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 251 . والبيت في (وفيات الأعيان) 245/1 .

[751] انظر الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 252 . و الحقف كثيب من الرمل مستدير .

[752] سورة التوبة [20]

بلاغـــة التفريع :

في قوله تعالى :﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[753] ، تفريع ﴿ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ للتحضيض وفيه التحذير من التقصير أو من ارتكاب المعاصي كما فيه من التذكير باطلاع الله تعالى بعلمه على جميع الكائنات .[754]

والخطاب في قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ﴾[755] للمؤمنين ، و هو تفريع على كون الوعد حقّا على الله .

[753] سورة التوبة [105]
[754] محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير، الجزء 11 ، ص 25 .
[755] سورة التوبة [111]

بعد هذه الجولة مع البحث في موضوع الإعجاز البلاغي في آيات الخوف و الرجاء التي توسّمت فيها الكثير من أحوال و أسرار البلاغة الإعجازية ، وما تنطوي عليه من عطاء يتجدَّد ولطائف لاتُحدّ ، تمت الدراسة بحول الله .

ففي الفصل الأول كان الحديث عن جهود العلماء في الإعجاز من قدامى ومحدثين ، وعرضت مسيرة البحث البلاغي بين التطور والاستقرار والجمود ، بدءًا من القرن الثالث الهجري إلى القرن السادس الهجري .

ووقفتُ في الفصل الثاني على البلاغة الإعجازية لآيات الخوف في سورة التوبة ، وعرضتُ في الفصل الثالث البلاغة الإعجازية لآيات الرجاء في نفس السورة .

و قد ألفيت القرآن ينأى عن التعبير بالأسلوب الواحد المباشر الذي لا يتنوَّع ، بل يلجأ إلى أفانين شتَّى من البلاغة متّسقة تظهِر ثراء المعاني ، وبراعة الصياغة والأداء .

و لعلَّ النتائج والأدلة لم تدعْ ريبًا في حقيقة الإعجاز في الكتاب المنزل . و ها أنا أقف خاشعة أمام تلك العظائم مسجِّلة ما استوقفني في رياضها :

يختلف العلماء في أوجه الإعجاز ، لكنهم يتفقون في كونه معجزا إلى يوم القيامة ، لأنه كلام الله عزّ وجلّ .

تتنامى الخشية من الله كلَّما تدبَّر الإنسان آيات القرآن وأنعم النظر فيها وسمع همساتها ولمح إشاراتها ، بينما تتزعزع النفس ، وتتزلزل خوفًا واضطرابًا بالبعد عنه ، لذا تتوق النفوس السويَّة بفطرتها إلى الإيمان حضن الأمان والطمأنينة .

يزخر القرآن الكريم بالمشاعر والعواطف الإنسانيَّة على اختلاف صورها ، وتتنوَّع طرق التعبير والتأثير فيه .

تتلازم أحوال الخوف في القرآن الكريم في كمّها وتفصيلها مع أحوال الرجاء ، وفي هذا إشارة لطيفة إلى أنَّ الله الذي خلق الإنسان عالم بما يعتريه من داء الغفلة والنسيان ، خبير بما يشفيه .

يظهر التباين بين مخاوف المؤمنين وسائر الفئات البشريَّة من منافقين ، ويهود ، ومشركين جليًّا في التعبير القرآنيّ .

يُبرز القرآن المعاني والانفعالات ، ويرصد آثارها ، ويعمِّق الشعور بها بصور حيَّة تنضح بلاغة تشترك فيها الألفاظ و الأبعاد ، مما يعمِّق الإحساس بقوَّة المعنى وجمال الصورة .

يسهم تحقيق التكامل بين علوم العربية والقرآن الكريم بحدٍّ كبير ، في تعميق الإحساس بجمال القرآن وبلاغته وإعجازه .

تعلو الصورة البيانيَّة في القرآن على تأثير العصر والبيئة ، فلا تتغيَّر بتغيُّرهما ، ولها غاية أخلاقية لها مكانها بين الغايات السامية التي يحقِّقها ذلك الكتاب المعجز .

تختلف الصور البيانيَّة من سورة لأخرى في القرآن ، ومن سياق لآخر، مما يعمق الإحساس بقوَّة المعنى وجمال الصورة ، كما تزخر بالمعاني والمشاعر النفسيَّة ، وتتحرَّك في أداء تعبيريٍّ معجِز .

وقد أسفر هذا البحث في أفانين البيان القرآني عن عدد من الحقائق والنتائج أُوجزها فيما يلي:

- جاءت الصورة البيانية موظَّفة لخدمة مقاصد الكتاب الكريم ، وامتازت برقيِّ الأسلوب ووضوح المعالم مع الإسهام الكبير في تجلية المعاني والتأثير الوجدانيّ .

- أبرزت الدراسة قيمة الكلمة في القرآن ، مما يزيد اليقين بإعجازه البيانيّ ، فهو تنزيل من حكيم حميد .

- كشفت الدراسة عن العلاقة القوية بين المواقف و الأبعاد الفنِّيَّة لصيغ المفردات وخصوصيَّة التعبير بصيغة ما ، مما يمنحها ظلالاً نفسيَّة خاصَّة تنمّ عن رفعة البيان القرآنيّ .

- أكَّدت الدراسة أنَّ كلَّ لفظة تستقلُّ بمعنًى لا يكون في غيرها ، ناهيك عن المهمَّة الكبيرة التي ينهض بها النظم في التأليف بينها وبين أخواتها ، لصياغة صورة متكاملة ذات أداء فنِّيٍّ بديع . فقد تتوارد الألفاظ والصيغ على معنًى واحد ، لكن يبقى لكلٍّ منها خصوصيَّة .

- أكَّدت الدراسة أنَّ المجاز في القرآن قضية أقرَّها كثير من العلماء ، وله أثره في تعميق المعنى، وتوسيع آفاقه ، لكن ينبغي أن يقيد وجوده بالقرينة أو بالدليل الذي يمنع من إرادة الحقيقة .

- أوضحت الدراسة أنَّ القرآن وإن كان جاريًا على سنن العرب في كلامها ، إلاَّ أنَّ أحد وجوه إعجازه يرجع إلى تصريف البيان في طرائق تعبيره تصريفًا لا عهد للبشر به .

- أظهر البحث كيف صُرِّفت المعاني والألفاظ في سورة التوبة بطرائق شتَّى في مواطن متفرِّقة، لتتحقّق بذلك المقاصد بأبلغ الأساليب وأبدعها ، في تنوُّع عجيب وتفنُّن بديع .

- موضوع الخوف والرجاء تحقق جانبي الإمتاع والتأثير الذي يشوق النفوس إلى الوصول إلى هذه المراتب العظيمة ، ويكشف عن أنواع أخرى من المشاعر الإنسانية العميقة كالندم والحزن و جوانبها المحمودة والمذمومة و التي تكشف عن براعة التعبير القرآني فيها .

- بلاغة القرآن تدعو إلى التوازن في المشاعر لتحقيق الشخصية الإسلاميَّة المميَّزة التي تتقابل فيها المشاعر من خوف ورجاء ، وفرح وحزن ، و محبَّة وكُره ، وولاء وبراء .

ولم أجد خيرا من قول عالمنا الجليل أبي حامد الغزالي عندما جمع بين الخوف والرجاء : « من شرط الرجاء و الخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه ، إذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف ، فإذن المحبوب الذي يجوز وجوده ، يجوز عدمه لا محالة . فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء ، وتقدير عدمه يوجع القلب ، وهو الخوف ، و التقدير أن يتقابلا لا محالة .» [756]

هذا وإنني أحمد الله تعالى على ما منَّ به عليَّ من صحبة كتابه طيلة أيَّام البحث ، وأحمده على ما بلَّغني إيَّاه من إتمامه وإخراجه ، وأسأله سبحانه أن يباركه ، وأن يجعلني أوَّل المنتفعين به ، وأن يجعله فاتحة خير . وأستغفره سبحانه من كلِّ خطأ أو تقصير أو زلل ، وليشفع لي أنِّي حشدت له كلَّ طاقتي و وسعي . و أسأله أن يجعل ما صرفت فيه من جهد ووقت ثِقَلاً في ميزاني ، و ميزان من أشرف عليه وسدَّد ما فيه .

ولله الحمد أولاً و آخرًا ، وصلى الله وسلَّم على خير خلقه وأشدِّهم خشية له وأعظمهم طمأنينة بربِّه ، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات .

[756] إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي ، ج 4 ، ص 159 .

خـطـــة البحـــــث

المقدمة.....أ

المدخل:..... 01

الفصل الأوّل: جهود العلماء في الإعجاز.....21

ويشتمل على ما يلي:

- جهود علماء الفكر العربي القديم.....24

- جهود علماء الفكر العربي الحديث.....55

- نشأة وتطوّر الدّرس البلاغي.....64

الفصل الثاني: البلاغة الإعجازية في آيات الخوف في سورة التوبة.....76

ويشتمل على ما يلي:

- مفهوم البلاغة وعلاقتها بنظرية الإعجاز.....77

- علوم البلاغة 82

- علم المعاني وأسراره البلاغية.....86

- علم البيان وأسراره البلاغية.....133

-علم البديع وأسراره البلاغية.....153

الفصل الثالث: البلاغة الإعجازية في آيات الرّجاء في سورة التوبة.....162

ويشتمل على ما يلي:

- علم المعاني وأسراره البلاغية.....164

- علم البيان وأسراره البلاغية.....193

- علم البديع وأسراره البلاغية.....108

الخاتمة.....204

قائمة المصادر والمراجع.....208

خطّة البحث.....214

قائمـــــة المصـــــادر والمراجـــع

- القرآن الكريم.

- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني،المكتبة العصرية،بيروت ، 1426ه/2005م.

- الأضداد في كلام العرب ، أبو الطيب اللغوي، تحقيق عزّة حسن،الطبعة الثانية 1996 م .

- إعجاز القرآن للباقلاني،دارالمعارف،مصر 1954.

- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي،دار الكتب العلمية،بيروت، الطبعة الثانية1428ه/ 2007م.

- إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبي الحسن النيسابوري،تحقيق علي بن سليمان العبيد ، مكتبة التوبة،الرياض ، **الطبعة الأولى 1418ه/1998م.**

- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني،لصلاح عبد الفتاح الخالدي،دارعمار،عمان ، الطبعة الأولى 1461ه/ 2001م .

- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،للرافعي،دار الكتاب العربي،بيروت ، الطبعة الثامنة 1424ه .

- إحياء علوم الدين للغزالي،مكتبة كرياطة فوترا.

- الإعجاز البلاغي لمحمد أبو موسى ،مكتبة وهيبة،مصر، الطبعة الثانية 1418ه/ 1998.

- أسلوب الالتفات في البلاغة العربية،حسن طبل،دار الفكر العربي،القاهرة ، 1418ه .

- إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين الدرويش،اليمامة ودارابن كثير،بيروت، الطبعة السابعة ، 1420ه/1999م.

- أصوات القرآن،يوسف الخليفة أبو بكر،مكتبة الفكر الإسلامي،مكة.

- الإعجاز البياني للقرآن،عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ،دارالمعارف ، الطبعة الثالثة ،1391 ه/ 1971م.

- أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني، عمرمحمد عمرباحاذق ، دارالمأمون للتراث دمشق بيروت ، الطبعة الأولى 1414ه / 1994 م .

- إشكاليات القراءة وآليات التأويل،نصرحامد أبوزيد،الركزالثقافي العربي ، المغرب.

- البيان والتبيين للجاحظ،مكتبة الخانجي،القاهرة ، الطبعة السابعة ، 1418 ه/ 1998 .

- البيان في روائع القرآن ، تمام حسن ، الطبعة الأولى 1413ه / 1993 م.

- البرهان في علوم القرآن،للزركشي،دار المعرفة،بيروت ، الطبعة الثانية 1391ه./

- البلاغة العربية ،علي عشري زايد، مكتبة الآداب، القاهرة ، الطبعة الأولى 1428ه/ 2007م.

- البلاغة القيمة لآيات القرآن الكريم،عبد القادرحسين،دارغريب،القاهرة.

- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية،محمد حسنين أبو موسى دار الفكلر العربي القاهرة .

- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، مكتبة دار التراث،القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1393 ه/ 1973م.

- تفسير المراغي للمراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي، مصر،الطبعة الأولى، 1365ه / 1945م.

- التصوير الفني في القرآن،سيد قطب،دار الشروق مصر، الطبعة العاشرة 1408ه/198م.

- التحريروالتنوير،محمد الطاهربن عاشور،الدار التونسية للنشر1884 م.

- ثلاث رسائل في إعجازالقرآن،تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام ،دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة.

- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبي،مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى 1427ه / 2006م.

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيد أحمد الهاشمي ، ضبط يوسف الصميلي المكتبة العصرية بيروت ، 1428ه/2007م.

-خصائص التعبيرالقرآني وسماته البلاغية،عبدالعظيم إبراهيم محمد المعطي مكتبة وهبة،القاهرة ، الطبعة الأولى 1412ه/1992م.

- دلائل الإعجاز،لعبد القاهر الجرجاني،دار المدني جدة ، الطبعة الثالثة 1413ه/1992م.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف الجلدي،دار القلم، دمشق.

- دراسات في أسلوب القرآن الكريم،محمد عبد الخالق عضيمة،دار الحديث، القاهرة.

- روائع البيان ، تفسير آيات الأحكام من القرآن ،محمد علي الصابوني ، مكتبة الغزالي دمشق مؤسسة مناهل العرفان بيروت ، الطبعة الثالثة 1400ه / 1980 م .

- الرسالة الشافية في الإعجاز، معهد مخطوطات الجامعة العربية الطبعة الثالثة 1413ه/1992م.

- سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي،دار الكتب العلمية بيروت،الطبعة الأولى 1402ه /1982 م.

- الصورة الأدبية في القرآن الكريم،صلاح الدين عبد التواب ، الشركة المصرية العالمية للنشر الطبعة الأولى 1995 م.

- الصناعتين،لأبي هلال العسكري،مطبعة محمود بك ، الطبعة الأولى 1319ه..

- الطراز للعلوي،المكتبة العصرية،بيروت ، الطبعة الأولى 1422ه/2002م.

- الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى،صلاح الدين زرار،الدارالعربية للعلوم، ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى 1429ه/2008م.

- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن،لابن الجوزي،دار البشائر الإسلامية.

- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، لابن قيم الجوزية، دارابن حزم، بيروت الطبعة الأولى،1327 ه .

- في ظلال القرآن،سيد قطب،دار الشروق.

- قضايا اللغة في كتب التفسير،الهادي الجطلاوي،دارمحمد علي الحامي ، تونس.

- علم البيان،عبد العزيز عتيق،دارالآفاق العربية،القاهرة ، الطبعة الأولى 1427ه/2006م.

- علم البديع ، عبد العزيز عتيق ، دار الآفاق العربية القاهرة ، الطبعة 1424ه/2004م.

- العين للفراهيدي،مكتبة الخانجي،القاهرة.

- العمدة ، لابن رشيق القيرواني،دار الجيل،بيروت ، الطبعة الخامسة 1401 ه / 1981 م.

- الكتاب سيبويه ،مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة الطبعة الثالثة 1408 ه/ 1988 م.

- كتاب الخوف والرجاء، صفوت عبد الفتاح محمود ، دار لبن حزم بيروت ، الطبعة الثانية 1424ه /2004 م.

- الكشاف للزمخشري، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى 1418ه/ 1998م.

- كلمات القرآن،حسنين محمد مخلوف،هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية المملكة السعودية، 1416ه /1996م.

- مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، عدنان محمد زرزور، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق ، الطبعة الأولى 1401ه/1981م.

- مجاز القرآن،لأبي عبيدة معمر بن المثنى،مكتبة الخانجي،القاهرة.

- مختار الصحاح،زين الدين الرازي، ترتيب وتحقيق محمود خاطر وحمزة فتح الله ، مؤسسة الرسالة 1414ه/1994م.

- مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الثامنة 1406ه/1986م.

- مفتاح العلوم للسكاكي،دارالكتب العلمية،بيروت ، الطبعة الأولى ، 1420ه / 2000 م .

- معاني القرآن للفراء،عالم الكتب، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1403ه/ 1983 م .

- مناهل العرفان للزرقاني، دارالكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، 1415ه /1995م.

- من بلاغة القرآن،أحمد أحمد بدوي،نهضة مصرللطباعة والنشر والتوزيع ، 2005م.

- مباحث في إعجازالقرآن،مصطفى مسلم،دارمسلم للنشروالتوزيع ،الرياض،الطبعة الثانية 1416ه/ 1996 م .

- مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم،محمد رفغذعت أحمد زنجير،الطبعة الأولى 1428ه /2008م.

- معجم المطبوعات العربية والمعربة،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة.

- المثل السائرلابن الأثير، دار نهضة مصر،القاهرة ، الطبعة الثانية .

- النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة،محمد مندور، دار نهضة مصر1936م.

- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز،فخر الدين الرازي، تحقيق نصر الله حاجي مفتي أوغلي ، دار صادر بيروت ،الطبعة الأولى 1424هـ/ 2004م.

- وجوه من الإعجاز البلاغي،لمصطفى الدباغ،مكتبة المنار،الأردن ، الطبعة الأولى 1982م.

المجـــــــلات

-بلقاسم محمد الغالي ، ملامح الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية ، العدد 1محرم 1428هـ .

-مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، ص 885 ، ص 903 يونيو 201 .

-موسوعة الإعجاز الرقمي تتضمن هذه الموسوعة مئات الحقائق الرقمية الثابتة حول أسرار البناء الرقمي لآيات القرآن الكريم ، تأليف المهندس عبد الدائم الكحيل.

ملخص

إنَّ من المقاصد التي عالجها القرآن وأفاض فيها الخوف والرجاء. وكم يشعر المرء بهزَّة عند الوقوف بين يدي آيات الخوف والرجاء، فيحسّ بهيبة ألفاظها ومعانيها، وتتوق نفسه إلى الطُّمأنينة في الدنيا والآخرة والأمن يوم الفزع الأكبر. كيف لا وانتقاء ألفاظها وإبداع سبكها وروعة تصويرها لمعانيها بلغ غايات البلاغة والبيان.من هنا نشأت فكرة الموضوع (الإعجاز البلاغي في آيات الخوف والرجاء) رغبة في الاقتراب أكثر من تلمُّس بلاغة الإعجاز فيها. واقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في مدخل، ثلاثة فصول وخاتمة .تكفَّل المدخل بتجلية مفردات العنوان وفق مباحثَ ثلاث. الأول: مفهوم الإعجاز وتطوره عبر العصور والثاني : مفهوم الخوف والرجاء والثالث :التعريف بسورة التوبة وسبب نزولها .وأما الرابع: حصر آيات الخوف والرجاء (الآية و رقمها).وتناول الفصل الأول جهود العلماء في الإعجاز، وحوى جهود علماء الفكر الإسلامي القديم ثم جهود علماء الفكر الإسلامي الحديث وأخيرا نشأة البحث البلاغي وتطوره.وتناول الفصل الثاني البلاغة الإعجازية لآيات الخوف في سورة التوبة، وحوى علم المعاني وأسراره البلاغية وعلم البيان وأسراره البلاغية وعلم البديع وأسراره البلاغية.أمّا الفصل الثالث فتناول البلاغة الإعجازية لآيات الرجاء في سورة التوبة، وحوى المباحث نفسها الموجودة في الفصل الثاني.ودُيِّلت الرسالة بعدئذ بخاتمة ضمَّت أبرز النتائج، تلاها ثبت المصادر والمراجع و فهرس الموضوعات.

الكلمات المفتاحية

الخوف؛ الرجاء؛ الترغيب؛ الترهيب؛ الأمر؛ النهي؛ الدعاء؛ المعاني؛ البيان؛ البديع.

نوقشت يوم 22 جوان 2014